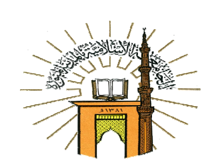


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



كلية الدعوة وأصول الدين

الجمعية العلمية السعودية

لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مَجلّة

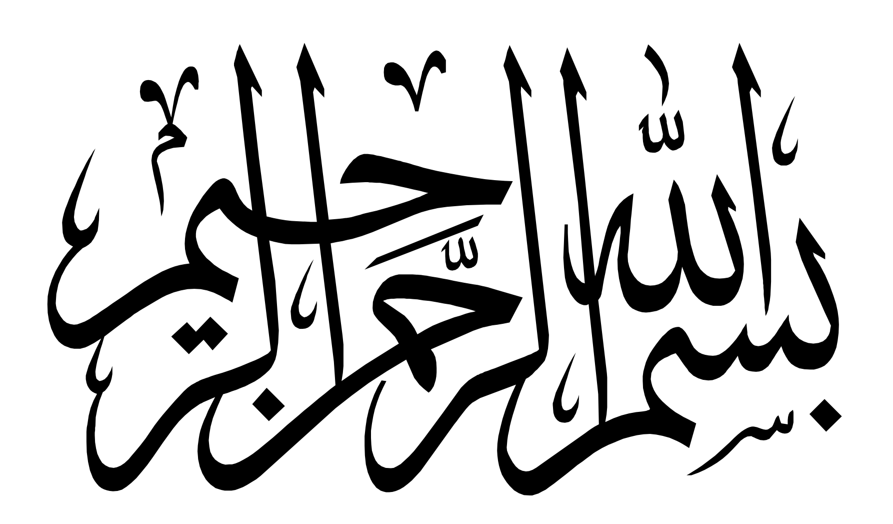
الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ٣- السَّنة الثانية- محرم ١٤٣١ هـ

ردمك × ٦١٦-٥١٦-١٦٥٨

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير (ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلة الدّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

مسألة العذر بالجهل في مسائل العقيدة

دراسة نظرية تأصيلية

إعداد الدكتور

محمد بن عبد الله مختار

عضو هيئة التدريس بكلية جبرة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠ ـ ٧١].

وبعد فإن مسألة الجهل بمسائل العقيدة : هل يكون عذراً فيرتفع به الإثم والعقوبة، أم لا يكون كذلك؟ من المسائل التي يدور حولها اللغط والكلام كثيراً، وقد صارت هذه المسألة مسارَ جدلٍ أدى إلى وقوع التشاحن والتباغض والتهاجر والتقاطع، حتى بين أهل المنهج الواحد من أهل السنة، وذلك بسبب عدم العلم بمراتبها من الدين؛

هل هي من مسائل الأصول التي يُضلّل بها المخالف، أم هي من مسائل الفقه الفرعية التي تكون بحسب اجتهاد القائل؛ فلا يقع فيها تبديع أو تفسيق؟ وهذا ما سنقرره إن شاء الله قريباً.

فلأهمية بيان ذلك أحببت الإسهام في توضيح هذه المسألة بقدر المستطاع، والله يرحم ضعفنا وتقصيرنا.

وقد جعلت البحث فيها في مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة:

المقدمة: في بيان صلة هذه المسألة بمسائل العقيدة، مع بيان متى ظهر الانحراف فيها، وظهور كلام السلف فيها.

المطلب الأول: تعريف الجهل لغة، وذكر أنواعه.

المطلب الثاني: المراد بالجهل بمسائل الاعتقاد.

المطلب الثالث: هل كل جهل بالمعتقد يعتبر عذراً؟

المطلب الرابع: مرتبة هذه المسألة من الدين.

المطلب الخامس: تحديد الجهل بالمعتقد الذي يُعذر به، والجهل الذي لا يعذر به منه.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج.

المقدمة:

في بيان صلة هذه المسألة بمسائل العقيدة، مع بيان متى ظهر الانحـراف فيها، وظهور كلام السلف فيها

هذه المسألة هي في الأصل من مسائل الفقه كما سيأتي[١]، ووجه دخولها في مسائل الاعتقاد أنها طريق ووسـيلة لمعرفـة الأسـماء والأحكـام، لأنهـا تبحث في تحقيق كفر المعيّن، من أجل تطبيق الحكم عليه بالكفر أو عدمـه، أي: «أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفـر، أو هـذا الفعـل كفـر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعـين لقيـام المقتضي في حقه وانتفاء المانع، أو لا ينطبق لفـوات بعـض المقتضـيات، أو وجود بعض الموانع» ا.هـ. ولهذا فهـي تبحـث في بـاب الـردة مـن كتـب الفقه.

وأيضاً: لما رتب عليها البعض من لوازم اعتقادية فاسدة، فجعل يـوالي ويعادي عليها، وهذا لعدم فهمه بحقيقة مذهب المختلفين فيهـا، وسـبب الخلاف بينهم[٢].

(١) انظر: المطلب الرابع، مطلب مرتبة هذه المسألة من الدين.
(٢) انظر هذه اللوازم في ص: ٢٢.

كما أن الخوارج اتخذوا من هذه المسألة تكاة، يدفعون بها عن مذهبهم القائم على التكفير، دون نظر إلى الشروط والموانع، حيث كان من عقائدهم: ((أن الواجب أن يستتيبوا من خالفهم في تنزيل، أو تأويل، فإن تاب وإلا قتل؛ كان ذلك الخلاف فيما يَسع جهله، أو فيما لا يَسع جهلُه))[(١)].

وأما ظهور كلام السلف فيها، فالذي يظهر أنه مع ظهور قول الخوارج القاضي بعدم العذر بالجهل مطلقاً.

يقول الحافظ أبو عمر ابن عبد البر -رحمه الله-: في شأن جاهل الصفات: «من جهل صفة من صفات الله عز وجل، وآمن بسائر صفاته وعرفها، لم يكن بجهله بعض صفات الله كافراً؛ قالوا: وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله؛ وهذا قول المتقدِّمين من العلماء، ومن سلك سبيلهم من المتأخرين»[(٢)]. أ.هـ.

فنسب القول بالعذر بالجهل إلى كلام المتقدمين من أهل العلم. والذي حصل فيه اللبس والتشويش زمن السلف هو التعطيل ونفي الصفات. أما أمور مسائل توحيد العبادة فكانت ظاهرة، ولذا لم يقع فيها اختلاف في عصرهم فلم يقع لهم قول فيها بعذر الجاهل.

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٦).

(٢) التمهيد (١٨/ ٤٢).

وأما قول الشافعي -رحمه الله-: ((لو عذر الجاهل لأجل جهله لكان الجهل خيراً من العلم، إذ كان يحط عن العبد أعباء التكليف، ويريح قلبه من ضروب التعنيف، فلا حجة للعبد في جهله بالحكم بعد التبليغ والتمكين))[١] فالمراد به أن الجهل ليس عذراً بإطلاق، ليس مراده نفي العذر بالجهل مطلقاً، بدليل قوله ((بعد التبليغ والتمكين)) ، فظاهره أنّ قبل التبليغ والتمكين يعذر، والله تعالى أعلم.

المطلب الأول: تعريف الجهل لغة وذكر أنواعه.

الجهل: خلاف العلم ونقيضه. يقال: جَهِل فلان جَهَالة، وجُهِل عليه، وتجاهَل واستجهل. والجمع منه: جُهْلٌ، وجُهُلٌ، وجُهَّلٌ، وجُهَّال، وجُهَلاء قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ومنه قولهم للمفازة التي لا عَلَم بها «مَجْهَل»؛ والجهالة: أن يَفعل فعلاً بغير علم.

ويُطلق الجهل ويراد به أيضاً الخِفة التي هي خلاف الطمأنينة، ويراد به كذلك الطيش[٢].

وأنواع الجهل اثنان:

---

(١) نقلاً عن المنثور، للزركشي (٢/ ١٧).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس «جهل» ١/ ٤٨٩، وتهذيب اللغة، للأزهري «جهل» ٦/ ٥٦ ـ ٥٧، ولسان العرب، لابن منظور «جهل» ١١/ ١٢٩.

أحدها: جهل بسيط، وهو خلو النفس من العلم.

ثانيها: جهل مركب، وهو فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل جهلاً بحقيقته أو كيفيته، أو اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه[١].

المطلب الثاني: المراد بالجهل بمسائل الاعتقاد.

المراد بالجهل بمسائل العقيدة : أن يجهل المكلّف أمراً عقدياً أصلاً في الدين؛ كالجهل بالله، أو بأحقيته بالعبادة دون غيره، أو يجهل بعض تفاصيل العبادة، فيصرفها لغير الله، أو يجهل اسماً من أسماء الله الحسنى، أو يجهل صفة من صفات كماله العليا، أو يجهل مسألة من مسائل الإيمان الأخرى.

المطلب الثالث: هل كل جهل بالمعتقد يعتبر عذراً ؟

ينصّ أهل العلم على أن الجهل عذر، وأن له أثراً في الحكم بعدم مؤاخذة المخطئ، ولكن يبقى النظر هل كل جهلٍ بالمعتقد يأخذ هذا الحكم، أو أن في المسألة تفصيلاً.

فالذي يظهر من كلام أهل العلم أن الجهل نوعان: جهل يكون بسبب التفريط من المكلَّف، فهذا لا عذر به ولا شبهة، لأن المفرّط مُعْرِض عن الحجة، والإعراض لا يُعذر به. وهذا يطلق عليه أهل العلم الجهل

(١) انظر: المفردات للراغب ص: ١١٥، واقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

الاختياري، وسبب هذه التسمية: كون إزالته باكتساب العلم في قدرة العبد، فكان ترك تحصيل العلم منه اختياراً بمنزلة اكتساب الجهل باختيار إبقائه، فكان مكتسباً من هذا الوجه[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه، بل المطلوب زواله بحسب الإمكان، ولولا هذا لما وجب بيان العلم، ولكان ترك الناس على جهلهم خيراً لهم، ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيراً من بيانها»[٢].

النوع الثاني: جهل اضطراري يكون معه إرادة الهدى والعلم، فهو حاصل بسبب العجز وعدم تيسير العلم، لأن أصل الشريعة وقاعدتها تمنع مؤاخذة من يجهل التحريم، حتى يُصبِح العلم مُيَسَّراً له، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦** ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]. فالله تعالى قد رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما كان في غير مقدور المكلَّف[٣].

---

(١) انظر: كشف الأسرار، للبزدوي (٤/ ٥٣٣)، والفروق، للقرافي (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٣) انظر: التشريع الجنائي لعبد القادر عودة (١/ ٤٣١).

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- «فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه، إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه، هو أحق بأن يتقبل الله حسناته، ويثيبه على اجتهاداته، ولا يؤاخذه بما أخطأ، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]»[(١)].

فالحاصل أن الجهل إما أن يكون معه تفريط مع القدرة فلا عذر به، أو لا يكون معه التفريط فهذا معذور به.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى ـ: «علماء الأمة متفقون على أن الجهل بأمور الدين القطعية المجمع عليها التي هي معلومة منه بالضرورة؛ كالتوحيد والبعث، وأركان الإسلام، وحرمة الزنا والخمر، ليس بعذر للمقصر في تعلمها مع توفر الدواعي؛ أما غير المقصِّر، كحديث العهد بالإسلام، والذي نشأ في شاهق جبل ـ مثلاً ـ أي حيث لا يجد من يتعلَّم منه ـ، فهو معذور»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، ودرء التعارض (٢/ ٣١٥). وانظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

(٢) من تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا على رسالة "ما يعذر به وما لا يعذر به من الجهالة" للشيخ عبد الله أبا بطين، ضمن بضع رسائله الدينية في العقيدة الإسلامية (ص: ٤١) في الهامش، طبع مكتبة المنار، مصر.

ويقول المعلِّمي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكذلك من نطق بالشهادتين ملتزماً للإسلام، ولم يكن يعلم معناهما تفصيلاً؛ فإنه يقبل إسلامه، ولكنه لا يُعذر إذا جرى منه ما ينقض الشهادة، إلا إذا كان قريب العهد بالكفر لم يُمكنه التعلُّم، وحالما يبيَّن له أن قوله أو فعله مخالف للشهادة يرجع عنه... -إلى أن قال:- واعلم أن قريب العهد ليس له حد معين، وإنما المدار فيه على التقصير في التعلُّم وعدمه، فمن لم يقصر عذر، ومن قصر لم يعذر»[1].

ويقول الإمام القرافي رحمه الله: « القاعدة الشرعية دلت على أن كل جهل يمكن دفعه، لا يكون حجة للجاهل، فإن الله تعالى بعث رسله إلى خلقه برسائله، وأوجب عليهم كافة أن يعلموها، ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم والعمل، وبقي جاهلاً، فقد عصى معصيتين؛ لتركه واجبين»[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما (التكفير) فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقصد الحق فأخطأ: لم يكفر، بل يغفر له خطؤه. ومن تبيّن له ما جاء به الرسول، فشاق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين: فهو كافر. ومن اتّبع

---

(١) رفع الاشتباه (ص: ٥٢).
(٢) الفروق (٤/ ٢٦٤).

هواه؛ وقصّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم: فهو عاصٍ مـذنب. ثـم قـد يكون فاسقاً، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته»[١].

ويقول ابن اللحام[٢]: «جاهل الحكم إنما يعـذر إذا لم يقصِّر ـ ويفـرِّط في تعلم الحكم، أما إذا قصَّر أو فرَّط، فلا يعذر جزماً»[٣].

فهذه بعض أقوال أهل العلـم، والتـي تقـرر هـذا التقسـيم للجهـل في المؤاخذة أو تركها . وبها يتبين ضابط العذر مـن عدمـه، وهـو: أيُّ جهـلٍ أمكن دفعه فلا عذر به ، فإنْ لم يُمْكن دفعه فهذا معذور به.

المطلب الرابع: مرتبة هذه المسألة من الدين.

مسألة الجهل بالاعتقاد ؛ هل يعذر به أو لا يعـذر بـه هـي مـن مسـائل الفقه، وليست من أصول العقيدة، وبحثها إنما يكون في كتـاب الـردة مـن مسائل الفقه، لأن المقصود التحقق من قيام الحجة أو عـدمها، فمـن كـان جاهلاً بالحكم يعذر، ومن لم يكن جاهلاً أو مُقَصِّراً فلا يُعذر لجهله.

وما يبين فرعية هذه المسألة، وأنها ليست من مسائل أصول الـدين أنهـا طريق ووسيلة إلى معرفـة الأسـماء والأحكـام؛ فـإن الحكـم عـلى المسـلم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

(٢) هو: علي بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي، الفقيه الواعظ الأصولي، توفي بمصر سنة (٨٠٣)هـ. انظر: ترجمته في شذرات الذهب (٧/ ٣١).

(٣) القواعد والفوائد الأصولية (ص: ٥٨).

بالكفر –مثلاً– بارتكابه المكفِّر يقتضي النظر في حاله؛ هل هو مما يُعذر بجهله لعدم تفريطه، أو هو مما لا يعذر بجهله لتفريطه مع القدرة، فإذًا هي من باب الوسائل، وليست من باب المقاصد والأصول الكبار التي يضلل بها المخالف.

وهي بهذا الاعتبار مسألة اجتهادية أيضاً، لأن التفريط وعدمه ليس له حد ينضبط به في كل واحد من المكلَّفين، بل ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأمكنة[1]، وذلك مما تتباين فيه أنظار أهل العلم تبايناً عظيماً.

ولأجل هذا نصَّ الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- على أن هذه المسألة من فروع الفقه، كما في قوله: «الاختلاف في العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظياً في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضي في حقه، وانتفاء المانع، أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع» أ.هـ[2].

---

(١) انظر: نقض أساس التقديس ص: ٥، وبغية المرتاد ص: ٣١١، وطريق الهجرتين ص: ٦١١ - ٦١٢.

(٢) شرح كشف الشبهات، لابن عثيمين (ص: ٣٧).

إلا أنه قد توجد بعض المحاذير التي قد ترقى بها إلى مسائل أصول الدين، متى ما اعتقدها الشخص. وهذا غالباً يحصل عند من لا يدرك هذه المسألة أو مذهب القائلين بها، وهي لوازم باطلة، متى قال بها الشخص، فإنه يضلَّل ويبدع. وهذه اللوازم تُقسَّم كما يلي:

أولاً: اللوازم التي قد تلزم من يقول بعدم العذر بالجهل في مسائل العقيدة.

أ ـ مخالفة منهج السلف في الاحتياط في تكفير المعيَّن، أو التأثر بمذهب الخوارج، في هذا الباب.

ب ـ مشاركة الخوارج في مذهبهم؛ حيث يوجبون استتابة من خالفهم في تنزيل أو تأويل، فإن تاب وإلا قُتل؛ كان ذلك الخلاف فيما يَسع جهله، أو فيما لا يسع جهلُه[١]، وهذا سببه عدم التفريق بين المسائل التي يُعذر بها إجماعاً، والتي لا يعذر بها إجماعاً[٢].

ج ـ القول بأن الحجة تقوم بدون إرسال الرسل.

د ـ القول بأن الله –تعالى– يُكلِّف بما لا يُطاق؛ وهذا يلزم من لا يشترط في الخطاب فهم الحجة.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٦).

(٢) يأتي بيان هذه المسائل انظر: ص ١٤ ـ ٢٢.

هـ ـ القول بنفي العذر مطلقاً، وخاصة ممّن لا يُدرك هذا المذهب.

ثانياً: اللوازم التي قد تلزم من يرى العذر بالجهالة في مسائل العقيدة، وخاصة مَنْ لا يُدرك هذا المذهب، وحدَّ ما يُعذَر به، وما لا يُعذَر به:

أ ـ عدم التكفير بالتعيين.

ب ـ الميل إلى مذهب الإرجاء، ومن ذلك حصر الكفر في الجحود، أو التكذيب فقط.

يوضحه: أن من أنواع الكفر : الكفر بالجهل؛ كالجهل بالله، وبأحقيته بالعبادة دون غيره، وككفر مَنْ لا يفرِّق بين الله والرسول صلى الله عليه وسلم لملازمة الشهادتين، كما سيأتي عند ذكر المكفرات التي يُعذَر بالجهل بها ، والمكفِّرات التي لا يُعذَر بالجهل بها.

ج ـ القول بالعذر مطلقاً، وخاصة ممّن لا يُدرك هذا المذهب[1].

ولكن بحمد الله، فهذه اللوازم لا يقول بها الفريقان ممن اختلفوا في هذه المسألة. وبالله التوفيق.

---

(١) بعض هذه اللوازم مأخوذة من كتاب نواقض الإيمان الاعتقادية (جـ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) لعبد العزيز الوهيبي.

وأما تضخيم هذه القضية، وتضليل المخالف، وإلزام القائل بلوازم لم يَقُلْ بها، فهو خلل وانحراف واتهام للمسلم بما ليس فيه، وكفى بذلك إثماً. أما إذا التزم أحد الفريقين بأي من اللوازم الباطلة، فهو مبتدع.

المطلب الخامس: تحديد الجهل بالمعتقد الذي يُعذر به، والجهل الذي لا يُعذر به منه.

الجهل بالتوحيد وأمور العقيدة يتفاوت، ليس مرتبة واحدة، ولهذا فهو منقسم إلى جهلٍ يُعذر به إجماعاً، وإلى جهل لا يعذر به إجماعاً، وإلى جهلٍ مختلف في الإعذار به.

وسرُّ هذا التقسيم أنَّ من الجهل ما لا يكون إلا بتفريط، فلا يُعذر به إجماعاً، ومنه ما يكون مع عدم التفريط، فيُعذر به إجماعاً، ومنه ما يتردد بين الأمرين، فيقع فيه الخلاف بحسب أنظار أهل العلم فيه.

وتوضيح ذلك كما يلي:

أما الجهل الذي لا يعذر به إجماعاً، فهو الجهل الذي مرجعه إلى عدم المعرفة بالعلم الإجمالي بمعنى شهادة التوحيد "لا إله إلا الله"، لأن هذا العلم هو المشترط لصحة الشهادة، ولذا فهو يُشترط حال قولها[(١)]. وأيضاً فهو ظاهرٌ يفهم بأدنى نظرٍ، فلا يتصوّر الجهل به إلا عن تفريط وتقصير، بل من

(١) انظر تفصيل العلم الجملي في: كتابي "شروط شهادة أن لا إله إلا الله تأصيلاً ودراسة"، (تحت الطبع).

أهل العلم من لا يتصوّر الجهل به أصلاً، لأن الحجة قائمة بذلك على كل أحد.

ولهذا الجهل صور:

الصورة الأولى: الجهل بحقيقة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ فمن جوّز عبادة غير الله عز وجل، فزعم أن غير الله -كائناً من كان- يستحق أن يُعبَد مع الله، أو سمّاه إلهاً كما كان المشركون يفعلون، كفر إجماعاً ولم يُعذر لجهله.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ: ((وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال: إنه فيها مخطئ ضال، لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها؛ لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي تعلم العامة والخاصة من المسلمين أنها من دين المسلمين؛ بل اليهود والنصارى يعلمون: أن محمداً صلى الله عليه وسلم بُعث بها، وكفَّر مخالفها؛ مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله، من الملائكة والنبيين، والشمس والقمر، والكواكب والأصنام، وغير ذلك؛ فإن هذا أظهر شعائر الإسلام))[1]. أ.هـ.

الصورة الثانية: عدم التفريق بين الله ورسوله، واعتقاد أنهما شيء واحد للقرن بين الله ورسوله في الشهادتين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٤). وانظر: منهاج أهل الحق والاتباع لابن سحمان (ص:١٢).

ذكر صاحب « الدر الثمين في شرح المرشد المعين»[١] من علماء المالكية ما ملخصه[٢]: أن علماء بجاية[٣] في المغرب اجتمعوا في القرن الحادي عشر، وتحدثوا، وكان في حديثهم أن قالوا: ما رأيكم في شخص يعمل مع الناس أعمالاً، ولكنه لا يعلم صحة ذلك من عدمه، ولا يعرف معنى لا إله إلا الله، ولا يفرِّق بين الله ورسوله؛ لملازمة الشهادتين؟ قالوا: هذا لا يكون إلا بالبوادي حيث لا علم عندهم. فقال بعضهم: فإذا كان الأمر كذلك، هل له نصيب في الإسلام؟ فأجابوا جميعاً: بأن هذا أو مثله ليس له نصيب في الإسلام.

ثم قال شارحه: ((وهذا الذي أفتوا به جليّ في غاية الجلاء، لا يمكن أن يختلف فيه اثنان)) أ.هـ[٤].

وسُئِل الشيخ أحمد بن عيسى –من فقهاء بجاية بالمغرب –: عمّن نشأ بين ظهراني المسلمين وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلي،

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله مياره، فقيه مالكي، من أهل فاس، ولد سنة تسع وتسعين وتسعمائة هجرية، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وألف هجرية. انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي (٦/ ١١ ـ ١٢).

(٢) انظر: الدر الثمين شرح المرشد المعين ص: ٧٧.

(٣) بجاية ـ بكسر الباء وتخفيف الجيم ـ مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب . [معجم البلدان (١/ ٣٣٩)].

(٤) نقلاً عن تطهير الاعتقاد، بتعليق علي السنان (ص: ٧٤). وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص: ٦٠).

ويصوم، إلا أنه لا يعرف ما انطوت عليه الكلمة العليا فيما يعتقده، لعدم معرفته بها، إذ اعتقاد شيء فرع المعرفة به، كالذي يقول: لا أدري ما الله ورسوله، ولا أدري من هو الأخير منهما، أو لا أفرِّق بينهما، أو غير ذلك من كلام لا يمكن معه معرفة الوحدانية ولا الرسالة، وإنما يقول : سمعت الناس يقولون هذه الكلمة، فقلتها، ولا أدري المعنى الذي انطوت عليه، ولا أتصور صحته ولا فساده، ولا أدري ما أعتقد في ذلك بوجه، ولا أعبِّر عنه بلساني ولا غيره، لأن التعبير عن الشيء فرع المعرفة به، وأنا لا أعرفه. فهل يكتفي في إيمانه بمجرد النطق بالشهادتين، والصلاة، والصيام، وغير ذلك من أركان الإسلام، ويعذر بجهل معنى الكلمة؟ أو لا بد من معرفة المعنى الذي انطوت عليه الكلمة العليا من الوحدانية والرسالة، وإلا لم يكن مؤمناً؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ: «من نشأ بين أظهر المسلمين، وهو ينطق بكلمة التوحيد، مع شهادة الرسول عليه السلام، ويصوم ويصلي، إلا أنه لا يعرف المعنى الذي انطوت عليه الكلمة الكريمة -كما ذكرتم-، لا يضرب له في التوحيد بسهم، ولا يفوز منه بنصيب، ولا ينسب إلى إيمان ولا إسلام، بل هو من جملة الهالكين، وزمرة الكافرين، وحكمه حكم

المجوس في جميع أحكامه، إلا في القتل؛ فإنه لا يقتل إلا إذا كان امتنع من التعليم»[١]أ.هـ.

الصورة الثالثة: الجهل بالله عز وجل، وتميُّز ذاته –سبحانه– عن ذوات مخلوقاته.

قال أبو حنيفة –رحمه الله– فيما نقل عنه الكاساني في بدائع الصنائع[٢]: ((فإن أبا يوسف روى عن أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ هذه العبارة فقال: كان أبو حنيفة –رضي الله عنه– يقول: لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه، لأن الواجب على جميع الخلق معرفة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ، وتوحيده؛ لما يرى من خلق السموات والأرض، وخلق نفسه، وسائر ما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ. فأما الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه، فإن هذا لم تقم عليه حجة حكمية))[٣].

وقال ابن حزم الظاهري ـ رحمه الله ـ: ((...وأما من قال أن الله عز وجل هو فلان لإنسان بعينه، أو أن الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه، أو أن بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبياً غير عيسى بن مريم،

(١) المعيار المعرب (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٢) (٩/ ٥٢١).

(٣) وانظر: التبصير في معالم الدين لابن جرير الطبري (ص: ١١٦ ـ ١١٧)، ودرء التعارض (٩/ ٦٢)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٢٧).

فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره؛ لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد))[(١)] أ.هـ.

وقال الأنصاري[(٢)] في صدد تقسيمه للجهل الذي يعذر به والذي لا يعذر به: «جهل لا يصلح عذراً بحال، لا في الدنيا ولا في العقبى، ولا شبهة أيضاً؛ كجهل الكافر بذات الله ورسوله، لأن الدلائل الدالة على الوحدانية والصفات والرسالة من الحوادث والمعجزات واضحة، بحيث التحقت بالضروريات الواضحة، فإنكار الضروريات مكابرة، لا يلتفت إليه ولا يعذر به»[(٣)] أ. هـ.

ويدخل في هذه الصورة من يعتقد الحلول والاتحاد؛ كطوائف الاتحادية والحلولية.

فأهل هذه الصور كفار أصليون، لم يفهموا حقيقة التوحيد.

وأما الجهل المتفق على أنه عذر بإجماع أهل العلم، فله صور:

الأولى: الجهل بمسائل التوحيد الخفية التي قد يخفى حكمها من الكتاب والسنة على كثيرٍ من البَرِية، وليس فيها مناقضة للتوحيد

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٢٩٣). وانظر: المعيار المعرب (٢/ ٣٨٤).

(٢) هو: عبد العلي محمد بن نظام الدين محمد الأنصاري الهندي، من فقهاء الأحناف، له فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لمحب الله البهاري الهندي. توفي سنة ١٢٢٥هـ. انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٤/ ٤٨١).

(٣) فواتح الرحموت بهامش المستصفى في أصول الفقه، للغزالي (٢/ ٣٨٧).

والرسالة؛ كالجهل ببعض الصفات. ومن ذلك أيضاً: معتقدات الفرق التي تخالف اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان والأحكام؛ كالمرجئة والخوارج والمعتزلة؛ فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من ردّ أدلة الكتاب وأدلة السنة المتواترة النبوية، فيكون القول المتضمِّن لرد بعض النصوص كفراً، ولا يحكم على قائله بالكفر، لاحتمال وجود مانع؛ كالجهل وعدم العلم بنفس النص، أو بدلالته، فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها وفهمها[1].

وسبب ذلك أن هذه المسائل قد تخفى مع بذل الجهد في طلبها، لكثرة الشبهات المانعة من معرفة حقيقتها.

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفراً؛ كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يُرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر. ولا يُكفَّر الشخص المعيَّن حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم؛ كمنْ جحد وجوب الصلاة والزكاة، واستحل الخمر والزنا وتأوَّل؛ فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه، فإذا كان المتأوِّل يخطئ في تلك ولا يحكم بكفره إلا بعد البيان له

(١) انظر: منهاج أهل الحق والاتباع (ص: ١٣)، والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل (ص: ١٤).

واستتابته، كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر، ففي غير ذلك أولى وأحرى، وعلى هذا يُخرَّج الحديث الصحيح؛ حديث الذي قال: «إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين». وقد غفر الله لهذا ،مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه»[١].

وقال تلميذه ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شأن الفرق المنتسبة للإسلام المخالفة لأهل السنة والجماعة في بعض الأصول: «وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول؛ كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم، فهؤلاء أقسام أحدها: الجاهل المقلِّد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفَّر ولا يفسَّق، ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى. وحكمه حكم ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة النساء، الآيتان ٩٨]»[٢].

قلت: وقد نقل ابن عبد البر – رحمه الله –إجماع المتقدّمين، ومن سلك سبيلهم من المتأخرين، على عدم تكفير جاهل بعض صفات الله تعالى، فقال

---

(١) شرح حديث جبريل عليه السلام (ص: ٥٧٢ ـ ٥٧٤). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٤، ٢٨/ ٥٠٠ ـ ٥٠١، ٣٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، ومنهاج التأسيس والتقديس (ص: ١٠١).
(٢) الطرق الحكمية (ص: ١٧٤).

ـ رحمه الله ـ: « من جهل صفة من صفات الله عز وجل، وآمن بسائر صفاته وعرفها، لم يكن بجهله بعض صفات الله كافراً؛ قالوا: وإنما الكافر من عاند الحق لا من جهله؛ وهذا قول المتقدِّمين من العلماء، ومن سلك سبيلهم من المتأخرين»[(١)]. أ.هـ[(٢)].

قلت: ولعلَّ مستند هذا الإجماع قصة ذاك الرجل الذي أمر بنيه أن يحرِّقوه ويَذروه في اليَمّ، حتى لا يقدر عليه الله عز وجل، فشك في قدرة الله تعالى على إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد. وهي في الصحيح[(٣)] وغيره[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث: « فغاية ما في هذا أنه كان رجلاً لم يكن عالماً بجميع ما يستحقه الله من الصفات، وبتفصيل أنه القادر، وكثير من المؤمنين قد يجهل مثل ذلك، فلا يكون كافراً»[(٥)].

الثانية: من كان حديث عهد بإسلام، وجهل بعض تفاصيل العقيدة، لا أصل الاعتقاد الذي هو معنى الشهادتين الجُملي.

---

(١) التمهيد (١٨/ ٤٢).

(٢) وانظر: تفصيل القول فيما يعذر به وما لا يعذر به، وما اختلف في الإعذار به من مسائل التوحيد، في كتاب الشفا للقاضي عياض (جـ٢/ ٢٨٢ ـ ٣١٠).

(٣) (جـ٦/ ٥١٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٨١).

(٤) مسلم: كتاب التوبة (٤/ ٢١١٠) ح (٢٧٥٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١١). وانظر: الصفدية (١/ ٢٣٣).

ودليل هذه الصورة حديث أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. قال: فمررنا بالسدرة، فقلنا: يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم»[1].

ووجه الاستدلال به: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بتجديد الشهادتين، مع طلبهم البركة من غير الله.

الثالث: من أسلم بدار حرب، وجهل بعض تفاصيل العقيدة لا أصل الاعتقاد الذي هو معنى الشهادتين؛ لأن دار الحرب ليست مَحَّلاً لشهرة الأحكام.

---

(١) حديث ذات أنواط : أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٧٥) حديث رقم (٢١٨٠)، وأحمد في المسند (٥/ ٢١٨)، وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٣٦٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٤٤). وقال الألباني في ظلال الجنة (١/ ٣٧): إسناده حسن.

الرابع: من عاش في شاهق، أو باديةٍ بعيدة عن أهل العلم، وجهل بعض تفاصيل العقيدة، لا أصل الاعتقاد الذي هو معنى الشهادتين، ولم يطرأ عنده شك في صحة ما هو عليه.

والفرق بين الصورة الأولى، وبقية الصور : أن الصورة الأولى عامة في جميع طبقات المكلفين، وأما بقية الصور فهي في طبقات من المكلفين، ولو حصل عندهم جهل ببعض تفاصيل الدين الظاهرة.

فالصورة الأولى عامة في أهلها، خاصة في نوع جهلهم، لأن جهلهم يتعلّق بالأمور الخفية لا الظاهرة. والثانية خاصة في أهلها، عامة في نوع جهلهم، لأن جهلهم لا يخص بأمر دون آخر، بل يعذرون ولو كان جهلهم بالأمور الظاهرة دون الجهل بأصل معنى الشهادتين.

وأما الجهل المختلف في الإعذار به : فهو الجهل ببعض تفاصيل معنى شهادة أن لا إله إلا الله، مع اعتقاده أصل معناها؛ وهو وجوب إفراد العبادة لله تعالى، كمن يجهل أن الاستغاثة بغير الله عبادة لغير الله، أو أن النذر لغير الله عبادة لغير الله، أو أن الدعاء كذلك، فإن أهل العلم مختلفون في الحكم عليه بالكفر، وذلك بناء على اختلافهم في هذه الأمور؛ هل هي مما يخفى فيعذر بها الجاهل، أو هي مما لا يخفى فلا يُعذر بها الجاهل؛ لتفريطه. وقبل ذكر خلاف أهل العلم في هذه المسألة، نقرر أموراً هي محل وفاق بينهم، بعضها قد سبقت الإشارة إليه:

الأمر الأول: أن الجهل في ذاته عذر شرعي، يُعـذر بـه في هـذه المسـائل وغيرها[١]. ومما يؤكد ذلك أن أهل العلم متفقـون عـلى العـذر بالجهـل في تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة، في صورٍ منها: مَنْ كان حـديث العهـد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة عن بلاد المسلمين كما تقدم؛ فإن هـذا لـيس استثناءً في الواقع وإنما هو تطبيق للقاعدة الأصلية التي تمنع مؤاخـذة مـن يجهل التحريم حتى يصبح العلم مُيَسَّراً لـه؛ فمثـل هـؤلاء لم يكـن العلـم مُيَسَّراً لهم، ولا يعتبرون عالمين بأحكام الشريعة[٢].

ولكن يجب أن يعلم أن حديث العهد بالإسلام، وكذا مـن نشـأ بباديـة بعيدة عن أهل العلم، ليس عذره لذاته، ولكن لأجل عدم تيسر العلم له، فمتى تيسر العلم له، وأمكنه التعلم، ثم قصَّر في طلبـه، لم يكـن معـذوراً، شأنه شأن غيره من المكلَّفين.

الأمر الثاني: أن الجاهل إن كان قادراً عـلى العلـم، متمكِّنـاً مـن أدواتـه وآلاته، ثم أعرض عن طلبه، فليس بمعذور؛ لتفريطـه في تـرك الواجـب عليه من التعلُّم، لا لأصل جهله.

ويدخل في ذلك من بلغته الحجة من القـرآن أو مـن السـنة عـلى وجـه يفهمها لو أراد ذلك، ثم لم يلتفت إليها ولم يعمل بها، فهذا لا يعذر بالجهل

---

(١) ولكن كما سيأتي في الأمر الثاني والخامس، فهو ليس عذراً بإطلاق.

(٢) انظر: التشريع الجنائي لعبد القادر عودة (١/ ٤٣١).

ولا بعدم فهمه، لأنه مفرِّط ومعرض، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٣][1].

الأمر الثالث: أن الجاهل إن كان مقبلاً على طلب العلم، ولكن ليس بين يديه أدواته، وهو عاجز عن آلاته لا يستطيع تحصيله؛ فهو معذور بجهله[2].

الأمر الرابع: أنَّ القدر من العلم الذي لا يكون الإسلام إلا به، لا عذر بجهله[3]؛ إما لكونه ضرورياً لا يتصور الجهل به، وإما لأنه ظاهرٌ يفهم بأدنى نظرٍ، فلا يُتصور الجهل به إلا عن تفريط وتقصير، وإما لأنه العلم الذي يصبح به العبد مسلماً، وإلا فهو كافر أصلي.

الأمر الخامس: «من كان يعيش في جو إسلامي مصفًّى وجهل من الأحكام ما كان منها معلوماً من الدين بالضرورة -كما يقوله الفقهاء-، فهذا لا يكون معذوراً، لأنه بلغته الدعوة، وأقيمت عليه الحجة»[4].

الأمر السادس: أن الجهل ببعض تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة لا ينافي العلم الجُملي، بمعنى الشهادة الذي هو شرطٌ حالَ قولها، بدليل

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص: ٦٠٩ ـ ٦١٠)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠) و (٢٣/ ٣٤٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠).

(٣) تقدم أنه العلم الجُمَلي لا التفصيلي بمعنى الشهادتين.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٣).

قصة أصحاب ذات أنواط[١]، فإنه قد صح إسلامهم، مع فقدهم للعلم ببعض تفاصيل معنى الشهادة[٢].

وذات أنواط: هي اسم شجرة بعينها، كانت للمشركين ينوطون بها أسلحتهم، أي: يعلقونها بها، ويعكفون حولها، فسأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم مثلها، فقال: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم.. الحديث»[٣].

إذا تقرَّر هذا، فإن تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة؛ اختلف أهل العلم في إعذار الجاهل بها، وليس ذلك لاختلافهم في أصل العذر بالجهل بها ـ كما تقدم ـ، وإنما لاختلافهم في تصور الجهل بهذه التفاصيل، مع انتفاء التفريط والتقصير في طلب العلم بها.

فمن تصوّر الجهل بهذه التفاصيل، مع انتفاء التفريط والتقصير في العلم بها، ألحقها بالمسائل الخفية التي يُعذر بالجهل في مثلها، ومن لم يتصوَّر الجهل بهذه التفاصيل إلا عن تفريط وتقصير، ألحقها بالمسائل الظاهرة التي لا يُعذر بالجهل في مثلها.

---

(١) حديث ذات أنواط تقدم تخريجه.

(٢) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٢٧).

ثم ههنا قَيْدٌ هو محل اعتبارٍ عند الجميع، يتضح بموجبه موردُ النـزاع بينهم في هذه المسألة، وهو قَيْد التمكُّن من العلم، -وهو تيسُّر العلم مع القدرة على تحصيله بعد السعي والطلب، ليس التمكن بمعنى التضلع والمعرفة التامة القوية بالشيء- إذ ينبني على هذا القيْد الحكم على المكلَّف بالتقصير وعدمه، ولذا نجد أهل العلم يعوِّلون على هذا القيد عند تناولهم لهذه المسألة وينصُّون عليه، ويحاولون ضبطه بذكر الصور التي يكون معها المسلم متمكناً من العلم، قادراً على تحصيله، والصور التي لا يكون معها كذلك.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة»[1].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: «ومن جواب هؤلاء أن حجة الله برسله قامت بالتمكن من العلم، فليس من شرط حجة الله تعالى علم المدعوين بها، ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعاً من قيام

(١) مدارج السالكين ١/ ٢١٧.

حجة الله تعالى عليهم، وكذلك إعراضهم عن استماع المنقول عن الأنبياء، وقراءة الآثار المأثورة عنهم، لا يمنع الحجة، إذ المكنة حاصلة»[١].

وقد ظهر لي من كلامهم أن ضابط التمكُّن من العلم، هو: كل من أمكنه العلم بسؤال أهل العلم، أو معرفة العلم من خلال كتب العلم، فهو متمكِّن من العلم[٢]. إلا أن بعض أهل العلم يشترط مع ذلك أن يفهم العلم (=الحجة)، فيما لو سأل أهل العلم، أو تعرَّف على كلامهم.

والمراد بفهم العلم هنا مطلق الإدراك، ولا يشترط أن يفهم العلم (الحجة) كما فهمه أبو بكر وعمر، لأنه فرق بين مطلق الفهم الذي هو الإدراك، وبين الفهم المطلق الذي هو الفهم التام الموجب للانقياد.

ويترتب على اشتراط فهم الحجة (=العلم) الخلاف بينهم في اعتبار غير المتمكِّن من العلم؛ فهو عند من يشترط فهم الحجة صنفان من الناس: من لم يتمكَّن من العلم أصلاً، ومن تمكَّن من العلم بسؤال أهل العلم، إلا أنه لم يفهم العلم. وأما من لا يشترط فهم الحجة فغير المتمكِّن من العلم عنده صنف واحد، وهو من عجز عن العلم فلم يتمكَّن من تحصيله؛ كمن يعيش في شاهق، أو باديةٍ بعيدةٍ عن أهل العلم، أو كان حديثَ

---

(١) الرد على المنطقيين ص: ٩٩.

(٢) انظر: نونية ابن القيم مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩، ٢٠/ ٥٩)، والتشريع الجنائي (١/ ٤٣٠).

العَهْدِ بالإسلام. أما من تمكَّن من العلم بسؤال أهل العلم، إلا أنه لم يفهم العلم، فهو عنده في حكم المتمكِّن من العلم، لأن الحجة تقوم عنده بمجرَّد بلوغ العلم.

ومثَّلوا للمتمكِّن من العلم بمن يقيم بين مسلمين، أهل العلم بينهم متوافرون، أو من كانت كتب أهل العلم بين يديه، وأمكنه الرجوع إليها[(١)]، فهذا غير معذور بجهله عند من لا يتصوّر الجهل في هذه المسائل إلا عن تفريط وتقصير، ولا يعتبر مع ذلك فهم الحجة شرطاً لقيْد التمكن من العلم؛ إذ يرى أن هذا مفرِّط في إزالة الجهل عن نفسه بسؤال أهل العلم، وأنه لو سأل لكانت الحجة مقامةً عليه بمجرّد بلوغه العلم؛ فإذا سمع من أهل العلم الآيات المبيّنة للشرك، فقد قامت عليه الحجة بذلك ، فهمها أو لم يفهمها. وأما من يتصوّر الجهل بهذه المسائل مع انتفاء التفريط والتقصير لعروض الشبهات التي تحول عنده دون التمكن من العلم، فقد يقول بعذره.

وكون المسلم يقيم بين ظهراني مسلمين، هذا لا يكفي بمجرَّده في توفر شرط إمكانية العلم -كما قد يقوله البعض-، إلا إذا كانت هذه المسائل منتشرة بينهم، يشترك غالب الناس في العلم بها، أو كان أهل العلم الذين ينبهون على هذه المسائل متوافرين. أما إذا غلب على البيئة الجهل،

---

(١) انظر: التشريع الجنائي (١/ ٤٣٠)، وفتاوى الشيخ ابن باز (٢/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩) طبعة دار الوطن، الرياض، الأولى (١٤١٦)هـ.

واندراس آثار النبوة، ولم يوجد من ينبِّه على هذه المسائل، فهـذه أوصـاف لا يتأتَّى معها شرط الإمكانية عندهم[١].

ومن الصور التي ينتفي معها شرط الإمكانية أيضاً، -وقد تقدم- : مـن نشأ ببادية بعيدة عن بلاد المسلمين، أو من كان قريب العهد بالإسلام، ولم يمكنه بعد التعرُّف على تفاصيل الإسلام، أو أسـلم في دار حـربٍ؛ لأنهـا ليست محلاً لشهرة الأحكام[٢].

إلا أن ههنا صورة قد تُلحق بقاعدة إمكانية العلم، وهي من نشأ ببادية بعيدة عن بلاد المسلمين، فوقع في نَـوْعِ شركٍ، ثـم حصـل عنـده شـكٌ في صحة ما هو عليه، فهذا يتعيَّن في حقه أن يهاجر في طلب دفع هـذا الشـك عن نفسه، وإلا كان مقصِّراً، وذلك لقيام المقتضي عنده للتعلُّم، وهو شكه في صحة ما هو عليه. ولا يُعذر بكونه بعيداً عن بلاد المسـلمين، لأن هـذا ممن يشمله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء: الآية ٩٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٠٧، ٣٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣١، ٣٥٤، ١١/ ٤٠٧)، وتعليق محمد رشيد رضا على رسالة "ما يعذر به وما لا يعذر به من الجهالة" للشيخ عبد الله أبا بطين، ضمن بضع رسائله الدينية في العقيدة الإسلامية (ص: ٤١) ،طبع مكتبة المنار، مصر، فتاوى الشيخ ابن باز (٢/ ٥٢٩) رقم (٩٢٦٠) ، ط: دار الوطن.

فيتبيّن مما سبق أن مورد النـزاع بينهم هو في صورة واحدة، وهي من نشـأ في بعـض الـبلاد الإسـلامية التـي انتشرـ فيهـا الشرـك والبدعـة والخرافة، وغلب عليها الجهل، ولم يوجد فيهم عالم يبين لهم ما هم فيـه من الضلال، أو وجد، ولكـن بعضـهم لم يسـمع بدعوتـه وإنـذاره، أو سمع، ولكن انطلت عليه شبهات المخالفين، ولم يتمكن من التمييز بين الحق والباطل. أما من كان حديث عهد بإسلام، أو نشـأ ببادية بعيـدة عن بلاد المسلمين، ولم يطرأ عليه الشك في صحة ما هو عليه، أو أسـلم في دار حربٍ، فهو معذور عند الجميع، وذلك لانتفـاء شرط التكليـف في حقه، وهو إمكانية العلم، أو قيام المقتضي للتعلُّم[1].

وبعدَ أن تحرّرَ مورد النـزاع، نعود إلى أصـل مسـألتنا، فنقـول: إن مـن عاش بين ظهراني مسلمين، وجهـل بعـض تفاصـيل مـا ينـاقض توحيـد العبادة، فالناس في الحكم عليه بالإعذار فريقان -، كما أشـار إلى الخـلاف في هذه المسألة سماحة الشيخ العلامة ابن باز-رحمه الله-؛ كما نقله صاحب كتاب سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسـلمين[2]، ونقله عن صاحب الكتاب أيضـاً سـماحة الشـيخ العلامـة عبـد المحسـن

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٣)، وشرح كشف الشبهات للشيخ ابن عثيمين (ص: ٣٨).
(٢) (ص: ٧٨).

العباد في شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب[(١)] -.

فريقٌ يرى أنه لا يُعذر؛ لظهور أدلة الشرك في الكتاب والسنة، وأن جاهل تلك الأدلة لا يخلو: إما أن يكون متجاهلاً قاصداً الكفرَ بقلبه، أو مفرِّطاً في رفع الجهل عن نفسه، وعلى هذا أكثر العلماء من أئمة الدعوة وفقهاء المذاهب[(٢)]، وهو مذهب جماعة من المتقدمين؛ منهم ابن جرير الطبري[(٣)] ـ رحمه الله ـ. وقد نقل بعض أهل العلم إجماع المتقدمين عليه، وممن نقل إجماعهم إسحاق بن عبد الرحمن كما في رسالته "حكم تكفير المعين"[(٤)]، وعبد الله أبا بطين كما في رسالته "الانتصار لحزب الله"[(٥)]. وفي نقل هذا الإجماع نظر كبير[(٦)].

---

(١) ص: (٧٠ ـ ٧٣).

(٢) انظر: الفروق للقرافي (جـ٢/ ١٥٠ ـ ١٥١)، شرح الشفا (٢/ ٤٣٨).

(٣) انظر: التبصير بمعالم الدين (ص: ١١٦ ـ ١١٧).

(٤) انظر: حكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة للشيخ إسحاق ضمن فتاوى الأئمة النجدية (٣/ ١١٨).

(٥) (ص: ٢٩) ضمن مجموعة ((عقيدة التوحيد)).

(٦) نقل الإجماع يصح إذا كان المراد بالجهل هنا: الجهل بمعرفة الله سبحانه وتعالى، فالجهل بمعرفة الله لا عذر لأحد من الخلق فيه إجماعاً، كما تقدم. أما تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة، فإن وقوع الخلاف فيها دليل على عدم الإجماع؛ فلو كانت مسألة إجماعية، لما ساغ الخلاف فيها أصلاً. أو يكون ذلك إجماعاً نسبياً، باعتبار العصور الأولى؛ حيث ظهور هذه المسائل، وعدم وقوع اللبس فيها.

وقسم يرى أنه قد يُعذر؛ لأن أدلة الشرك قد تخفى على بعض المكلَّفين مع بذلهم الجهد في طلبها، وذلك بسبب غلبة الجهل وعروض الشبهات التي قد تمنع من فهم تلك الأدلة على وجهها الصحيح. ومن هؤلاء ابن العربي[(١)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[(٢)]، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، والإمام الصنعاني[(٣)]، والشوكاني[(٤)]، ومحمد بشير السهسواني[(٥)]. وذهب إليه من المعاصرين المعلِّمي[(٦)]، والألباني[(٧)]،

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨). ولم أجده في مظانه من كتب ابن العربي.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ لا يعذر بالجهالة في العلم بأصل توحيد العبادة الذي هو الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة أحد سوى الله تعالى، ولكن يرى العذر في تفاصيل هذا التوحيد مثل: الجهل بكون الاستغاثة بغير الله شركاً، أو كون النذر لغير الله شركاً؛ فمتى جاء في كلامه عدم العذر بالجهالة في الشرك، فهو محمول على أصل التوحيد، ومتى جاء في كلامه العذر بالجهالة في مسائل الشرك، فهو محمول على الجهل بتفاصيل التوحيد وفروعه. ولذا جرى التنبيه حتى لا يتوهم التناقض في كلامه ـ رحمه الله-. وانظر: للمقارنة (٤/ ٥٤، ١٨/ ٥٤) مع تلخيص الاستغاثة (٢/ ٧٣١) والرد على الإخنائي (ص: ٦١ ـ ٦٢).

(٣) انظر: تطهير الاعتقاد المطبوع مع شرحه للشيخ علي بن سنان (ص: ١٢٠).

(٤) انظر: السيل الجرار (٤/ ٥٧٨).

(٥) صيانة الإنسان (ص: ٤٤٥).

(٦) انظر: رفع الاشتباه (ص: ٥٢ ـ ٥٣).

(٧) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٢ ـ ١١٣)، وفتنة التكفير (٤٩ ـ ٥٠)، وحكم تارك الصلاة (ص: ٥٥).

وابن عثيمين[١] والشيخ عبد الرزاق عفيفي[٢]، وقال به من المتقدِّمين ابن حزم الظاهري[٣] -رحمه الله.

قلت: وهذا التفصيل المتقدِّم هو في حق الجاهل المريد للعلم والهدى، إلا أنه لم يتمكن من العلم ولا تحصيله، ممن تلفظ بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

قال الشيخ محمد خليل هراس في بيان حال هؤلاء: «فهم قوم عجزوا عن الوصول إلى الحق، مع حسن قصدهم، وصلاح نياتهم، ومع إيمانهم بالله ورسوله، ورجاء لقائه، وهم ضربان:

قوم أُتوا من حسن ظنهم بأقوال شيوخ من أهل العلم، ذوي أسنان وشرف وحسن تدين واستقامة، ولم يجدوا سوى هذه الأقوال، فرضوا بها، واطمأنوا إليها، لحسبانهم أنها هي الحق، ولكنهم لو وجدوا من يدلهم على الحق، ويأخذ بيدهم إلى الهدى، لم يؤثروا عليه شيئاً، ولم يرضوا به بديلاً من أقوال أهل الكذب والبهتان. وحكم هؤلاء أنهم معذورون، لعدم تمكنهم من الهدى، بشرط أن لا يظلموا أهل الحق، ولا يكفروهم بالجهل والعدوان.

---

(١) انظر: شرح كشف الشبهات (ص: ٣٥)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

(٢) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧١، ١٧٢).

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٢٩٣).

وأما الآخرون فقوم يطلبون الحق، ويتلمسون الطريق إليه، ولكنهم مع اجتهادهم في البحث، وقراءتهم الكتب التي يقصدون منها الوصول إلى المعرفة، قد حال بينهم وبين الوصول إليه أمران:

أحدهما: أنهم طلبوا الحقائق من غير أبوابها، وسلكوا إليها غير طرقها، كمن تسوَّر الجدران إلى الدار، ولا يدخل من الباب.

وثانيها: أنهم سلكوا إليها طرقاً غير موصلة إلى اليقين بحقائق الإيمان، فالتبست عليهم تلك الأمور، كما تلتبس على السالك الحيران، فترى أفاضل هؤلاء ورؤساءهم حيارى في بيداء الضلال، يقرعون أسنانهم ندماً، ويقولون: قد كثرت علينا الطرق واشتبهت، فلا ندري أيَّها الطريق الموصل إلى الله! بل كلها طرق مخوفة مملوءة بالآفات، فينتهي بهم الأمر إلى التوقف، مع تحصيلهم لأركان الإيمان التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه والبعث بعد الموت. فهؤلاء أمرهم مردود بين أن يؤاخذوا بذنبهم، وبين أن يؤجروا على اجتهادهم، فلمن أصاب منهم أجران، ولمن أخطأ منهم أجر، وإما أن يتركوا لواسع مغفرة الله وعظيم رحمته»[1].

(١) شرح نونية ابن القيم (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

وأما الجاهل الذي كان متمكِّناً من العلم قد يُسرت لـه أسـبابه، إلا أنـه أعرض عن طلبه ركوناً إلى التقليد؛ فقد حكـى ابـن القـيم ـ رحمـه الله ـ في كفره قولين لأهل العلم، وتوقّف في حكمه[(١)].

تلك مجمل الأقوال في المسألة. وفيما يلي نذكر نماذج مـن هـذه الأقـوال مفصَّلة[(٢)]:

أولاً: نماذج من أقوال أصحاب القول الأول:

يقول الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه (الضياء الشـارق): «الوهابيـة لا يكفّرون إلا من كفره الله ورسـوله، وقامـت عليـه الحجـة التـي يكفـر تاركها، ولا يلزم من تكفير من قام به الكفر، وقامت عليه الحجـة، تكفـير جميع المسلمين؛ فإن هذا مـن اللـوازم الباطلـة والأقـوال الداحضـة. وأمـا تكفير الشخص المعين، فـلا مـانع مـن تكفـيره إذا صـدر منـه مـا يوجـب تكفيره؛ فإن عبادة الله وحده لا شريك له ـ من الأمور الضرـورية المعلومـة من دين الإسلام، فمن بلغته دعوة الرسول، وبلغـه القـرآن، فقـد قامـت

---

(١) انظر: الطرق الحكمية لابن القيم (ص: ١٧٤)، والنونية مع شرح الشيخ محمد خليل هرَّاس عليها (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٢) قلت: وبعض أهل العلم لا يرى خلافاً حقيقياً بينهم، بل يعزو القول بعدم عذر الجاهل إلى حقبٍ زمنية معينة انتشر فيها الحق؛ فتكون لاعتبارات متباينة ليست في اعتبارٍ واحد؛ ولكن مهما يكن من أمرٍ، فإن سبب الخلاف بينهم أمر لا ينضبط، ولا يمكن التواطؤ عليه لأنه شيء نسبي، وهو التقصير في طلب الحجة أو عدمه، لأنه تكتنفه أمور كثيرة، كما سيأتي.

عليه الحجة، وأما الأمور التي لا يكفر فاعلها حتى تقوم عليه الحجة، إنما هو في المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها. وأما عبَّاد القبور فهم عند السلف وأهل العلم، يسمون الغالية؛ لأن فعلهم غلو يشبه غلو النصارى في الأنبياء والصالحين وعبادتهم، فمسألة توحيد الله وإخلاص العبادة له لم ينازع في وجوبها أحدٌ من أهل الإسلام، لا أهل الأهواء ولا غيرهم، وهي معلومة من الدين بالضرورة، كل من بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه، عرف أن هذا زبدتها وحاصلها، وسائر الأحكام تدور عليه»[١].

وهذا القول يقرِّر أن تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة ظاهرة في نصوص الكتاب والسنة، وأن الحجة تقوم على المكلَّفين بمجرَّد بلوغ تلك التفاصيل إليهم. وهذا منزع من لا يرى العذر بالجهل في هذه التفاصيل؛ إذ هي عنده من أعظم ضرورات الدين التي بيَّنها الإسلام، ولذا فهو لا يَتصوَّر الجهل بها إلا مع التقصير والتفريط في طلب العلم بها؛ والمفرِّط لا يُعذر بإجماع العلماء.

وهذا ما قرَّره ابن سحمان ـ رحمه الله ـ في موضع آخَر حيث قال: « إن الشرك الأكبر من عبادة غير الله، صرفها لمن أشركوا به مع الله من الأنبياء،

(١) الضياء الشارق في الرد على المازق المارق: (ص:٢٩٠). ط: المنار. وانظر: كشف الشبهتين (ص: ٩٣).

والأولياء والصالحين، فإن هذا لا يعذر أحد في الجهل به، بل معرفته والإيمان به من ضروريات الإسلام»[١]. أ.هـ.

ومن الجدير بالذكر أن لابن سحمان قولاً آخر في المسألة، يقرر فيه أن الجهل في مسائل الشرك مانع من التكفير، وهو قوله: « ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصرَّ مستكبراً معانداً؛ كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرَّمات»[٢].

ومن الأقوال المقرّرة للقول بعدم الإعذار بالجهالة أيضاً في مسائل الشرك الأكبر، ما قاله الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ[٣] ـ رحمه الله ـ: «وأما قوله: نقول: بأن القول كفر، ولا نحكم بكفر القائل؛ فإطلاق هذا جهل صرف؛ لأن هذه العبارة لا تنطبق إلا على المعين. ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، لكنّ الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره

(١) فتاوى الأئمة النجدية، (٣/ ٢٣١).

(٢) الهدية السنية (ص: ٤٦).

(٣) هو: إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من علماء نجد المحققين، كان آية في الفهم والحفظ والذكاء، أخذ العلم عن والده عبد اللطيف، وعنه أخذ: ابنه الشيخ محمد بن إبراهيم، وابنه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، والشيخ سليمان بن سحمان، وغيرهم، توفي بمدينة الرياض في شهر ذي الحجة عام (١٣٢٩) هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤٩).

حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا في المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، كما في مسائل القدر، والإرجاء، ونحو ذلك مما قاله أهل الأهواء؛ فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد أدلة الكتاب والسنة المتواترة، فيكون القول المتضمن لردّ بعض النصوص كفراً، ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع؛ كالجهل، وعدم العلم بنقض النص، أو بدلالته، فإن الشرائع لا تلزم إلا بعد بلوغها. ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في كثير من كتبه، وذكر أيضًا تكفير أناس من أعيان المتكلمين، بعد أن قرر هذه المسألة، قال: (وهذا إذا كان في المسائل الخفية، فقد يقال بعدم التكفير. وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يعلم من الدين بالضرورة، فهذا لا يتوقف في كفر قائله)[1]. أ.هـ.

ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجة ووضوح المحجة.

وأما قوله : وهؤلاء فهموا الحجة. فهذا مما يدل على جهله، وأنه لم يفرق بين فهم الحجة، وبلوغ الحجة؛ ففهمها نوع، وبلوغها نوع آخر؛ فقد تقوم الحجة على من لم يفهمها . وقد قال شيخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كلام له : فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي

(١) ذكره بالمعنى. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٥٤).

حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسائل خفية؛ مثل مسألة الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرف. وأما أصول الدين التي وضّحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن، فقد بلغته الحجة. ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة؛ فإن الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٤٤] إلى قوله: ﴿سَبِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[سورة الإسراء: الآية ٤٦] فقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمها نوع آخر، وكفّرهم الله ببلوغها إياهم، مع كونهم لم يفهموها .. إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى»[1].

وهذا النص يُقرِّر ما أشرتُ إليه آنفاً من عدم اعتبار فهم الحجة شرطاً لقيد التمكن عند أصحاب هذا القول، لأن العبرة عندهم ببلوغ الحجة، لا بفهمها.

ومن هذه النصوص المقرّرة لعدم الإعذار بالجهالة في مسائل توحيد العبادة أيضاً قول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ : « ولا ريب: أن الله تعالى لم يعذر أهل الجاهلية الذين لا كتاب لهم، بهذا

(١) فتيا في تكفير الجهمية (ص:١٥٨ ـ ١٦٠).

الشرك الأكبر، فكيف يعذر أمة كتاب الله بين أيديهم، يقرؤونه ويسمعونه وهو حجة الله على عباده»[(١)].

وقوله أيضاً: «والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة، وذكروا باب حكم المرتد، ولم يقل أحد منهم: أنه إذا قال كفراً أو فعل كفراً، وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين، أنه لا يكفر لجهله. وقد بيَّن الله تعالى في كتابه: أن بعض المشركين جهَّال مقلدون، فلم يرفع عقاب الله بجهلهم وتقليدهم»[(٢)]. أ.هـ.

هذه بعض النُّقول لأصحاب القول الأول، وهي دالة على عدم الإعذار بالجهالة في مسائل التوحيد، إذ يعدُّون هذه المسائل من أظهر شعائر الإسلام، وأوضح فرائضه، التي لا يخفى حكمها على الناس؛ ولذا لا يتصورون الجهل بها إلا مع التقصير والتفريط في طلب العلم بها، لا مع الاجتهاد في معرفتها وتحصيلها.

قلت: وبعض أهل العلم يرى أن هذه الأقوال تُنزَّل على حالات معيَّنة وهي: زمن انتشار الدعوة، وقوَّة أهل الحق وتميُّزهم، لأن الحق إذا كان له دولة وقوة كان ظاهراً؛ فلا يتصور الجهل به إلا مع التفريط

---

(١) فتاوى الأئمة النجدية (٣/ ٢٢٦) ط: دار ابن خزيمة، الرياض.

(٢) نفس المصدر (٣/ ٢٣٢). وانظر: الضياء الشارق (ص: ١٦٩)، وكشف الشبهتين (ص: ٩١ـ ٩٢).

والإعراض عن طلبه. لأنه وجد من أصحاب هذه الأقوال من له قول آخر في المسألة.

وهذا التأليف بين الأقوال المتعارضة في هذه المسألة ذهب إليه العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ، كما نقله عنه الشيخ صالح العبود ـ حفظه الله ـ في بعض دروسه بالمسجد النبوي الشريف، وأنا أسمع.

كما قد يُحمل كلامهم أيضاً على عدم الإعذار بالجهالة على من أمكنه السؤال والتعلُّم، ثم أعرض عنه، فهذا ليس بمعذور؛ فالجهل ليس عذراً بإطلاق كما تقدم. ولكن مهما يكن من أمر فإن أسباب الخلاف في هذه المسألة أمور لا تنضبط، لأن الخلاف مبني فيها على التقصير وعدمه، والتقصير أو عدمه تكتنفه أمور كثيرة، كما سيأتي عند الترجيح بين هذه الأقوال، ولذا فالقول بأن هذه المسألة ترجع إلى تحقيق كفر الأعيان، لا في أصل المسألة، فيه وجاهة كما تقدم، والله تعالى أعلم.

ثانياً: نماذج من أقوال أصحاب القول الثاني في المسألة:

يقول أبو بكر ابن العربي ـ رحمه الله ـ: « فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة لو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى تتبين له الحجة، التي يكفر تاركها، بياناً واضحاً ما يلتبس على

مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً قطعياً، يعرفه كل من المسلمين من غير نظر وتأمل»(١).

فهذا نص صريح من ابن العربي ـ رحمه الله ـ في تقرير العذر بالجهالة في مسائل الشرك، وأنه لا يكفر جاهل تلك المسائل إلا بعد أن نبين له الحجة بياناً يفهمه، ويزيل اللبس عنده.

ويقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «كذلك من دعا غير الله، وحج إلى غير الله، هو أيضاً مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم، كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم صغار من لبد وغيره، وهم يتقربون إليها ويعظِّمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرَّم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضاً، ولا يعلمون أن ذلك محرم، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام، ولا يعلم أنه شرك. فهذا ضال وعمله الذي أشرك فيه باطل، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢].

---

(١) نقلاً عن محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٨) ولم أجده في مظانه من كتب ابن العربي رحمه الله.

وفي صحيح أبي حاتم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمـل»، فقـال أبـو بكـر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف ننجو منـه؟ قـال: «قـل: اللهـم إني أعـوذ بـك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم». وكذلك كثير من الـداخلين في الإسلام يعتقدون أن الحج إلى قبر بعض الأئمـة والشـيوخ أفضـل مـن الحج، أو مثله، ولا يعلمون أن ذلك محرم، ولا بلَّغهم أحـدٌ أن هـذا شرك محرم لا يجوز. وقد بسطنا الكلام في هذا في مواضع»[1].

فهذا نص صريح من كلام شيخ الإسلام -رحمـه الله- يـدل عـلى ضرورة إقامة الحجة على جاهل ما يناقض توحيد العبادة مـن الشرـك، وأنـه معـذور بجهله -ما لم يكن مفرِّطاً-، حتى تقوم عليه الحجة، وتظهر له المحجة.

وقد بيّن -رحمه الله- في موضع آخَر أن هذا -يعنـي الوقـوع في الشرـك-، إنما يحصل بسبب غلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة، ولذا لا سـبيل إلى تكفيرهم، فقال ـ رحمه الله ـ: « فإنا بعد معرفة ما جـاء بـه الرسـول نعلـم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأمـوات؛ لا الأنبيـاء، ولا الصـالحين، ولا غـيرهم، لا بلفـظ الاسـتغاثة، ولا بغيرهـا، ولا بلفـظ الاستعاذة، ولا بغيرها، كما أنه لم يشرـع لأمتـه السـجود لميـت، ولا لغـير ميت، ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمـور، وأن ذلـك مـن

---

(١) الرد على الإخنائي (ص: ٦١ ـ ٦٢).

الشرك الذي حرَّمه الله تعالى ورسوله؛ لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك، حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يخالفه»[١] . أ.هـ.

وقال أيضاً: « وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها؛ فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق، وأخطأ، فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية. هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجماهير أئمة الإسلام»[٢].

وقال تلميذه ابن القيم ـ رحمه الله ـ: « نعم، لا بد في هذا المقام من تفصيل به يزول الإشكال، وهو الفرق بين مقلِّد تمكن من العلم ومعرفة الحق، فأعرض عنه، ومقلِّد لم يتمكن من ذلك بوجه، والقسمان واقعان في الوجود؛ فالمتمكن المعرض مفرِّط تارك للواجب عليه، لا عذر له عند الله، وأما العاجز عن السؤال والعلم الذي لا يتمكن من العلم بوجه، فهم قسمان أيضاً: أحدهما مريد للهدى، مؤثر له، محب له، غير قادر عليه، ولا على طلبه لعدم من يرشده. فهذا حكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم

---

(١) الرد على البكري (٢/ ٧٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٦). وانظر: نفس المصدر (١٢/ ١٨٠).

تبلغه الدعوة. الثاني معرض لا إرادة لـه، ولا يحـدث نفسـه بغـير مـا هـو عليه. فالأول: يقول يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليـه لـدنت بـه، وتركت ما أنا عليه، ولكن لا أعرف سـوى مـا أنـا عليـه، ولا أقـدر عـلى غيره، فهو غاية جهدي ونهاية معرفتي. والثاني راض بما هو عليه، لا يـؤثر غيره عليـه، ولا تطلـب نفسـه سـواه. ولا فـرق عنـده بـين حـال عجـزه وقدرته، وكلاهما عاجز. وهذا لا يجـب أن يلحـق بـالأول لمـا بيـنهما مـن الفرق؛ فالأول كمن طلب الدين في الفترة، ولم يظفر به، فعـدل عنـه بعـد استفراغ الوسع في طلبه عجزاً وجهلاً؛ والثاني كمن لم يطلبه، بل مات على شركه، وإن كان لو طلبه لعجـز عنـه، ففـرق بـين عجـز الطالـب وعجـز المعرض. فتأمل هذا الموضع، والله يقضي بين عبـاده يـوم القيامـة بحكمـه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع بـه في جملة الخلق. وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجـة أم لا، فـذلك ما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بـل الواجـب عـلى العبـد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهـو كـافر، وأن الله سـبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هـذا في الجملـة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه. هذا في أحكـام الثـواب والعقـاب. وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر»[١].

(١) طريق الهجرتين (ص: ٦٠٩ ـ ٦١٠).

ثم ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أربعة أصولٍ عظيمة نافعة في هذه المسألة، بيَّن أنه بها يزول الإشكال في هذه المسألة العظيمة، فقال ـ رحمه الله ـ: « وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة، وهو مبني على أربعة أصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الملك: الآيتان ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٠]. وهذا كثير في القرآن؛ يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة، وهو المذنب الذي يعترف بذنبه، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الزخرف: الآية ٧٦]، والظالم من عرف ما جاء به الرسول، أو تمكن من معرفته بوجه. وأما من لم يعرف ما جاء به الرسول، وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم.

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين؛ أحدهما: الإعراض عن الحجة، وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها. الثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها؛ فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه، حتى تقوم حجة الرسل.

والأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص.....

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها، وأنها مقصودة لغاياتها المحمودة وعواقبها الحميدة، وهذا الأصل هو أساس الكلام في هذه الطبقات....» أ.هـ[(١)].

فكلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ ظاهر في التفريق في الإعذار بالجهالة في المسائل المكفِّرة بين متمكِّنٍ من تحصيل العلم ومعرفته، وبين عاجز عن العلم مع شدة طلبه وإرادته؛ فالأول لا يُعذر بجهله؛ لتفريطه، والثاني يُعذر لعدم تفريطه. وقد بنى ذلك على هذه الأصول الأربعة المتقدم ذكرها في كلامه رحمه الله.

ومن الأقوال المقرِّرة للإعذار بالجهالة في تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة أيضاً، ما جاء عن إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٦١٠ ـ ٦١٢).

الله ـ، حيث يقول: « وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله؟! إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: الآية ١٦]»(١).

وقال أيضاً: « الثالثة: تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه ونفَّر الناس عنه، وجاهد من صدَّق الرسول فيه، ومن عرف الشرك وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بإنكاره، وأقر بذلك ليلاً ونهاراً، ثم مدحه وحسَّنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم. وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»(٢).

وقال أيضاً: «ما ذُكر لكم عني أني أكفر بالعموم فهذا بهتان الأعداء، وكذلك قولهم إني أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده، أنه ما يكفيه، حتى يجيء عندي. فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله، في أي أرض كانت. ولكن نكفر من أقر بدين الله ورسوله، ثم عاداه وصد الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعد ما عرف أنه دين

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤).

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في العقيدة (ص: ٢٥).

المشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره. وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء، إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً»[(١)].

فقوله ـ رحمه الله ـ (نكفر.. من عبد الأوثان بعد ما عرف دين المشركين) صريح في أنه لا يكفِّر الجاهل الذي ما عرف دين المشركين، ولو عبد الأوثان -أعني في الحقيقة لا في الإسم، لأنه لو سمى شركه عبادة لغير الله لكُفِّر ابتداءً، لأنه لا عذر بالجهل في ترك العلم الجملي بمعنى الشهادة كما تقدم- ، وهذا من فقهه وورعه ـ رحمه الله ـ حيث لا يرى التكفير ، إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.

كما قد شهد له بعدم تكفير جاهل تفاصيل التوحيد الذي لم تقم عليه الحجة أحفادُه وأولادُه، فقال عنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «والشيخ محمد -رحمه الله- من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها، قال في بعض رسائله: « وإذا كنا لا نقاتل من يعبد قبة الكواز، حتى نتقدم بدعوته إلى إخلاص الدين لله، فكيف نكفر من لم يهاجر إلينا، وإن كان مؤمناً موحداً؟ وقال: وقد سئل عن مثل هؤلاء

---

(١) المصدر نفسه (ص: ٥٨) أو الدرر السنية (٨/ ١٠٧).

الجهال. فقرر أن من قامت عليه الحجة، وتأهل لمعرفتها، يكفر بعبادة القبور»[١].

وقال أيضاً: « وشيخنا ـ رحمه الله ـ لم يكفر ابتداء بمجرد فعله وشركه، بل يتوقف في ذلك، حتى يعلم قيام الحجة التي يكفر تاركها، وهذا صريح في كلامه في غير موضع، ورسائله في ذلك معروفة»[٢].

وقال الشيخ أبو المعالي محمود شكري الألوسي ـ أحد أنصار دعوة الشيخ في العراق في رده الشهير على النبهاني صاحب كتاب (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق): « والذي تحصَّل مما سقناه من النصوص: أن الغلاة ودعاة غير الله وعبدة القبور إذا كانوا جهلة بحكم ما هم عليه، ولم يكن أحد من أهل العلم قد نبههم على خطئهم، فليس لأحد أن يكفرهم، وأما من قامت عليه الحجة وأصرّ على ما عنده واستكبر استكباراً، أو تمكن من العلم فلم يتعلم، فسنذكر حكمه في الآتي....»[٣].

ومن أقوال أهل العلم في تقرير عذر الجاهل بتفاصيل توحيد العبادة ما جاء عن الشوكاني ـ رحمه الله ـ في صدد بيانه لخطورة تكفير المسلم الجاهل والمتأول، حيث يقول: « فلا بد من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس (ص: ٩٨ ـ ٩٩). وانظر: الضياء الشارق (ص: ١٦٨).

(٢) مصباح الظلام (ص: ٥١٦).

(٣) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٦).

به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طـوارق عقائـد الشرـك، لا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفـظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه»[1].

ومن الأقوال المقـررة لهـذا القـول أيضـاً، قـول الشـيخ العلامـة ابـن عثيمين -رحمه الله- حيـث يقـول: « وهـذه المسـألة تحتـاج إلى تفصـيل، فنقول: الجهل نوعان: جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيـه، فـما كان ناشئاً عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم، فإنه لا يعـذر فيـه، سواء في الكفر أو في المعاصي، وما كان ناشئاً عن خلاف ذلك، أي أنـه لم يهمل ولم يفرِّط ولم يقم المقتضي للتعلم، بأن كان لم يطرأ على بالـه أن هـذا الشيء حرام؛ فإنه يعذر فيه، فإن كان منتسباً إلى الإسـلام؛ لم يضرـه، وإن كان منتسباً إلى الكفر، فهو كافر في الـدنيا، لكـن في الآخـرة أمـره إلى الله على القول الراجح، يمتحن؛ فإن أطـاع دخـل الجنـة، وإن عصىـ دخـل النار»[2].

ومن أقوال المعاصرين المقررة لهذا القول أيضاً قول العلامـة الألبـاني ـ رحمه الله ـ، حيث يقول: «والصواب الذي تقتضيه الأصـول والنصـوص

---

(١) السيل الجرار (٤/ ٥٧٨).

(٢) القول المفيد (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤).

التفصيل؛ فمن كان من المسلمين يعيش في جوٍّ إسلامي علميٍّ مصفًّى، وجهل من الأحكام ما كان منها معلوماً من الدين بالضرورة ـ كما يقول الفقهاء ـ، فهذا لا يكون معذوراً؛ لأنه بَلَغَتْهُ الدعوة، وأقيمت عليه الحجة. وأما من كان في مجتمع كافر لم تبلغه الدعوة، أو بلغته وأسلم؛ ولكن خفي عليه بعض تلك الأحكام لحداثة عهده بالإسلام، أو لعدم وجود من يبلغه ذلك من أهل العلم بالكتاب والسنة؛ فمثل هذا يكون معذوراً. **ومثله ـ عندي ـ أولئك الذين يعيشون في بعض البلاد الإسلامية التي انتشر فيها الشرك والبدعة والخرافة، وغلب عليها الجهل، ولم يوجد فيهم عالم يبين لهم ما هم فيه من الضلال، أو وُجِدَ ولكن بعضهم لم يسمع بدعوته وإنذاره؛ فهؤلاء معذورون** بجامع اشتراكهم مع الأولين في عدم بلوغ دعوة الحق إليهم؛ لقوله تعالى: ﴿**لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ**﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٩]، وقوله: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥]، ونحو ذلك من الأدلة التي تفرَّع منها تبنِّي العلماء عدم مؤاخذة أهل الفترة؛ سواء كانوا أفراداً أو قبائل أو شعوباً؛ لاشتراكهم في العلة، كما هو ظاهر لا يخفى على أهل العلم والنُّهى»[1]. أ.هـ.

فهذه بعض النصوص من أقوال من يرى العذر بالجهل في تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة، مع انتفاء التفريط والتقصير. وهي صريحة في

---

(١) السلسلة الصحيحة (٧/ ١١٢ ـ ١١٣). وانظر: ما نقله عنه صاحب كتاب سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين (ص: ٨١ ـ ٨٢).

تقرير هذا القول، وقد أَفَضتُ في ذكر النقول عن شيخ الإسلام، والشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى- في تقرير هذه المسألة، وذلك إبراءً لساحتهما مما قد يُنسب إليهما من التكفير بالتعيين، وعدم الإعذار للجاهلين في مسائل التوحيد.

وأما ما جاء عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ من عباراتٍ تدل على أنه لا يرى العذر بالجهل، فهذا يُحمل؛ إما على زمن انتشار الدعوة وتيسُّر العلم لكل من طلبه، أو يحمل على من أمكنه التعلُّم ثم أعرض عنه؛ إذ الجهل ليس عذراً بإطلاق، والثاني متفرع عن الأول.

الترجيح:

بعد عرض هذه الأقوال وبيان مأخذِها، فالذي ترجَّح في نظري -والعلم عند الله- مذهبُ من يتصوَّر العذر بالجهل في تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة، وذلك لقوة ما اعتلّ به أصحاب هذا الرأي من جهة النظر -أعني قولهم: بأن هذه التفاصيل قد تخفى على بعض المكلَّفين مع بذلهم الجهد في طلبها، نظراً لعروض الشبهات التي قد تحول دون فهمها-؛ وخفاء الحق بسبب قيام الشُّبه مع انتفاء التقصير في طلب الحق موجب للإعذار، ومانع للإكفار بإجماع العلماء.

يقول الشيخ السّعدي ـ رحمه الله ـ: «إنّ المتأوّلين من أهل القبلة الذين ضلّوا وأخطأوا في فهم ما جاء به الكتاب والسّنة، مع إيمانهم بالرسول، واعتقادهم صدقه في كلّ ما قال، وأنّ ما قاله كلّه حقّ، والتزموا ذلك،

لكنهم أخطأوا في بعض المسائل الخبريّة أو العمليّة، فهؤلاء دلّ الكتاب والسّنة على عدم خروجهم من الدّين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصّحابة ﷺ والتّابعون ومَنْ بعدهم من أئمة السّلف على ذلك»[1].

وأما قول بعض المانعين من الإعذار بأن الحجَّة تقوم بمجرَّد بلوغها ـ ولو لم يفهمها المكلَّف[2] ـ فهو ضعيف، لأنه تكليف بما لا يُستطاع؛ إذ كيف يكلَّف العبد بما يَعجز عن فهمه؟ هذا ينافي حكمة التشريع في رفع الحرج والعنت عن هذه الأمة، وهو أمر ممتنع في دين الله تعالى.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ: «في هذه المسألة نظر ـ أي: كون الحجة تقوم بمجرد بلوغ الحجة، ولا يشترط لها فهم الخطاب ـ وقد اختلف فيها كبار علماء نجد المعاصرون في مجلس الإمام عبد العزيز بن فيصل آل سعود بمكة المكرمة، فكانت الحجة للشيخ عبد الله

---

(١) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (ص: ٢٠٧). وانظر: منهاج السنة (٤/ ٤٥٤، و٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)]، وفتح الباري (١٢/ ٣٠٤).

(٢) انظر: الضياء الشارق (ص: ١٦٩)، وكشف الشبهتين (ص: ٩١ ـ ٩٢)، وحكم تكفير المعين والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة للشيخ إسحاق ضمن فتاوى الأئمة النجدية (٣/ ١٢٤)، وفتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (١/ ٥٠)، والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل وحكم من يكفر غيره من المسلمين (ص: ١١ ـ ١٢).

بن بليهد[١] بأن العبرة بفهم الحجة لا بمجرد بلوغها من غير فهم. وأورد لهم نصاً صريحاً في هذا من كلام المحقق ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فقنعوا به»[٢]. أ.هـ.

وأما استدلالهم عليه ـ أعني القول بأن الحجة تقوم بمجرَّد بلوغها، ولا يشترط لها فهم الخطاب ـ بقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٩]: فهو استدلال بالآية في غير محلِّها؛ فإن الآية ـ كما يظهر من سباقها وسياقها ـ هي في حق الكافر تبلغه الدعوة إلى الإسلام، فإنَّ الحجَّة تكون مقامةً عليه بمجرَّد بلوغ القرآن إليه، ويدلّ لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٣]؛ فمن بلغه

---

(١) هو: عبد الله بن سليمان بن سعود بن بليهد، من علماء نجد، كان جيد الفهم، فصيحاً بليغاً، واسع المعرفة بالأدب الجغرافي في شبه الجزيرة، وانفرد بمعرفة الأماكن الوارد ذكرها في شعر المتقدمين، ولي رئاسة القضاة بمكة، ثم عيِّن في قضاء المدينة، وتوفي سنة (١٣٥٩هـ). من آثاره: رسالة في مناسك الحج، وله رسالة في الرد على مدعٍ للخلافة نشرت في جريدة أم القرى في (٤/ ٦/ ١٣٤٥هـ).انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٢٤)، وكتاب قضاة المدينة المنورة (١/ ٨٠ ـ ٨١).

(٢) من تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا على رسالة ما يعذر به وما لا يعذر به من الجهل للشيخ عبد الله بابطين، ضمن مجموع بضع رسائل دينية في العقائد الإسلامية (ص: ٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القرآن من أصناف الكفار، فقد قامت عليه الحجة بذلك، فلا عذر له بعد ذلك في ترك الإسلام، وذلك لأن دين الإسلام موافق للفطرة التي خُلق عليها الإنسان، فلا يردّه إلا جاحد مكابر[1]، كما قال تعالى في شأن الكافرين المعارضين لدعوة النبي ﷺ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل: الآية ١٤]؛ والجحد والمكابرة يستلزمان العلم والفهم، لأنهما لا يكونان إلا بعد معرفة الهدى والحق، فدل على أن القرآن إذا بلغ الكافر تبيّن له أنه الحق، فلا يحيد عنه بعد ذلك إلا عن عنادٍ واستكبار، لا عن جهلٍ واشتباه.

أو يقال: هي في قطع العذر في العلم الجُمَلي لا التفصيلي، وذلك جمعاً بين هذه الآية والنصوص الدالة على إعذار الجاهلين.

أو يقال: إن المقصود بالبلوغ أن يبلغه القرآن على وجهٍ يفهمه لو أراد ذلك حتى تقوم به عليه الحجة، فتكون الآية عامة في حق الكافر والمسلم.

ومما استدلوا به أيضاً لتقرير هذا القول: قولهم بأنّ الكفار الذين بُعِث فيهم النّبي ﷺ قامت عليهم الحجّة بسماع القرآن، مع وصف الله تعالى لهم بعدم العقل والسمع، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي (ص: ٢٥٣) [تفسير آية الأنعام ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾].

﴿أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، [سورة الفرقان: الآية ٤٤].
وغيرها من الآيات في هذا المعنى، مما يدلّ على قيام الحجّة ببلوغها، وإن لم يفهمها المخاطَب(١).

ويقال في الجواب عن ذلك أن المنفي في هذه الآيات ليس هو موجب السَّمْع والعقل من الفهم عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما المنفي فيها عدم انتفاعهم بهذه الآلات في قبول الهُدَى والحق، لما في قلوبهم من الإعراض المانع لهم من ذلك؛ فالسماع يطلق ويُراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضاً الانتفاع به والاستجابة له، والمراد بهذه الآيات الثاني، دون الأول، فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى، ولا للإيمان إذا دعوا إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٧٩] في نفي السماع والإبصار عنهم؛ لأن الشيء قد يُنفى لانتفاء فائدته وثمرته(٢).

يقول الشوكاني ـ رحمه الله ـ: في تفسير الآية ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: « أي: ما

(١) انظر: رسالة تكفير المعين، والفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، (ص: ٩).
(٢) انظر: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، لابن رجب الحنبلي ص: ٧٧ ـ ٧٨.

هم في الانتفاع بما يسمعونه إلا كالبهائم التي هي مسلوبة الفهم والعقل، فلا تطمع فيهم، فإن فائدة السمع والعقل مفقودة، وإن كانوا يسمعون ما يقال لهم، ويعقلون ما يتلى عليهم، ولكنهم لما لم ينتفعوا بذلك، كانوا كالفاقد له»[١].

كما أن القول بعدم الإعذار بالجهالة مُبنىً في الأصل على التقصير في طلب الحجة؛ والحكم على المكلَّف بالتقصير أمر في غاية العسر والصعوبة، وذلك لأن التقصير تكتنفه أمور كثيرة. منها: تمكُّن الشبهة في النفس، مما قد يحول دون تمكنها من فهم العلم. ومنها أيضاً: تقصير العالم في كمال البيان الكافي لإقامة الحجة وإزالة الشبهة. ومنها كذلك: أن لا يقوم المقتضي للتعلُّم بأن كان لم يطرأ على بال المكلَّف أن هذا الشيء محرَّم أصلاً، أو لم يحصل له فيه اشتباه، أو لم يبلغه فيه خلاف، وما إلى ذلك من الحواجز التي تحول دون معرفة الحق، أو السعي في طلبه.

وقد أشار لذلك الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حيث يقول ـ رحمه الله ـ:

«إن وجوب الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر، وما يتصل بذلك من أصول وفروع بمقتضاه: يتوقف على البلاغ الصحيح، ومعرفة ما تضمنه البلاغ من الحق، وهذا مما يتفاوت بتفاوت

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ١١٢).

الناس في مداركهم وقواهم العقلية، وكثرة العلماء والدعاة إلى الإسلام، وما إلى هذا مما يتيسر معه معرفة الحق وتأييده، واستبانة الباطل وتميزه من الحق والقضاء عليه، أو بُعدهم عن ديار الإسلام والدعاة إليه، وما إلى ذلك من الحواجز التي يشق معها الوصول إلى معالم شرع الله تعالى، والوقوف على حقيقة جمله، أو التبحر فيه.

فيجب أن يراعى ذلك وأمثاله في الحكم على الناس، فقد يجب على بعض الناس الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله إجمالاً، إذا لم يبلغه إلا ذلك، ولم يتيسر له سواه مع بذله وسعه في التعرُّف عليه»(١).

وأيضاً: فالظهور والخفاء ـ الذي فرّقوا به في الإعذار وعدمه ـ أمر نسبي إضافي، يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فما يكون ظاهراً في زمان، قد يكون خفياً في آخر، وما يكون ظاهراً في مكان، قد يكون خفياً في آخر،وما يكون ظاهراً عند زيدٍ، قد يكون خفياً عند عمروٍ، وذلك بحسب ظهور دين الإسلام، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ـ رحمه الله(٢).

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص: ٣٧٣ ـ ٣٧٤)، نشر دار الفضيلة، ط: الثانية (١٤٢٠) هـ.

(٢) انظر: نقض أساس التقديس (ص: ٥) بتحقيق د. موسى الدويش، طبع: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى (١٤٢٥) هـ.

إذ الظهور والخفاء مردُّهما إلى أسباب كثيرة.

وفي ذلك يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

« إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر؛ إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له؛ فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً، ولا يتمكن من الفهم، وهو أحد الأربعة الذين يدلون على الله بالحجة يوم القيامة»[١].

ثم إن مما يبين أن تفاصيل ما يناقض توحيد العبادة مما يخفى على بعض المكلَّفين مع بذلهم الوسع في التعرف عليها: أن كثيراً من العامة بل وحتى من ينتسبون إلى العلم يجهلون أن الاستغاثة بغير الله ـ مثلاً ـ عبادة لهذا الغير، حيث يظنُّون أنها توسلٌ إلى الله تعالى بالأقربين في قضاء الحاجات[٢]، وربما عُمِّيَ وشُبِّه عليهم ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كحديث: «لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه»[٣]، وحديث « إذا انفلتت دابة أحدكم

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٦١١ ـ ٦١٢). وانظر: بغية المرتاد (ص: ٣١١).

(٢) انظر: معارج الألباب (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢)، بتحقيقي.

(٣) حديث موضوع: ذكره أصحاب الموضوعات في كتبهم وأشاروا إلى أنه موضوع. انظر: تمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع (ص: ١٣٣)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (ص:

فلينادِ: يا عباد الله احبسوا»[١]، وحديث « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»[٢] وغير ذلك مما يحتج به عباد القبور.

فلو علموا أن هذه الأحاديث مما لا يصح الاحتجاج به، وعلموا الفرق بين التوسُّل والدعاء لما أقدموا على الاستغاثة بغير الله، ولكن أُتوا من جهلهم لا من جهة تقصيرهم في طلب الهدى والحق.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا في بعض تعليقاته على أحد كتب أئمة الدعوة: « هذا الجواب صريح في عدم تكفير المستشفع الجاهل والمتأول؛

---

٢٨٨) رقم (٣٧٦)، وكشف الخفاء للعجلوني (٢/ ١٩٨) رقم (٢٠٨٧)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤٥٠).

وممن حكم عليه بالوضع أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٣٥)، و(١١/ ٥١٣)، والحافظ ابن حجر كما نقله عنه تلميذه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص: ٣٤٤) عند الحديث رقم (٨٤٤).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧)، وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٣٢٣) عن أبيه: مجهول، وأورده ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٢٣٢٦)، وقال: منكر الحديث.

وانظر: كلام الشيخ عبد الله البابطين في نقض استدالهم بهذا الحديث على جواز دعاء الأموات والغائبين في دحض شبهات من سوء الفهم لثلاثة أحاديث (ص: ٣٦ ـ ٣٨).

(٢) حديث موضوع: ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٨٥) رقم (٨٥) رقم (٢١٣) بلفظ: «إذا تحيرتم في الأمور، فاستعينوا بأصحاب القبور» وعزاه للأربعين لابن كمال باشا، المتوفى سنة (٩٤٠) هـ. انظر: ترجمته في معجم المؤلفين (١/ ١٤٨). وذكر هذا الحديث أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦)، وفي الاستغاثة (٢/ ٤٨٣)، وبيَّن أنه مكذوب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق العارفين بحديثه صلى الله عليه وسلم، ولم يروه أحد من العلماء، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة.

كالذي لا يقصد بالنداء دعاء العبادة، ولا يعتقد استقلال الرسول صلى الله عليه وسلم بالتأثير والشفاعة، وإنما يكفرون من أصر على دعاء غير الله فيما لا يطلب إلا منه **عناداً**»[1].

ويقول المعلِّمي ـ رحمه الله ـ: «ومن هنا يظهر أنه على فرض أن تكون بعض الأقوال والأعمال المنتشرة بين عوام المسلمين بعد القرون الأولى مناقضة لشهادة أن لا إله إلا الله، يكون عامتهم معذورين، لأن المشهور بين أهل العلم ـ فضلاً عن غيرهم ـ أن معناها: « لا واجب الوجود إلا الله»... فغالب الناس لا يظنون أن لها معنى غير ذلك، فلسنا نستطيع أن نحكم عليهم بالتقصير. وهناك أسباب أخرى تمنع الحكم عليهم بالتقصير، فوجب أن لا يحكم على مسلم قال أو فعل ما يكون مناقضاً للشهادة بأنه كافر أو مشرك، حتى يتبين لنا تقصيره. وما لم يتبين لنا تقصيره فهو عندنا مسلم، وقد يكون من خيار المسلمين وصالحيهم وأوليائهم. ولكن أُعيذك بالله أن يغرك الشيطان، فيقول لك: فأنت على هذا معذور، فيصدك بذلك عن البحث والتحقيق، فاحذر ذلك وإلا كنت مقصراً غير معذور. واعلم أننا لم نحكم على أكثر الناس بالتقصير؛ فإنما ذلك بحسب علمنا، وقد يكون كثير منهم في نفس الأمر مقصرين،

(١) تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا على الهدية السنية، (جمع وترتيب ابن سحمان) (ص: ٤٦).

ومن كان كذلك فهو في حكم الله كـذلك، ولا ينفعـه عـدم حكمنـا عليـه بذلك»[١] أ.هـ.

ويقول الشيخ العلامة مبارك الميليّ –رحمه الله–: ((نتج عن قلة الخـوض في هذا الموضوع –يعني: إهمال الكلام في الشرك– أن صار الشرك أخفـى المعاصي معنىً، وإن كـان أجلاهـا حكـماً. فلظهـور حكمـه ولكونـه مـن الضروريات ترى المسلمين عامتهم يتبرءون منه، ويغضبون كل الغضـب إذا نُسبوا إليه. ولخفاء معناه وقع من وقع منهم فيه وهم لا يشـعرون، ثُـمَّ وجد من أدعياء العلم من يُسمِّي لهم عقائد الشرك وأعماله بأسـماء تـدخل في عقائد الإسلام وأعماله))[٢] أ.هـ.

قلت: ومما يدل على رجحان القول بالإعـذار بالجهالـة في تفاصـيل مـا يناقض توحيد العبادة أيضاً، أن العلم المشترط مطلقاً في شروط لا إلـه إلا الله هو العلـم الإجمـالي لا التفصـيلي، والقـول بعـدم العـذر بجهـل هـذه التفاصيل يلزم منه أن يكون العلم التفصيلي داخلاً في العلم الإجمالي الذي لا يصح الإسلام ابتداءً إلا به.

وقد أوضح ذلك العلامة عبد الرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ، حيـث قـال في رد على سؤال نصه: ما هو العلم المشترط في شروط لا إلـه إلا الله؛ أهـو

(١) رفع الاشتباه (ص: ٥٢ ـ ٥٣).
(٢) تهذيب رسالة الشرك ومظاهره (ص: ١٥ ـ ١٦).

العلم الإجمالي بأنه لا يستحق العبادة إلا الله، أم لا بد من العلم التفصيلي بأن الذبح عبادة والنذر عبادة.. وهكذا؟ ـ فأجاب: « العلم المشترط هو العلم الإجمالي لا التفصيلي، ما هو بلازم أن يكون فيلسوفاً، بدليل حديث معاذ وسجوده للرسول صلى الله عليه وسلم، وقصة ذات أنواط. فالجهل بتفاصيل العبادة لا يمنع للحكم بالشخص بالإسلام»(١).

قلت: ويؤكد ذلك أن الرجل المسرف على نفسه الذي قال لبنيه: «إذا أنا مت فاسحقوني ثم أذروني في اليم. فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين»(٢) كان عنده إيمان مجمل بالبعث، ولم يكن عالماً بجميع تفاصيله، فعذَره الله. مما يدل على أن الشخص إذا جهل بعض تفاصيل أصول الإيمان، لا يكفر بذلك، ما لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

ووجه كونه أن معه إيماناً مجملاً بالبعث، أنه خشي أن يكون من جملة المبعوثين، فيحصل له العذاب والنكال لقاء تفريطه في جنب الله، ولذا أمر بنيه أن يفعلوا به ما يَظُنُّ أنه لا يُبعث مع فعله به. فهو شاك في قدرة الله في بعث نفسه، لا في بعث غيره؛ فلو كان شاكاً في قدرة الله على بعث جميع الخلق، لكفر.

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١/ ١٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ (جـ٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) ح (٧٥٠٦)، ومسلم في كتاب التوبة (٤/ ٢١٠٩).

وقد أشار لذلك شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ، فقال: « وأما تكفير من لم يكن منافقاً، فهذا فيه تفصيل قد بسطناه في غير هذا الموضع، وبيَّنَّا الفرق بين من قامت عليه الحجة النبوية التي يكفر تاركها، وبين المخطئ المجتهد في اتباع الرسول إذا اقتضى خطؤه نفي بعض ما أثبته، أو إثبات بعض ما نفاه، حتى نفس المقالة الواحدة يكفر بتكذيبها من قامت عليه الحجة دون من لم تقم عليه، كالذي قال: «إذا مت فاسحقوني ثم أذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين». فإن الإيمان بقدرة الله على كل شيء ومعاد الأبدان من أصول الإيمان، ومع هذا، فهذا لما كان مؤمناً بالله وأمره ونهيه، وكان إيمانه بالقدرة، والمعاد مجملاً، فظن أن تحريقه يمنع ذلك، فعل ذلك. ومعلوم أنه لو كان قد بلغه من العلم أن الله يعيده وإن حرق كما بلغه أنه يعيد الأبدان، لم يفعل ذلك»[1].

كما يدل عليه أيضاً من السنة حديث حذيفة -وله حكم الرفع-، الذي فيه: «يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقولان أدركنا آباءنا وهم يقولون: «لا إله إلا الله» . فقيل لحذيفة : ما يغني عنهم قول لا إله إلا الله، وهم لا يعرفون صلاة ولا زكاة ولا صوما ولا حجاً؟ قال: «تنجيهم من النار

(١) بغية المرتاد (ص: ٣٤٢).

تنجيهم من النار»[١]. فهؤلاء معهم إيمان مجمل بالإسلام، وجهل بكثير من تفاصيله، ومع ذلك نفعهم هذا الإيمان.

وقد بيَّن شيخُ الإسلام -رحمه الله -أنَّ ذلك يحصل -أي: الجهل بتفاصيل توحيد العبادة-، بسبب خفاء الحق؛ لفتور الوحي، واندراس آثار النبوة، وقلة دعاة العلم والإيمان، مما يدل على أن الظهور والخفاء أمر نسبي، لا ينضبط في مسائل دون أخرى[٢].

فخلاصة ما سبق: أن الجهل منه ما يرجع إلى فقد العلم الجُمَلي بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله، فهذا لا عذر فيه ولا شبهة. ومنه ما يرجع إلى فقد العلم التفصيلي بمعنى لا إله إلا الله، وهذا صاحبه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يكون مفرِّطاً في رفع الجهل عن نفسه، فهذا لا يُعذر باتّفاق، ولكن قد يختلفون في حكمه في الآخرة إذا لم يكن معذوراً في نفس الأمر: هل يُعاقب عقوبة الكافرين، أو يُعاقب عقوبة المذنبين؛ فيكون تحت المشيئة؟

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٤)، حديث رقم (٤٠٤٩)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٥٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٠). وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وصحَّحه الألباني في مواضع من كتبه، منها: حكم تارك الصلاة (ص:٥٣)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧١).

(٢) انظر: بغية المرتاد (ص: ٣١١)، ومجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٥).

الثانية: أن يكون بين ظهراني مسلمين، إلا أنه غلب عليه الجهل بسبب الشبهات . فهذا مختلف في إعذاره. والصحيح أنه يُعذَر.

ويُلحق به أيضاً في الحكم من لم يطرأ على باله أنَّ ما عليه شرك مخالف للتوحيد، وإن كان بين ظهراني مسلمين.

الثالثة: أن يكون حديث عهدٍ بإسلام، أو عاش في شاهق، أو بأرض بعيدة عن ديار المسلمين. فهذا يُعذَر باتفاق، ما دام أن العلم غير متيسِّر له. فمتى تيسّر له العلم، فله حكم أمثاله ممن تمكّن من العلم، فأعرض عن طلبه؛ فلا يكون معذوراً.

ومن هنا يُمكِن القول بأن الجهل بالتوحيد نوعان؛ جَهْلٌ يَدخل في مسائل العذر، وهو الجهل بالمعنى التفصيلي لكلمة الشهادة؛ وجهلٌ لا يَدخل في مسائل العذر، وهو الجهل بالعلم الجُملي بمعنى الشهادة. ووجه هذا التقسيم أن مسألة العذر بالجهل تُبحَث في حق من ثبت له عقد الإسلام[١] ، ثم وقع في شيء من النواقض جاهلاً، وذلك من أجل تطبيق الحكم عليه بالكفر أو عدمه. أما من لم يَثْبُت له عقد الإسلام- بجهله بالعلم الجملي لكلمة الشهادة كما تقدم- فهو كافر أصلي، فلا تُراعى فيه أحكام الجهل، ونحو ذلك من موانع التكفير.

---

(١) وهو من تلفظ بالشهادتين عالماً بمعناهما الجملي.

ثمرة الخلاف في هذه المسألة:

بعد ذكر كلام أهل العلم في هذه المسألة وتوجيه أقوالهم، ومعرفة أسباب الخلاف بينهم، فالذي يظهر اتفاق الفريقين في أصل تقرير هذه المسألة؛ وهي أن الجهل متى قام من غير تفريط، عذر به المخالف. فلما كان تحديد التفريط من عدمه أمراً نسبياً، وتكتنفه أمور كثيرة يصعب معها وضع ضابط له، حصل الخلاف في عذر الجاهل بتفاصيل التوحيد، لا في ذات الجهل بتفاصيل التوحيد؛ هل هو عذر أم ليس بعذر. وهذا ما دفع الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- إلى أن يقول: «الاختلاف في العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية، وربما يكون اختلافاً لفظياً في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر، أو هذا الفعل كفر، أو هذا الترك كفر، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضي في حقه وانتفاء المانع، أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات، أو وجود بعض الموانع» كما تقدم[1].

فينبغي التفطن إلى أصل الخلاف ومنشئه في هذه المسألة، وهو النظر في حال المعيّن، لا في أصل الجهل؛ هل هو بعذر أو ليس بعذر.

---

(١) في ص: ١٢.

وبذلك نخلص إلى أن هذه المسألة من مسائل الاجتهاد، ليست من أصول العقيدة، فلا ينبغي أن نغلو فيها ونزيد فيها على القدر الواجب، فنقع في الحيف وترك الاعتدال، فَنَظْلِم أو نُظْلَم.

ولهذا فهي لا تستلزم تفسيقاً أو تبديعاً، أو هجراً وتقاطعاً وتدابراً بين الفريقين.

وأما تضخيم هذه القضية، وتضليل المخالف، وإلزام القائل بلوازم لم يَقُلْ بها، فهو خلل وانحراف، واتهام للمسلم بما ليس فيه، وكفى بذلك إثماً.

****

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث فإني أحمد الله كثيراً أن وفقني لإتمامه، فله الشكر أولاً وآخراً، وله الحمد باطناً وظاهراً. لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

وبعد، فقمت بإعداد هذا البحث، والذي اشتمل على مقدمةٍ وخمسةِ مطالب، ثم خرجت بنتائج أهمها ما يلي:

١ ـ أن هذه المسألة من مسائل الفقه ليست من أصول العقيدة.

٢ ـ اتفاق الفريقين في أصل تقرير العذر بالجهل في جميع مسائل العقيدة، والتي لا تنافي العلم الجملي لأصول الإيمان أو للشهادتين.

٣ ـ العذر بالجهل يجري في ترك العلم التفصيلي لا الجملي لمعنى الشهادتين وأصول الإيمان الستة.

٤ ـ أن الخلاف مرجعه في هذه المسألة إلى تصور التفريط من عدمه، مع الاتفاق على أن كلَّ جهل سببه التفريط مع القدرة لا عذر به، وكل جهلٍ لم يمكن دفعه مع بذل الأسباب وإرادة الهدى فيعذر به، لانتفاء التفريط.

٥ ـ أن الظهور والخفاء أمر نسبي وتكتنفه أمور كثيرة، ولهذا لا يمكن جعله ضابطاً للمسائل التي يعذر بها والمسائل التي لا يعذر بها.

٦ ـ أن الاختلاف في هذه المسألة لا يستلزم تبديعاً أو تفسيقاً، أو هجراً أو تقاطعاً أو تدابراً.

هذا آخر ما تم تقييده في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

ثبت المصادر والمراجع

📖 القرآن الكريم.

📖 الإرشاد إلى معرفة الأحكام، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر مكتبة المعارف، الرياض، عام (١٤٠٠)هـ.

📖 الاستغاثة في الرد على البكري، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، نشر دار الوطن، ط: الأولى (١٤١٧)هـ.

📖 أصول وضوابط في التكفير، تأليف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن آل الشيخ، نشر دار المنار، الرياض، ط: الأولى (١٤١٣)هـ.

📖 الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط: الخامسة عشرة (٢٠٠٢) م.

📖 اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، ط: الأولى (١٤٠٤)هـ.

📖 إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: إسماعيل باشا بن محمد أمين، نشر دار العلوم الحديثة، بيروت ـ لبنان.

📖 البحر الزخار بمسند البزار، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى (١٤١٤)هـ.

📖 تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد تأليف: محمد بن إسماعيل بن الأمير الصنعاني، تقديم وتعليق علي بن محمد بن سنان آل سنان، تحقيق: د. ناصر بن عايض بن حسن الشيخ، نشر مطابع وحيد، مكة المكرمة، ط: الأولى (١٤٢٥)هـ.

📖 تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث: تأليف: عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

📖 تهذيب التهذيب، تأليف: الحافظ أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

📖 تيسير العزيز الحميد، تأليف: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

📖 بغية المرتاد، تأليف: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. موسى بن سليمان الدويش، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الثالثة (١٤٢٢)هـ.

📖 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، عام (١٣٨٤)هـ.

📖 بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، نشر مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، عام (١٣٩١)هـ.على نفقة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود-رحمه الله-

📖 التبصير في معالم الدين، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، نشر دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى (١٤١٦)هـ.

📖 التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، تأليف: عبدالقادر عودة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

📖 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب ومحمد الفلاح.

📖 تهذيب رسالة الشرك ومظاهره، تأليف العلامة مبارك بن محمد الميلي، تهذيب واختصار سعد بن عبد الرحمن الحصين، الطبعة الثانية، عام (١٤٢٨)هـ.

📖 الجرح والتعديل، تأليف: أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، عام (١٣٧٢)هـ.

📖 حكم تارك الصلاة، تـأليف: محمـد نـاصر الـدين الألبـاني، نشرـ دار الجلالين، الرياض، ط: الأولى (١٤١٢)هـ.

📖 دحض شبهات من سوء الفهم لثلاثة أحاديث، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن البابطين النجدي الحنبلي، تحقيق: عبد السـلام بـن بـرجس بـن ناصر العبد الكريم،، ط: الأولى (١٤٠٦)هـ.

📖 درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أبي العباس تقي الـدين أحمـد ابـن عبـد الحلـيم بـن تيميـة، تحقيـق: د. محمـد رشـاد سـالم، ط: الأولى (١٤٠١)هـ.

📖 الدرر السنية في الأجوبة النجديـة، تـأليف: عبـد الـرحمن بـن قاسـم العاصمي النجدي، ط: السادسة (١٤١٧)هـ.

📖 الرد على الإخنائي، تـأليف: شـيخ الإسـلام تقـي الـدين ابـن تيميـة الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، نشر الرئاسـة العامـة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، عام (١٤٠٤)هـ.

📖 الرد على البكري، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، تحقيق: محمد علي عجال، نشر مكتبة الغرباء الأثريـة، المدينـة المنـورة، الطبعة الأولى (١٤١٧)هـ.

📖 رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، تأليف: عبد الـرحمن بـن يحيـى اليماني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، نشرـ: المكتبـة العصريـة، بـيروت ـ صيدا. ط: الأولى (١٤٢٣)هـ.

📖 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، وضبط وتصحيح: علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين وبيان عموم العذر في الدارين لأصول وفروع الدين، تأليف: سيد بن سعد الدين الغباشي، نشر دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 سلسلة الأحاديث الصحيحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض،ط: الأولى (١٤١٥)هـ.(الأجزاء من١ إلى ٦).

📖 سلسلة الأحاديث الصحيحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى (١٤٢٢)هـ. (الأجزاء الأخيرة).

📖 سنن ابن ماجة، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان.

📖 سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا.

📖 سنن الترمذي، تأليف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٨)هـ.

🕮 السنن الكبرى، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى (١٤٢١)هـ.

🕮 سنن النسائي مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق وترقيم مكتب التراث الإسلامي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤)هـ.

🕮 السيل الجرار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٥)هـ.

🕮 شرح حديث جبريل ﷺ في الإسلام والإيمان والإحسان المعروف باسم الإيمان الأوسط، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: د. علي بن بخيت الزهراني، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، ط: الأولى (١٤٢٣)هـ.

🕮 شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، تأليف: د. محمد خليل هرَّاس، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى (١٤٠٦)هـ.

🕮 شرح كشف الشبهات، تأليف: محمد بن الصالح العثيمين، نشر دار الثريا، ط: الأولى (١٤١٦)هـ.

🕮 شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد ابن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى

(١٤١٠)هـ.

📖 صحيح البخاري، تصنيف: الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، نشر: دار الفكر، طبع عام (١٤١٤)هـ.

📖 صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية (١٤٠٨)هـ.

📖 صحيح مسلم، تصنيف: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط. عام (١٤٠٠)هـ.

📖 الصفدية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، سنة النشر (١٤٠٦)هـ.

📖 صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، تأليف: محمد بشير السهسواني الهندي، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الرابعة (١٤١٠)هـ.

📖 الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّرعي الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر دار الوطن، الرياض.

📖 طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر دار ابن القيم، الدمام، ط: الثانية (١٤١٤)هـ.

📖 الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق، تأليف: سليمان بن سحمان، نشر مطبعة المنار، مصر، ط: الأولى (١٣٤٤)هـ.

📖 علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، نشر دار العاصمة، الرياض، ط: الثانية (١٤١٩)هـ.

📖 فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

📖 فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، إعداد: وليد بن إدريس بن منسي، والسعيد صابر عبده، نشر دار الفضيلة، الرياض، ط: الأولى (١٤١٨)هـ.

📖 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، نشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط: الأولى (١٤١٢)هـ.

📖 فتنة التكفير، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الوطن، الرياض، عام (١٤١٧)هـ.

📖 فتيا في تكفير الجهمية، تأليف: إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله الزير، نشر دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبي محمد علي بن أحمد

المعروف بابن حزم، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بـيروت، لبنان، ط: عام (١٤٠٥)هـ.

📖 القول المفيد عـلى كتـاب التوحيـد شرح لكتـاب التوحيـد، لفضـيلة الشـيخ محمـد بـن صـالح العثيمـين، نشرـ دار ابـن الجـوزي، ط: الثانيـة (١٤٢٤)هـ.

📖 كشف الشبهتين، تـأليف: سـليمان بـن سـحمان النجـدي، تصـحيح وتعليق: عبد السلام ابن برجس العبد الكريم، نشر دار العاصمة، الرياض، ط: الأولى (١٤٠٨)هـ.

📖 كشف الظنون، تأليف: مصطفى بن عبـد الله القسـطنطيني الرومـي الحنفي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط: الأولى (١٤١٣)هـ.

📖 لسان العرب، لابـن منظـور، نشرـ دار صـادر، بـيروت، الطبعـة الأولى.

📖 مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، إعداد عبـد العزيـز بـن سيد الرومي، ود. محمد بلتاجي، نشر مكتبة ابن تيمية.

📖 ما يعذر به وما لا يعذر به من الجهل، تأليف: الشيخ عبد الله أبا بطـين النجدي، ضمن مجموع بضع رسائل دينيـة في العقائـد الإسـلامية، تعليـق: الشيخ محمد رشيد رضا، نشر مكتبة المنار، مصر.

📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: الحافظ نور الـدين عـلي بـن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٢)هـ.

📖 مجموع فتـاوى ابـن تيميـة، جمـع وترتيـب عبـد الـرحمن بـن قاسـم النجدي، نشر: مكتبة المعارف الرباط ـ المغرب، على نفقة الملك خالد ـ رحمه الله ـ.

📖 مجموع ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بـن عبـد الله بـن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، نشر: دار القاسـم، الريـاض (١٤١٦)هـ.

📖 مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسائل ومسائل لبعض علماء نجد، إشراف عبد السلام بن برجس العبد الكريم، نشرـ دار العاصـمة، الرياض، ط: الثانية (١٤٠٩)هـ.

📖 محاسن التأويل، تأليف: محمـد جمـال الـدين القاسـمي، تصـحيح وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتاب العـربي لصـاحبها عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الأولى (١٣٧٧)هـ.

📖 مدارج السالكين بين منازل إيـاك نعبـد وإيـاك نسـتعين، تـأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بـن أبي بكـر بـن أيـوب بـن سـعد الزرعـي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيـق: محمـد حامـد الفقـي، نشرـ دار الكتـاب العربي، بيروت ـ لبنان.

📖 مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشـه كنـز العـمال، بـدون معلومـات نشر.

📖 مصباح الظلام في الرد على من كذَب على الشيخ الإمام، تأليف: عبـد

اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، نشر دار الهداية للنشر والترجمة، الرياض.

📖 المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط: عام (١٩٨٧) م.

📖 معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، تأليف: أبي محمد حسين ابن مهدي النُّعمي، تحقيق: محمد عبد الله مختار، نشر: دار المغني، الرياض. ط: الأولى (١٤٢٥)هـ.

📖 معجم البلدان، تأليف: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، نشر دار صادر، بيروت (١٣٩٧)هـ.

📖 المعجم الكبير، تأليف: الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر الدار العربية للطباعة، بغداد، ط: الأولى (١٣٩٩)هـ.

📖 معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.

📖 المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس، تأليف: أحمد بن يحيى الونشريسي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت عام (١٤٠١)هـ.

📖 معجم مفردات ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس

الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام (١٤٢٥)هـ.

📖 المقاصد الحسنة: تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى (١٤٠٧)هـ.

📖 مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: عام (١٤١١)هـ.

📖 الملل والنحل، تأليف: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة (١٤١٣)هـ.

📖 المنثور، تأليف: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، الطبعة الثانية (١٤٠٥)هـ.

📖 منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تأليف: سليمان بن سحمان، تحقيق: عبد السلام بن برجس آلعبدالكريم، نشر مكتبة الفرقان، عجمان، ط: الأولى (١٤١٧)هـ.

📖 منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، تأليف: العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، نشر دار الهداية، الرياض، ط: الثانية، (١٤٠٧)هـ.

📖 نقض أساس التقديس، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني،

تحقيق: د. موسى بن سليمان الدويش، نشر دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى (١٤٢٥)هـ.

📖 نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، تأليف: د. محمد بن عبد الله ابن علي الوهيبي، نشر دار المسلم، الرياض، ط: الثانية، (١٤٢٢)هـ.

📖 الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، جمع وترتيب الشيخ سليمان ابن سحمان النجدي، تعليق وإيضاح محمد رشيد رضا، نشر مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة عام (١٣٩٣)هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تَحْدِيْدُ بَلَدِ الكُفْر

وَالعِلاقَة بالكَافِرِيْن

إعداد :

الدكتور حسن بن علي بن حسين العواجي

أستاذ مساعد ، بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد :

فإننا في زمن ارتبط فيه الناس بالمصالح، واختلط المسلمون بالكفار في بلاد الكفر وبلاد الإسلام .

وحين يرى المسلم في هذا الزمن عودة كثير من المسلمين إلى الله، وانتماء كثير من شباب الأمة إلى التدين، وحب الالتزام بالكتاب والسنة وتحكيمهما، يفرح بذلك ويؤمل النصر القريب لأمة الإسلام على أعدائها.

لكننا حين نرى ما يحدثه كثير من شباب المسلمين في بلادهم أو في بلاد الكفر من تصرفات شائنة، كالتفجير والقتل والاغتيال، نحزن أيما حزن لأن ذلك سبب ظاهر في القضاء أو الإضعاف للدعوة إلى الإسلام .

وما هذا المسلك إلا لانهدام أساس مهم من أسس الالتزام بالكتاب والسنة وتحكيمهما، وهو كراهة ما يضادهما من البدع والضلالات واتباع الأهواء .

فالذي نشهده اليوم من تلك الأفعال هو نتيجة انهدام ذلك الأساس؛ حيث قد يتصور أصحاب ذلك المسلك أن فعلهم نصر للإسلام والمسلمين،

وهو في الحقيقة هدم للإسلام وتقويض لوحدة المسلمين ، لأنه من أفعال الخوارج الذين كانت أفعالهم بداية اختلاف المسلمين وفرقتهم .

فما نسمعه من كثير من شباب الأمة عن أهمية تحكيم الكتاب والسنة، ورفض تحكيم القوانين المخالفة لشرع الله، ومعاداة من حكم بغير ما أنزل الله، كل ذلك أمر يتفق عليه المسلمون جميعاً . لكن ينبغي أن يكون ذلك مصحوباً بالأساس المهم، وهو كراهة ما يضاد تحكيم الكتاب والسنة من سلوك طرق البدع والضلالات واتباع الأهواء .

ولا شك أن الحكم بالكفر على من لم يثبت الحكم عليه، واستحلال دم المسلم أو المعاهد من غير حق، من أعظم تلك الضلالات التي تموج اليوم في العالم الإسلامي .

وقد يظن كثير من شباب الأمة أن ذلك من باب البراء من الكفار وجهادهم .

وربما علق بأذهانهم لتأييد هذا الظن شبهات ظنوا أنها دلالات؛ كفهم مسائل التكفير، أو مسائل الولاء والبراء، بعيداً عن فهم سلف الأمة لذلك.

ومن هذه المسائل فيما يظهر لي هذه المسألة، التي سألقي عليها الضوء بما يسر الله لي وهي (تحديد بلد الكفر والتعامل مع الكافرين) .

وقد سلكت في إعداد هذا البحث ذكر النصوص من الكتاب والسنة، ثم أعقبها بذكر فهم العلماء لهذه النصوص .

وقد نقلت الآيات من مصحف المدينة ، وأحلت الأحاديث إلى كتب السنة، وأحلت ما نقلت من أقوال إلى أصحابها من كتبهم ، أو من كتب من نقلوا عنهم ، ثم وضعت في نهاية البحث خاتمة، وفهارس للآيات والأحاديث والمراجع والمصادر، ثم فهرساً للموضوعات ..

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول :

الفصل الأول : تحديد بلد الكفر وبلد الإسلام ، والفصل الثاني : في حكم الإقامة في بلاد الكفر ، والفصل الثالث : في بيان حكم موالاة الكافر ، والفصل الرابع : في حكم السفر إلى بلاد الكفر ، والفصل الخامس : في التحذير من مشابهة الكفار ، ثم الخاتمة .

وإني لأسأل الله تعالى أن يكون فيما جمعته بياناً لطريق الحق يسترشد به من علق في ذهنه شيء من تلك الشبهات، وأن يأجرني على ما بذلت من جهد . وإني لأطلب من زملائي من طلاب العلم ومشايخي إن رأوا زللاً، أو فهماً خاطئاً، أو تعبيراً ناقصاً، أن يوافوني به لأتداركه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

حسن بن علي بن حسين العواجي

المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية . المدينة المنورة . قسم العقيدة

فاكس: ٨٤٩١٢٦٠ – ٠٤

تمهيد

إن من سعادة المرء أن يمن الله عليه بنعمة التوحيد، فينشأ ويحيا ويموت عليه .

لكن أعداء التوحيد لا يزالون في كل زمان يخططون ويدبرون للكيد بأهل التوحيد، لإثنائهم عما هم عليه .

لذلك فإن من الواجب على المسلم أن يتعرف على ضد التوحيد من الشرك والكفر والنفاق، ويتعرَّف على أهل تلك الصفات ليحذر من الوقوع في حبـائلهم .

وعلى هذا يحسن أن أعرف بالكفر، فأقول وبالله التوفيق :

الكفر في اللغة : الستر والتغطية ، وسمي الكافر كافرًا لأن الكفر غطى قلبه كله ، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره . ويقال للزارع كافر لستره البذر بالتراب وجمعه كفار [١]. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ (الحديد: ٢٠)

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٤٥-١٤٦.

قال ابن تيمية رحمه الله : وفرق بين الكفر المعرف باللام، كما في قوله ﷺ " ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة " [(١)]، وبين كفر منكر في الإثبات.

وأما الكفر شرعاً : فإنه عند أهل السنة والجماعة يشمل القول والعمل والاعتقاد، وذلك بالنظر إلى مجموع الأحاديث التي وردت في تعريف الرسول ﷺ للإيمان بأنه أقوال وأعمال واعتقادات ، فإن الكفر ضد ذلك .

قال شيخ الإسلام: " الكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض . فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد، فهو كـافر " [(٢)].

ولقد كان من السلف من يهتم بالتفريق بين الحق والباطل . فهذا حذيفة ﷺ يقول:" كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقـع فيه". [(٣)]

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١/ ٢٥٤ ، كتاب ١الإيمان، باب٣٥ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ، ولفظه "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.وفي لفظ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

(٢)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٣٦٩.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٥ ح ٧٠٨٤، كتاب ٩٢ الفتن، باب ١١ كيف الأمر إذا لم تكن جماعة .

وذلك أن من لم يعرف إلا الخير قد يأتيه الشر، ولا يعرف أنه شر؛ فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما ينكره الذي عرفه . ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية**)) [(١)].

فإذا ابتلي المسلم بمساكنة الكافرين، أو التعامل معهم، فلا بد له أن يعرف ما يأمره به الشرع للتعامل معهم، ليكون داعياً إلى الله بينهم فينقذهم الله به من النار ، وليكون على حذر ممن يريد أن يكيده فيغويه .

وسيكون هذا البحث إجابة على الأسئلة الآتية :

متى يطلق على البلد أنه بلد كفر ، أو بلد إسلام ؟. وما الذي يترتب على هذه المعرفة من المعاملة ؟. وما حكم الإقامة في بلاد الكفر ؟. وما حكم السفر إليها؟. وما حكم التحلي والتشبه بصفات الكافرين ؟.وهل ينافي ذلك البراء منهم ؟.

فأقول وبالله التوفيق :

لقد وضع الإسلام لتلك التساؤلات أجوبة دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ، فمن كان منهجه الاتباع لهدي الكتاب والسنة على نهج سلف هذه الأمة ، وجد فيهما بغيتة وما يزيل عنه كل شبهة؛ فإن الإسلام

---

(١) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص : ٢٢٣ ، وكتاب مدارج السالكين ص : ١٩٦ . وانظر كتاب تيسر العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ١/ ٢٨٣

قد ضمن الحقوق العادلة لكل الخلق – مسلمين وكفاراً –، ووضع لتعاملهم وعلاقتهم ببعضهم نظماً وأسساً ثابتة .

والمسلم يدرك بموجب تلك التعاليم والتوجيهات الإلهية ما يجب عليه نحو إخوانه المسلمين، وما يلزمه نحو الكفار من المعاملة في كل الأزمان والأماكن والأحوال .

وأبدأ فيما يأتي في عرض فصول هذا البحث طالبًا من الله العون والسداد .

الفصل الأول : تحديد بلد الكفر وبلد الإسلام

تسمية البلاد بأنها بلاد كفر أو بلاد إسلام، يرجع إلى اعتبارين : إلى من يسكنها من الناس ، وإلى الحكم القائم فيها .

فإذا نظرنا إلى من يسكنها من الناس : فإن كان الغالب على من يسكنها أنهم من المسلمين كان الحكم العام أنها بلاد مسلمين ، والحكم على أهلها أنهم إخواننا في الإسلام؛ دماؤهم وأعراضهم محرمة ، لا تجوز غيلتهم، ولا تخريب ممتلكاتهم ، ولا الانتقام منهم إذا حصل الظلم من قبل الحكومات القائمة عليهم .

كما تدل على ذلك عموم النصوص الواردة في حق المسلم على المسلم، والتي منها قوله ﷺ : ((**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**))[1].

وإن كان الغالب على من يسكن تلك البلاد أنهم من الكفار، سميت بلاد كفر ، إطلاقاً على الغالب من حالهم .

وحينئذ يُنظر في معاملتهم على ما فصل أهل العلم في ذلك؛ من كونهم كفارا حربيين أو مهادنين .

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٦/ ٩٣ – ٩٤ ح/ ٢٥٦٤، كتاب ٤٥ البر والصلة، باب ٩ تحريم الظن والتجسس والتنافس ، وسنن ابن ماجة ٤/ ٣٢٠ ح/ ٣٩٣٣ ، كتاب ٣٦ الفتن، باب ٢ حرمة دم المؤمن وماله ..

وتأمل في إيضاح ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وكون الأرض دار كفرٍ أو دار إيمان أو دار فاسقين، ليست صفة لازمه لها ، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها ، فكلّ أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت ، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت ، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم " (١).

هذا بالنظر إلى البلاد من حيث من يسكنها من الناس .

فإذا كانوا حربيين وليس بينهم وبين المسلمين أمان ولا هدنة، عوملوا بإحدى المعاملتين :

الأولى : إن كان المسلمون في قوة وعزة، بدءوهم بالدعوة إلى الإسلام، وبلغوا إليهم دين الله ، فإن استجابوا فأسلموا أو سلَّموا ، وإلا حل قتالهم ليدخل الناس في دين الله ، وحينئذ يكون ذلك القتال رحمة لهم .

الثانية : إن كان المسلمون في ضعف والكفار أقوى منهم – كحال المسلمين اليوم –، لم يجب على المسلمين مواجهة الكفار بالقتال، وإنما يعرضون دعوة الإسلام، ويرغبون الناس في دين الله ، ويكتفي المسلم الذي يعيش بينهم بدعوتهم على حسب حاله ، وإن ضيق عليه صبر، أو خرج إلى حيث يستطيع عبادة ربه. ويدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لما

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٢٨٢.

كان مع أصحابه في مكة في حال الضعف لم يبدأ الكفار بالقتال [١] ، بل قام مع أصحابه بالدعوة بينهم على قدر استطاعتهم ، ولما اشتدَّ عليهم الإيذاء، هاجروا إلى الحبشة، ثم إلى المدينة [٢].

أما إذا كان الكفار مهادنين للمسلمين هدنة طويلة أو قصيرة، فإنه لا يحل للمسلم الاعتداء عليهم ولا قتلهم، سواءً كان ذلك في بلادهم أو في بلاد المسلمين [٣].

وعلى هذا التفصيل لا تبقى حجةٌ صحيحة عليها أثارة من علم لمن أجاز القتل و التفجير والاغتيال في كثير من بلاد المسلمين، أو في بلاد الكفر [٤] ، بحجة أن ذلك فيه إعزاز للدين ودعوة للدخول فيه .

وأما إذا نظرنا إلى تلك البلاد من حيث الحكم فيها فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام أيضاً :

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٨

(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم ١/ ٢٣١ – ٢٣٧ ، ٦/ ٢٢٧٤. وانظر كتب السيرة المختلفة عند الكلام عن بداية دعوة النبي ﷺ ، وانظر زاد المعاد ٣/ ٢٣ – ٢٤

(٣) وهذا كان هديه ﷺ إن كانت بينه وبين الكفار هدنة أو موادعة . انظر المصدر السابق ١/ ٢٦٩، وانظر السيرة النبوية ٣/ ٢٦٥.

(٤) وما يحصل اليوم من ذلك، إذا كان بأيد مسلمة فإنه بسبب الجهل بهذه المسألة واختيار فاعليها لمذاهب تخالف مذهب أهل السنة والجماعة، كالخوارج وغيرهم ممن يستحلون قتل من خالفهم ، ولا يبعد أن يكون وراء هؤلاء اليهود والنصارى ، الذين يخططون لتدمير الإسلام والمسلمين، ويتخذون هؤلاء ستاراً يتوارون خلفه.

الأول : أن يكون حاكم البلد مسلماً مطبقاً لشرع الله فيها، فهي بلد إسلام ولو كان أهلها كفاراً لقيام أمر الله ونهيه فيها ، كما كانت خيبر ونجران وهجر في عهد رسول الله ﷺ؛ فقد أمر عليها رسول الله ﷺ أمراء، وأكثر أهلـها لم يسلموا(١)، وهكذا وقع لأقطار أخرى كثيرة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، فتحت وحكمها المسلمون، وكان أكثر أهلها كفاراً ، ثم أسلموا (٢)

وهذا الحال من وجود حاكم بشرع الله ، وأهل البلد ليسوا مسلمين لا يكاد يكون موجودًا اليوم .

الثاني : أن يكون الحاكم كافراً، ولو كان أهل البلد مسلمين؛ فإن البلد يسمى بلد كفر ، وذلك كأن يتسلط كافر على بلد مسلم، ويعلن الكفر فيه، ويترك المسلمين لشأنهم بأن يقرهم على حالهم؛ فإن الدار حينئذ دار كفر ، لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها، والحاكم فيها، والمالك لها (٣).

وقد مثل العلماء لهذا بما كانت عليه بعض البلاد الإسلامية من الاستعمار ، فإنها بالنظر للحكم فيها يطلق عليها بلاد كفر ، وبالنـظر إلى أهلها فإنها بلاد مسلمين (٤).

---

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم ١/ ٢٧٦

(٢) انظر المصدر نفسه ٦/ ٢٢٧٤

(٣) المحلى لابن حزم ١٣/ ١٤٠.

(٤) انظر الفتاوى السعدية ٩٢-٩٣

ومعلوم لكل عاقل أن معاملة المسلمين بها على حسب الاعتبار الأول، فإنهم مسلمون، ولا تستباح دماؤهم ولا أموالهم، لكفر حاكمهم؛ فإن بقاء حرمة المسلم والحكم له بالإسلام – وهو معتقد له قائم بشعائره – ثابت لا يتغير .

الثالث : أن يكون الحاكم فاسقًا، يطبق بعض شرع الله ويترك بعضه، لكنه غير جاحد لشرع الله وفضله، فتجد في البلد المعاصي معلنة، والمحرمات ظاهرة ،قد نظمت وهيئت ،ولا منكر لها، فإن الدار تكون دار فسق .

ومن هذا نستنتج أن الصفة التي توسم بها البلاد بأنها بلاد كفر أو بلاد إسلام إنما هي صفة لأهلها أو حكامها . أما البلد نفسها فقد تكون ذات فضل عند الله في نفسها ، ومع ذلك تكون في فترة دار كفر ، وفي فترة أخرى دار إيمان .

فإن مكة مثلا لما خرج منها رسول الله ﷺ كانت بلاد كفر، إلا أن ذلك لم يغير من فضلها عند الله، وأنها خير أرض الله وأحبها إلى الله ورسوله. ولهذا قال ﷺ : ((**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليَّ والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت**))[1].

---

(١) سنن ابن ماجه ص٥٢٧ ح/ ٣١٠٨ كتاب ٢٥ المناسك، باب ١٠٣ فضل مكة. والحديث صححه الألباني (انظر مشكاة المصابيح ٢٧٢٥) ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب (انظر سنن الترمذي ٨٨٠ ، كتاب ٤٦ المناقب ، باب ٦٩ فضل مكة ح ٣٩٢٥ ..

وروى الدارمي مثله، إلا أنه قال : ((**وأحب أرض الله إلى الله**)) [١] بدل قوله إليَّ. والقدس كما نرى الآن وهي تحت الكفار بلاد كفر، إلا أن ذلك لا يغير من فضلها عند الله، ومضاعفة الصلاة في مسجدها عن غيره من المساجد غير المسجد الحرام والمسجد النبوي[٢].

لكن الأرض التي يكون فيها أمر الله ظاهراً، ودعوته قائمة، تكون أفضل لأهلها من تلك الأماكن المفضلة في نفسها؛ كمكة، والمدينة، والقدس، ولهذا فإن النبي ﷺ لما هاجر من مكة وكانت بلد كفر، كان مقامه في المدينة، ومقام من معه من المؤمنين أفضل من مقامهم بمكة؛ لأن المدينة أصبحت داراً ينشر فيها دين الله إلى الناس، ومثلها في كل زمن الرباط بالثغور في جهاد أعداء الله أفضل من مجاورة مكة والمدينة[٣]، كما ثبت في الصحيح:((**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان**))[٤].

---

(١) سنن الدارمي ٢/ ١٥٦ كتاب ١٧ السير، باب ٦٧ إخراج النبي ﷺ من مكة ..

(٢) انظر الحديث في ذلك إرواء الغليل ٤/ ١١٣٠ ، كشف الأسرار عن زوائد البزار ٢/ ٢١٣ ح:٤٢٢ ، وضعيف الجامع الصغير ٣/ ٢٧٧ ح ٣٥٢٣، وقد حكم عليه الألباني بالضعف .

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٢٨٢.

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٣/ ٥٣-٥٤ ح : ١٩١٣، كتاب ٣٣ الإمارة ، باب ٤٩ فضل الغزو في البحر .

وفي صحيح البخاري : ((**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**)) [(١)].

فاتضح بذلك أن التسمية لبلد أنه بلد كفر أو بلد إسلام، يكون بحسب قيام أمر الله فيه؛ فإن كان القائم فيه الإسلام فهو بلد إسلام ، وإن كان القائم فيه الكفر فهو بلد كفر ، ولهذا لما خاطب الله موسى عليه السلام وقومه عن دار العمالقة التي كان يريد حربها، قال لهم : ﴿**سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾(الأعراف: ١٤٥) ، ثم إنها صارت بعد هذا دار المؤمنين ، وهي في ذاتها أرض مقدسة كما حكى الله تعالى قول موسى : ﴿**يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ** ﴿٢١﴾﴾ (المائدة: ٢١)

وهذا هو المشهور في المراد بدار الفاسقين في الآية، وأنها هي الأرض المقدسة التي جاءت في الآية الأخرى .

والمراد بالمعنيين أرض الشام كما أوضح ذلك القرطبي في تفسيره[(٢)].
وأرض الشام قد وردت أحاديث في فضلها [(١)].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ١٠٥ ح ٢٨٩٢، كتاب ٥٦ الجهاد والسير، باب ٧٣ فضل رباط يوم في سبيل الله .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٦/ ١٢٥، ٧/ ٢٨٢. وانظر مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٥ .

وبالنظر إلى الحالين[٢] السابقين في إطلاق الكفر أو الإسلام على البلاد، فإن البلاد التي يكون سكانها من المسلمين والكفار كما هو الحال في أكثر دول العالم اليوم، فإنه ينظر للحكم عليها بنفس المنظار السابق ، فإن كان حكامها يطبقون شرع الله وحدوده، ويتخذون القرآن منهجاً لهم ودستوراً ، فالبلد مسلم، حتى وإن كان المسلمون بها قلة؛ فإن قيامها بحكم الله، والقيام بأمره، كاف لتسميتها بالإسلام، كما سبق بيان ذلك .

وإن كان حكامها يطبقون من شرع الله أمورًا، ويتركون أخرى، فإنه يفصل في ذلك حسب التفصيل في الحكم بغير ما أنزل الله، فينظر في حال حكامها .

فإن كان أولئك الحكام يعترفون بحكم الله تعالى وفضله على غيره، وإنما تركوا الحكم بغير ما أنزل الله لغرض دنيوي، فالبلد بلد فسق لفسق حكامها حتى يحكموا بشرع الله .

---

(١) وقد ألف في فضائل الشام كتاب سمي بفضائل الشام ودمشق، وقد قام الشيخ الألباني رحمه الله بتخريج أحاديثه، وألحق معه كتاب مناقب الشام وأهله لشيخ الإسلام ابن تيمية، وطبعه المكتب الإسلامي .

(٢) أي من جهة أهل البلد ، أو حاكمها.

وإن كان تركهم للحكم بشرع الله رداً للقرآن والسنة، وتفضيلاً منهم للبديل من الأحكام الوضعية، واستحلالاً لهذا الترك، فالبلد بلد كفر تبعًا لحكامه، حتى يُحكم فيه بشرع الله [١].

فيتلخص لنا مما سبق أن البلاد على حالات أربع :

١. إما بلاد كفر : وهي التي يحكمها الكفار وتجري فيها أحكام الكفر، والنفوذ فيها للكفار ، وهي على نوعين : بلاد كفار حربيين ، وبلاد كفار مهادنين [٢].

٢. وإما بلاد فسق : وهي التي يحكمها قوم فاسقون، تحملهم شهواتهم وأهواؤهم على الحكم بغير ما أنزل الله، مع اعتقادهم أن حكم الله ورسوله حق ، ويعترفون على أنفسهم بالخطأ ومجانبة الهدى [٣].

٣. وإما بلاد يجتمع فيها الأمران؛ فإذا نظرت إلى حكامها والحكم فيها، سميتها بلاد كفر أو بلاد فسق؛ وإذا نظرت إلى أهلها، فإنها بلاد

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٦/ ١٩٠، ورسالة تحكيم القوانين لابن إبراهيم ص٤-٥.

(٢) انظر الفتاوى السعدية ٩٢.

(٣) انظر تحكيم القوانين لابن إبراهيم ص٧ ، ولا بد أن يعلم هنا أن هذه الأحكام على البلاد بأنها بلاد كفر أو إسلام لا يشمل من فيها من السكان – دائماً – فقد يطلق على البلد أنه بلد كفر أو فسق وأهلها مسلمون أو غالبهم من المسلمين ، وقد يطلق على البلد إنه بلد إسلام، وفيهم كفار أو غالبهم إذا كان يطبق فيها حكم الإسلام .

إسلام لوجود المسلمين بها، وإقامتهم لشعائر الدين، وتطبيقهم لكثير من أحكام الشريعة الإسلامية فيما بينهم (١).

والواجب على حكام تلك البلاد قياماً بأمر الله، وتحقيقا لمطالب شعوبهم، أن يحكموا شرع الله في كل أحوالهم، ولا يكفي أن تتسمى البلاد بأنها إسلامية إذا كانت شعائر الشرك وأعلام الكفر ظاهرة فيها، وأنواع المحرمات معلنة فيها، بل عليهم أن يسعوا لتحقيق شريعة الله في كل جوانب الحياة (٢).

٤. وأما بلاد إسلام: وهي التي يحكمها المسلمون وتجري فيها الأحكام الإسلامية فيحكم فيها بشرع الله من الكتاب والسنة في كل الأمور الدينية والدنيوية.

وهذا ما تتمتع به بلادنا (المملكة العربية السعودية) – بحمد الله وفضله ومنِّه –، نسأل الله تعالى أن يديم هذا الخير، وأن يوفق بلاد المسلمين للاقتداء بها في تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأن يلحق بهم بلاد الأرض جميعاً ليكون الحكم لله.

نسأل الله أن يجمع قادة المسلمين على تحكيم كتاب ربهم وسنة نبيهم.

---

(١) انظر الفتاوى السعدية ٩٢ – ٩٣.

(٢) انظر مجموع الرسائل والمسائل النجدية– الرسالة الرابعة من رسائل الشيخ محمد بن عبد اللطيف ٢/ ١٣٤–١٣٧.

الفصل الثاني : في حكم الإقامة في بلاد الكفر

فإذا عرف المسلم أصناف البلاد حسب أهلها أو حكامها – وهو لا بد أن يكون بين مقيم بها أو قادم إليها باختيار أو من غير اختيار –، فإنه في حاجة إلى أن يعرف أحكام ذلك ، وهذا ما سوف يكون جواباً للسؤال الثاني وهو : ما حكم الإقامة في بلاد الكفر، أو السفر إليها ؟.

فبعد أن تبين لنا أقسام البلاد ، وكيفية الحكم على الساكنين بها ، يحسن أن نبين حكم الإقامة في بلاد الكفر؛ فإن الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم وأخلاقه وسلوكه وآدابه ، وبسماع كثير من القصص، علمنا أن كثيراً ممن أقام بينهم رجع بغير ما ذهب ، فرجع بعضهم فاسقاً، وبعضهم ارتد عن دينه. نعوذ بالله من سوء العاقبة .

ولهذا وجب الاحتياط في هذا الأمر ، ووضع الشروط والضوابط الكفيلة بالحفاظ على بقاء المسلم المخالط لهم ، والمقيم بينهم ، على دينه وآدابه الإسلامية .

ولقد بحث العلماء هذه المسألة قديماً وحديثاً ، ومن ذلك ما فصل به الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله؛ حيث جمع في دراسته للمسألة بين النظر إلى ما ذكره العلماء المتقدمون، وبين الأحوال المعاصرة؛ فذكر أن الإقامة في بلاد الكفر لا تجوز إلا بشرطين :

الأول : أمن المقيم على دينه؛ بأن يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة ما يثبته عليه.

الثاني : أن يتمكن من إظهار دينه؛ بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع له[١].

وحكم الإقامة في بلاد الكفر أو الشرك يختلف حسب اختلاف نية المقيم وحاله، ويمكن تقسيمها إلى الآتي :

١. أن يقيم المقيم فيها للدعوة إلى الإسلام ، فهذا نوع من الجهاد ، وهو فرض كفاية على من قدر عليه .

٢. أن يقيم المقيم فيها لدراسة أحوال الكافرين، والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة وانحلال الأخلاق، ليحذر الناس من الاغترار بهم.

٣. أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر، كموظفي السفارات ونحوهم، فحكم ذلك حكم ما أقام من أجله .

٤. أن يقيم لحاجة خاصة مباحة، كالتجارة والعلاج، فيباح ذلك بقـدر الحاجة .

٥. أن يقيم للدراسة، وهي من جنس ما قبلها ، لكنها أشد خطراً ، لما يكون عليه الطالب من حاجة لمدرسيه، وشعوره بدنو منزلته .

ولذا فإن من يذهب إلى بلاد الكفر للطلب لا بد له من أمور :

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣/ ٢٥-٢٦.

أ. أن يكون على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار.

ب. وأن يكون عنده من العلم بالشريعة ما يتمكن به من الرد على أهل الباطل، ولا يخدع بما هم عليه.

ج. أن يكون ذا دين يتحصَّن به من الكفر والفسوق الذي يعم تلك البلاد.

د. أن تكون الحاجة داعية إلى ذلك العلم الذي أقام في تلك البلاد من أجله.

٦. أن يقيم بين الكفار للسكن، وهذا أخطر مما قبله، لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر[1].

أصناف المقيمين في بلاد الكفر:

ومن يقيم من المسلمين بين الكافرين على صنفين:

إما أن يكون من الضعفاء الذين يعذرهم الله، كالنساء والأطفال الذين لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولا الخروج من بلادهم، ولو قدروا لم يعرفوا مسلك الطريق، فيسألون الله أن يخرجهم من أرض الكفر، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل**

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/ ٢٥-٣٠

لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (النساء: ٧٥) . فهؤلاء لهم الإقامة، مع تمسكهم بالعقيدة في قلوبهم ، يصبرون ويسألون الله الخلاص، حتى يفرج الله عنهم ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (النساء: ٩٩) [١].

وإما أن يكون المقيم من الأقوياء، ومن لهم قدرة على مفارقة بلد الكفر والهجرة منه، فهو أحد اثنين :

مقيم في بلاد الكفر، وهو مظهر لدينه بينهم، متبرئ منهم ومما هم عليه، مصرح ببراءته منهم، وأنهم ليسوا على حق. فهذا لا يدخل في الوعيد الذي ورد في ذم من يقيم في بلاد الكفر؛ فإن النبي ﷺ قد أقام عماله على خيبر وهجر ونحوهما، وكان أكثر أهلها كفاراً [٢]، فالمسلم إن أقام في بلد الكفر، وسكن بها متأمراً على أهلها ، أو تاجراً بينهم ، أو في عمل من الأعمال كالتدريس ، أو صنعة من الصنائع الأخرى، وهو مظهر لدينه داع إليه ، فإنه لا يلحقه الوعيد، بل هو محسن بصبره على البقاء بينهم ودعوتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الإقامة في كل موضع تكون الأسباب فيه أطوع لله ورسوله ، وأفعل للحسنات والخير، بحيث يكون أعلم بذلك، وأقدر عليه، وأنشط له، أفضل من الإقامة في موضع

---

(١) انظر رسالة الدفاع عن أهل السنة والإتباع (ضمن مجموعة كتب ورسائل حمد بن عتيق) ص:١٨.

(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم ١/ ٢٧٦.

يكون حاله فيه في طاعة الله ورسوله دون ذلك. هذا هو الأصل الجامع ... وإذا كان هذا هو الأصل فهذا يتنوع بتنوع حال الإنسان، فقد يكون مقام الرجل في أرض الكفر والفسوق – من أنواع البدع والفجور–، أفضل إذا كان مجاهداً في سبيل الله بيده أو لسانه ، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر ، بحيث لو انتقل عنها إلى أرض الإيمان والطاعة، لقلت حسناته ، ولم يكن فيها مجاهداً ، وإن كان أروح قلباً . وكذلك إذا عُدم الخير الذي كان يفعله في أماكن الفجور والبدع" [(١)].

وعلى هذا فإن من لم يكن من أهل هذه المنزلة من الجهاد والقدرة على الدعوة، فإن الأفضل له أن يسكن في المكان المفضل كمكة والمدينة .

وقال رحمه الله : "ولهذا كان المقام في الثغور بنية المرابطة في سبيل الله تعالى أفضل من المجاورة بالمساجد الثلاثة باتفاق العلماء" [(٢)].

ومن أجل حصول هذا المقصد الأسمى، فقد كان منهجه ﷺ ومنهج أصحابه في دعوة الناس أن يُدعى القوم فإن أسلموا ، وإلا أقام المسلمون بينهم، وضربت عليهم الجزية لقاء ما يقومون به من حمايتهم، فإن هذا الحال يحملهم على الدخول في الإسلام، لما يرونه من محاسنه عند اختلاطهم بالمسلمين[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/ ٤٠.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/ ٤٠ .
(٣) انظر نيل الأوطار للشوكاني ٨/ ٦٥.

وقد رغب ﷺ في خلطة الناس والصبر على أذاهم[١]. لكن قد يُتساءل في هذا المقام عن القدر الذي يجب على المسلم إظهاره من دينه في بلاد الكفر ، ولا يلحقه الوعيد الذي ذكر في النصوص [٢].

هل هو الإذن للمسلمين بأن يصلوا ويصوموا ويحجوا فحسب، أو يزيد على ذلك ؟.

وللإجابة على ذلك أقول :

لقد نقل عن بعض أهل العلم ما يدل أن المراد عامة الدين من عبادات وعقائد وشرائع .

فذكر السعدي رحمه الله تعالى أن المظهر لدينه هو الذي يتمكن من إعلانه، ولا يخفيه، ولا يضطهد على ذلك ، والعاجز هو الذي لا يقدر على إظهار إيمانه وتوحيده وعقائد دينه وشرائعه [٣].

وزاد بعض أهل العلم بأن المراد من الإظهار يشمل التصريح للكفار بالعداوة، فـقال حمد بن عتيق : " والمقصود أن إظهار الدين هو التصريح

(١) انظر الحديث الوارد في ذلك في مسند الإمام أحمد ٣٨١ ح ٥٠٢٢ ، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب . قال الألباني : صحيح ، ونقل عن ابن حجر تحسين إسناده

(٢) انظر التفصيل في حكم من يقيم من المسلمين بين الكافرين من ص ١٩ – ٢١ .

(٣) الفتاوى السعدية ٦٤.

للكفار بالعداوة ... فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم، لم يكن إظهار الدين حاصلاً "[١].

ولهذا فإن المسلمين الذين يصلون ويصومون ويزكون في بعض البلاد الكافرة لا يعتبرون من المظهرين للدين، حتى يبينوا لأهل الكفر أنهم كفار وأنهم على الباطل ؛ قال ابن عتيق : "وليس المراد بإظهار الدين أن يُترك الإنسان يصلي، ولا يقال له اعبد الأوثان، فإن اليهود والنصارى لاينهون من صلى في بلدانهم ، ولا يكرهون الناس على أن يعبدوا الأوثان " [٢].

ثم قال رحمه الله بعد ذلك : فمتى قدر الإنسان على إظهار هذه الأمور، وعدم إخفاء شيء منها، فهو المظهر لدينه. ومتى عجز عن إظهارها، أو إظهار شيء منها، فهو عاجز عن إظهار دينه . وهذا بحمد الله واضح لا إشكال فيه. فلو كان يقدر أن يصلي ويصوم، لكن لا يقدر أن يظهر توحيده وإيمانه وعقيدته، كان عاجزاً عن إظهار دينه [٣].

ومقيم معهم على ما هم عليه من الكفر غير داع ولا مظهر لدينه بينهم. ومن كانت هذه حالهم فهم أصناف :

---

(١) رسالة الدفاع عن أهل السنة والاتباع (ضمن مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن عتيق) ص: ١٧.
(٢) المصدر السابق ص:١٧.
(٣) الفتاوى السعدية ص:٩٤.

صنف راضون بصنيع الكفار، مؤيدون لهم، رافعون لشعارهم، يخرجون معهم لقتال المسلمين طوعاً واختياراً، يعينونهم بأبدانهم وأموالهم. فهؤلاء حكمهم حكم الكفار في التكفير والقتل [١].

وقد ذكر الإمام القرطبي العلة لذلك، بعد أن ذكر عدم حل المقام في بلاد الكفر مع التمكن من الخروج، فقال في شرح مسلم : "ولا يُختلف في أنه لا يحل لمسلم المقام في بلاد الكفار مع التمكن من الخروج منها، لجريان أحكام الكفر عليه، ولخوف الفتنة على نفسه. وهذا حكم ثابت مؤيد إلى يوم القيامة. وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول بلاد الكفار لتجارة أو غيرها مما لا يكون ضرورة في الدين كالرسل لافتكاك المسلم " [٢].

وصنف لم يرض بصنيع الكفار، لكن يحبسه معهم حبه وإيثاره لماله وعياله، فيرضى بالدنية في دينه لضمان بقاء دنياه. فهذا حكمه في القتل وأخذ المال حكم الكفار. ولا يحكم عليه بالكفر ما لم يظهره أو يقاتل عليه ، لكنه بهذا يعتبر عاصياً ومرتكباً لمحرم، ويدخل في حكم الوعيد[٣] الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء: ٩٧)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٢) مجموعة الرسائل النجدية ٢/ ١١٧.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ١٣٤.

قال ابن كثير : " نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية "[١].

وقد جاء في الحديث ما يدل على ذلك، فقال ﷺ فيما رواه عنه سمرة بن جندب رضي الله عنه : ((**من جامع المشرك أو سكن معه فإنه مثله**))[٢]

وقد جاء في المستدرك بلفظ : ((**لا تساكنوا المشركين، ولا تجامعوهم. فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا**)). وقال عنه الحاكم: أنه حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي [٣].

فلا يقال إنه بمجرد المجامعة والمساكنة يكون كافراً، بل المراد أن من عجز عن الخروج من بين ظهراني المشركين، وأخرجوه معهم كرهاً، فحكمه حكمهم في القتل، وأخذ المال لا في الكفر[٤].

قال الشوكاني في معنى الحديث : "قوله فهو مثله : فيه دليل على تحريم مساكنه الكفار، ووجوب مفارقتهم .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٤٢.

(٢) سنن أبي داود مع العون ٧/ ٤٧٧، ح ٢٧٧٠، كتاب الجهاد، باب ١٨١ في الإقامة بأرض الشرك، والحديث مختلف في تصحيحه، قال عنه الذهبي: إسناده مظلم، كما نقله عنه الشوكاني في النيل ٨/ ٣٠، وحسنه الألباني فقال في صحيح الجامع ٦١٨٦: حسن. وأحال إلى الأحاديث الصحيحة ٢٣٣٠.

(٣) انظر المستدرك مع التلخيص ٢/ ١٤١- ١٤٢.كتاب قسم الفيء .

(٤) انظر مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ١٣٤.

وحديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده مرفوعاً: ((...**لا يقبل الله من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين**))[١] [٢].

وكذلك مما يدل على تحريم مساكنة الكفار والعيش معهم قوله ﷺ فيما رواه عنه جرير بن عبد الله : ((**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين...**))[٣].

وروى النسائي الحديث عن قيس،ولم يذكر الصحابي جرير بن عبد الله بلفظ: ((**إني بريء من كل مسلم مع مشرك"ثم قال رسول الله ﷺ:"ألا لا تراءى ناراهما**))[٤]

ويشهد لتلك الأحاديث على اختلاف مراتبها قوله تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا** (١٤٠) ﴾ (النساء: ١٤٠)

---

(١) الحديث في سنن النسائي ٥/ ٨٣ ح٢٥٦٨ كتاب٢٣ الزكاة، باب٧٣ من سأل بوجه الله عز وجل، وفي سنن ابن ماجة ٤٣٢ ح ٢٥٣٦، كتاب٢٠، الحدود باب٢المرتد عن دينه مع اختلاف يسير في الألفاظ، وقد حسنه الألباني وانظر الأحاديث الصحيحة٣٣١.

(٢) نيل الأوطار ٨/ ٣٠.

(٣) سنن أبي داود مع عون المعبود ٧/ ٣٠٣-٣٠٤ ح٢٦٢٨ كتاب الجهاد، باب١٠٥ النهي عن قتل من اعتصم بالسجود.

(٤) سنن النسائي ص٧٣٠ ح٤٧٨٠، كتاب٢ القسامة، باب٢٦/ ٢٧ القود بغير حديدة. والحديث صححه الألباني انظر إرواء الغليل ١٢٠٧.

قال الحليمي رحمه الله : أي لا ينبغي أن يكون المسلم بقرب الكافر فيرى هذا نار ذاك ، وقال عمر ﷺ : "اجتنبوا أعداء الله اليهود والنصارى في عيدهم يوم جمعهم".

ومن هذه النصوص نعلم أن ديننا يبعدنا عن مواطن الكفر ومخالطة الكافرين، فإذا ابتلى المسلم بخلطتهم؛ كأن يدخل بينهم لدعوتهم، أو يذهب للتعامل معهم في تجارة أو دراسة أو علاج في بلادهم، فلا بد له من مراعاة توجيهات الشرع في خلطته بهم .

وألخص هذه التوجيهات فيما يأتي :

لا ينبغي أن يكون المسلم بقرب الكافر ما أمكن ذلك، لقوله ﷺ : ((**ألا لا تراءى ناراهما**))[1].

فيبعد عنه في سكنه وتعامله ما استطاع الاستغناء عنه. ومما ينبغي الحرص عليه في ذلك السكن في الجمعيات الإسلامية ، وزيارة المراكز الإسلامية، والاجتماع بالمسلمين للصلوات جمعة وجماعة .

الفصل الثالث : بيان حكم موالاة الكافر

(١) الحديث سبق تخريجه عند ذكر أوله قريبا.

لا ينبغي موالاة وموادة الكافر، ولو كان أباً أو ابناً أو أخاً، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المجادلة: ٢٢)..

والمراد بذلك الموادة الباطنة لأجل الدين ، وكذا الظاهرة التي تدل على محبتهم مع بقائهم على دينهم .

لكن الله قد أذن للولد مع والديه أن يقدم لهما الخدمة فيما لا يناقض دينه بالإحسان إليهما، كما قال تعالى ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (لقمان: ١٥) فإذا أمر الوالدان بمعصية الله لم يطعهما .

ولا ينبغي زيارة الكافر إلا أن يدعوه ويؤلفه للإسلام ، أو يكون مريضاً، فيدعوه في زيارته للإسلام قبل موته، كما زار رسول الله ﷺ عمه

وهو في مرض موته، فدعاه إلى كلمة الحق، فأبى أن يقولها ومات على الكفر" [(١)] ، وكما زار ﷺ الطفل اليهودي، ودعاه إلى كلمة الحق فقالها [(٢)].

ولا ينبغي التنحي للكافر في طريق، أو إكرامه بسلام، أو بشاشة، أو جلوس، أو مصافحة، إلا أن يكون داعياً له للإسلام ، يعلم أن في ذلك تأثيراً عليه لقبول الإسلام ، قال ﷺ : ((**لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه**)) [(٣)].

هذه الأمور مما أُمر المسلم أن يعامل بها الكفار ، وهناك أمور أخرى كثيرة. لكن اقتصرت على ذكر أهمها، وما ورد فيه النص الصريح .

بيان جانب اللين للكفار :

وتلك الأمور وأمثالها إنما شرعها ديننا لتذكير الكافر أنه حين يكون على الكفر يعامل بذلك ، فتكون هذه المعاملة مدعاة له للدخول في هذا الدين ، وليس المراد الإهانة لذاتها . ولهذا فإن المخالط لهم عليه أن يختار ما يناسب من المعاملة التي يرى أن فيها الزجر لهم إن كان ذلك نافعاً ، أو اللين بإظهار محاسن الإسلام من أخلاق وسلوك ومعاملة حسنة ، فالإسلام لا ينهى عن بر من لم تظهر منهم عداوة للدين، أو محاربة له

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٣/ ٢٨٢ ح١٣٦٠، كتاب٢٣ الجنائز، باب٨٠ إ ذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٧٨ ح ١٣٥٦

(٣) سنن الترمذي مع التحفة ٥/ ٢٢٧ ح١٦٥٢. وهو لفظ الإفراد.

فيقول تعالى :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة: ٨) التي جاءت عامه في من قاتل ومن لم يقاتل[١]، والبر والصلة المأمور به فيها لا يلزم منه المحبة المنهي عنها. ومما جاء عن ابن جرير في معنى هذه الآية: أن الله عم بقوله (الذين) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض؛ "لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه و بينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه، إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام"[٢] .

ولهذا قال تعالى بعد هذا : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٩).

قال الشوكاني : " البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحاب والتواد المنهي عنه[٣] ".

ويدل على هذا أن الله تعالى أمر ببر الوالدين الكافرين، فقال : ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ (لقمان: ١٥) .

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٦/ ٥.
(٢) انظر تفسير ابن جرير ٢٨/ ٦٦.
(٣) نيل الأوطار للشوكاني ٦/ ٥..

ولما قدمت على أسماء رضي الله عنها أمُّها وهي مشركة، وسألت أسماءُ رسولَ الله ﷺ هل تصلها مع رغبتها عن الإسلام، قال : ((**نعم صلي أمك**)) [(١)].

ومن ذلك أن الرسول ﷺ كسى عمر حلة ... فكساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخاً له بمكة مشركاً[(٢)] ، فلم ينهه رسول الله ﷺ .

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٥/ ٢٣٣، م ٢٦٢٠.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٢/ ٤٨٠ ح٨٨٦، كتاب١١ الجمعة، باب ٧ يلبس أحسن ما يجد: " اسمه عثمان بن حكيم، وكان أخاً لعمر من أمه .وقد اُختُلف في إسلامه. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٧١ ترجمة ٥٤٤٩) .

الفصل الرابع : في حكم السفر إلى بلاد الكفر.

ومما يلحق ببيان حكم الإقامة في بلاد الكفر حكم السفر إليها ، وهي مسألة جديرة بالدراسة، فإنه قد ظهر منذ فترة من الزمن ما يعرف بالابتعاث؛ حيث يفد كل سنة إلى بلاد الكفر شباب هم من أنشط وأقوى شباب المسلمين في الذكاء والتحصيل ، ويعود بعضهم وقد صبغ بصبغة الكفر في أعماله وأفكاره ، وأقواله وسلوكه – إلا ما شاء الله – . وهؤلاء المبتعثون يخرجون من بلادهم وهم على فطرتهم، يدينون بالحق لم ترد إلى أذهانهم شكوك في دينهم ، وإن ورد شيء من ذلك دفعته نفوسهم بسرعة، لأنهم يعيشون في وسط إسلامي ، أما إذا ذهبوا إلى بلاد الكفر والإلحاد، فإن الشبهات ترد عليهم ليلاً ونهاراً ، ويعمل الأعداء على تشكيكهم في عقيدتهم في كل لحظة، فيصبح ذلك الشاب الذي خرج إليهم لقمة سائغة يوجهونه حيث أرادوا، لأنه لا يحمل من العلم الذي يصد به شبهات هؤلاء شيئًا، فلا ينكر عليهم شيئاً ، وإن أنكر شيئاً مخالفاً لما اعتاد عليه في بلده الإسلامي، سُخر منه، واتهم بالرجعية والتأخر، فلا يعرف كيف يرد، فيستسلم لما يقولونه .

وبهذا تتضح خطورة الابتعاث على شبابنا وعلى شعوبنا الإسلامية. فلا ينبغي أن يُفتح مجاله إلا بشروط وقيود ، وقد تقدم ذكر ما يفيد ذلك عند الكلام عن حكم الإقامة في بلاد الكفر .

ومن أهم هذه الشروط [(١)] :

١. أن نأخذ ما نأخذه بقدر ما تحتاج إليه أمتنا من العلم التجريبي وتطبيقاته؛ فالعلم بالحقائق المجردة والمخترعات، لا تُلزم بدين، ولا تُعبر عن تصور .

٢. أن نأخذ ذلك العلم الذي نحتاجه ونحن محافظون على ذاتنا وكياننا وأنفسنا، نعتز بما أكرمنا ا لله به من الدين ، لأن مثل هذا الاعتزاز يسهل علينا معرفة ما نأخذ وما ندع .

٣. أن يكون هناك اختيار لمن يذهب إلى بلاد الكفر، فيُختار لهذه المهمة من كان صلب الدين ، قوى الإرادة ، كبير السن نوعًا ما، محصنًا من التأثر، ولا يُختار الشاب المراهق، أو ما بعد هذا السن بقليل .

٤. أن يُحاط المبتعث لتلك ا لديار ، بالجو الإسلامي النظيف الذي يذكره إن غفل ويعينه إن ذكر .

وأمر ينبغي التنبيه إليه؛ وهو أن لا يكون في مناهجنا التعليمية ما يعظم الفكر الغربي ويصوره للجيل بأنه القدوة والمثل الأعلى ، فلا تُعظم في أعين الدارسين ومسامعهم تلك البلاد وأهلها ، بل الواجب إذا ذُكر ما عندهم من المحاسن، أن يذكر بجوارها ما هم عليه من المذمة بسبب كفرهم وفسادهم.

---

(١) انظر الابتعاث ومخاطره لمحمد الصباغ ص :١٠ -١١.

وقد كتب في حكم السفر إلى بلاد الشرك علماء كثر ، وأفرد بعضهم فيه رسائل مستقلة ، وممن اهتم بهذا علماء الدعوة السلفية من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده .

وقد سبق قريباً[١] أن ذكرت النصوص الواردة في التحذير من مساكنة الكفار والعيش معهم عند كلامي عن حكم الإقامة في بلادهم ، وهي قاضية بالتحذير من السفر إلى بلادهم، لأنه منزلة تسبق الإقامة. ومن المعروف أن المسببات مرتبة على فعل الأسباب[٢].

ومن هذه الأقوال التي تحذر من السفر إلى بلاد الكفر، قول الشيخ محمد بن عبد اللطيف : " قال علماؤنا المقيم بين ظهراني المشركين، والمسافر إليهم لأجل التجارة، مشتركون في التحريم، متفاوتون في العقوبة ، فعقوبة المقيم أعظم من عقوبة المسافر، وهجر المقيم أغلظ من هجر المسافر ، فيعاملون بالهجر والمعاداة والموالاة، بحسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية "[٣].

وقال الشيخ حمد بن عتيق : "ولما عظمت فتنة الدنيا في صدور كثير من الناس، وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم، حملهم ذلك على التماسها وطلبها ولو بوجه يُسخط الله، فسافروا إلى أعداء الله في بلادهم، وخالطوهم في

---

(١) انظر ص ٢٤ – ٢٦ .

(٢) انظر الموافقات أصول الأحكام ١/ ١٦٠.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية / ١٣٥.

أوطانهم، ولبس الشيطان عليهم أمر دينهم، فنسوا عهد الله وميثاقه الذي أخذه عليهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾(الحشر: ٧) [(١)].

وهذه الأقوال محمولة على كون المسافر إليهم يقرهم على كفرهم، ويصنع صنيعهم، ولا يظهر دينه بينهم ، أما لو كان داعياً إلى الله بينهم، أو كان تاجراً يتوصل بتجارته لدعوتهم، فإنه يثاب على نيته ، وقد تقدم مثل هذا عند الكلام على حكم الإقامة في بلاد الكفر ، وبهذا يتضح أن البلد الذي لا يُتوقع نشر دين الله فيه يُحذر من السفر إليه أو الإقامة بين أهله ، والبلد الذي يُسمح فيه بنشر دين الله ورفع شعاره والدعوة إليه، يُرغب في السفر إليه ، لأن المقصود هو بقاء الدين أو نشره بين الآخرين .

فإن اجتمع الأمران فهو حسن، وإلا لم يفرط في أحدهما أو كليهما ، ولهذا فإن التغليظ على من يسافر إلى بلاد هجم عليها العدو الكافر الحربي المتصدي لهدم قواعد الإسلام يكون أشد، ومثل هذا البلد يخص من عمومات الرخصة لتعذر إظهار الدين فيه [(٢)]، ولكون المسافر إليه أحد اثنين، إما مرسل لمهمة عسكرية لصالح المسلمين ، أو يكون موالياً للكفار فحكمه حكمهم .

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ حمد بن علي بن عتيق (رسالة التحذير عن السفر إلى بلاد المشركين) ص:٣٢

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسائل الشيخ عبد اللطيف ٣/ ٢٨.

ولما سئل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن عمن يسافر إلى بلد المشركين التي يعجز فيها عن إظهار ما وجب لله من التوحيد والدين ، ويعلل بأنه لا يسلم عليهم، ولا يجالسهم، ولا يبحثونه عن سره ، وأنه يقصد التوصل إلى غير بلاد المشركين، ونحو ذلك من تعاليل الجاهلين ؟.

قال رحمه الله : " اعلم أن تحريم ذلك السفر قد اشتهر بين الأمة وأفتى به جماهيرهم ، وما ورد من الرخصة محمول على من يقدر على إظهار دينه، أو على ما كان قبل الهجرة ، ثم إن الحكم قد أنيط بالمجامعة والمساكنة وإن لم يحصل سلام ولا مجالسة ولا بحث عن سره" [1].

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، رسائل عبد اللطيف ٣/ ١٨٣.

الفصل الخامس : في التحذير من مشابهة الكفار

ومن حرص ديننا أنه بجانب أمره لنا بالابتعاد عن الكافرين ، وعدم موالاتهم ، والأمر بإظهار العزة عليهم ، وعدم السفر إلى بلادهم إلا لضرورة، فإنه قد حذرنا من التحلي بأخلاقهم، والاتصاف بصفاتهم الخُلقية والخَلقية ، وجعل مخالفتهم من التكاليف التي يُكلّف بها المسلم ، كل ذلك لنقطع كل صلة توصلنا بأعدائنا ، لاسيما وأن التشبه في الظاهر قد يتعدى في غالب الأوقات إلى التشبه في الباطن .

وسوف أذكر بعض الآيات والأحاديث التي نصت على الأمر بالمخالفة والنهي عن المتابعة للكفار ، ثم أعقبها بكلام أهل العلم في بيانها.

فأما الآيات، فمنها قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿١٨﴾ ﴾(الجاثية: ١٨)

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴿١٠٥﴾ ﴾(آل عمران: ١٠٥)

وقوله تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴿١٢٠﴾ ﴾ (البقرة : ١٢٠)

وأما السنة، فمنها ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ((**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**))[(١)].

وفي رواية الترمذي : ((**غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود**))، وفي المسند زاد : ((**ولا بالنصارى**))[(٢)].

ومنها في الصحيحين أيضاً عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ((**خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى**))[(٣)].

ومنها ما روى أبو داود عن شداد بن أوس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: ((**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**))[(٤)].

وهذه النصوص من سنة رسول الله ﷺ وإن كانت تأمرنا بمخالفة أهل الكتاب في بعض الأمور ، إلا أنها مصدرة بالأمر العام بالمخالفة : ((**خالفوا اليهود – خالفوا المشركين – خالفوهم**))[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٤٩٦، ح ٣٤٦٢، ٥٨٩٩.

(٢) سنن الترمذي ص ٤٠٧ ح ١٧٥٢، كتاب ٢٢ اللباس، باب ٢٠ ما جاء في الخضاب . مسند الإمام أحمد ص ٥٤١ ح ٧٥٣٦ . والحديث صححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة ح ٨٣٦ .

(٣) رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ مسلم، انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٠/ ٢٥١، ح ٥٨٩٣، وصحيح مسلم مع الشرح النووي ١/ ٥٤٢، ح ٥٢.

(٤) سنن أبي داود مع عون المعبود ١/ ٤٢٧، ح ٦٥٢، انظر تصحيح الحديث: الاقتضاء:١٨١.

(٥) انظر هذه النصوص في الأحاديث المتقدمة.

ومقياس التشبه أن يفعل المتشبه ما يختص به المُتَشبه به، فإذا تشبه المسلم بشيء من خصائص الكفار، كان واقعا في التشبه المذموم الذي جاء النهي عنه ، وليس من ذلك أن يفعل المسلم شيئًا انتشر بين المسلمين، وصار لا يتميز به الكفار؛ فإنه لا يكون تشبهًا، فلا يكون حرامًا ، قال ابن حجر رحمه الله : " وقد كره بعض السلف لبس البرنس، لأنه كان من لباس الرهبان ، وقد سئل مالك عنه فقال : لا بأس به ، قيل فإنه من لبوس النصارى ، قال كان يلبس ههنا "[1]

ومما يدل على أنه ليس محذورًا على المسلم لبسه أن الرسول ﷺ قد نهى المحرم عن لباسه، فدل على جواز لبسه إذا لم يكن محرمًا.

والنهي من الشارع عن مشابهة الكافرين له حكم كثيرة :

منها : أن المشابهة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا و تشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال .

ومنها : أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة، تقتضي الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال .

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/ ٣٣٥ كتاب ٧٧ اللباس ، باب ١٣ البرانس .

ومنها : أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا بين المهتدين وبين المغضوب عليهم والضالين ... فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم ..

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ثمانية أوجه لتحريم مشابهة الكفار؛ من حيث النظر والاعتبار، ولخصها الشيخ ابن عثيمين ..

وهذه الأوجه هي :

١. أن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج التي قال الله تعالى فيها : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد ومشاركتهم في سائر المناهج .

٢. أن ما يفعلونه في أعيادهم معصية لله ، لأنه إما مُحْدَث مُبتدَع، وإما منسوخ، فأحسن أحواله -ولا حسن فيه- أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس .

٣. أنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك، أدى إلى فعل الكثير ، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله، حتى يصير عادة، بل عيدا فيضاهي بعيد الله، بل يزيد عليه .

٤. أن الأعياد والمواسم في الجملة لها منفعة عظيمة في دين الخلق ودنياهم . وقد شرع الله على لسان خاتم النبيين ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه ... فالعبد إذا أخذ من الأعمال غير المشروعة بعض حاجته ،

قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره ... ولهذا تجد مَن أَكْثَرَ مِن سماع القصائد لِطَلَبِ صلاح قلبه، تَنقُص رغبته في سماع القرآن ، حتى ربما يكرهه .

٥. أن مشابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل ... وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء.

٦. أن ما يفعلونه في أعيادهم منه ما هو كفر ومنه ما هو حرام ومنه ما هو مباح لو تجرد عن مفسدة المشابهة ، والتمييز بين هذا وهذا قد يخفى على كثير من العامة .

٧. أن الله جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط ... فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المساوقة والتدريج الخفي .

٨. أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان . [١]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٧ / ١٩٣ -١٩٤ . وانظرها في أصل الكتاب ، اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٤٧١- ٤٩٠

وقد قسم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مشابهة الكفار فيما ليس من شرعنا إلى قسمين، وذلك تبعا لتقسيم شيخ الإسلام لذلك، فقال رحمه الله :

أحدهما : مع العلم بأن هذا العمل من خصائص دينهم فيفعله موافقة لهم، أو لشهوة تتعلق بذلك العمل، أو لتخيل منفعة فيه. ولا شك في تحريم ذلك كله، وقد يبلغ أن يكون كبيرة أو كفرا حسب الأدلة الشرعية .

الثاني : أن يفعله من غير علم أنه من عملهم، وهو نوعان :

أحدهما : ما كان في الأصل مأخوذًا عنهم، إما على الوجه الذي يفعلونه، وإما مع نوع تغيير في الفعل أو زمانه أو مكانه، فيعرف الفاعل بأصله، فإن انتهى وإلا كان من القسم الأول ..

النوع الثاني : ما كان غير مأخوذ عنهم، لكنهم يفعلونه. فهذا ليس فيه محذور المشابهة، لكن قد تفوت فيه منفعة المخالفة . قلت ولا يرد على ذلك إعفاء اللحية لأنه من شرعنا . [(١)]

---

(٧٧) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ج : ٧ ص : ١٩٤ . وانظرها في أصل الكتاب : اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٤٩١ – ٤٩٢ .

الخاتمة

و أختم بحثي هذا بذكر أهم النقاط التي توصلت إليها من خلاله، فقد ظهر لي ما يأتي :

١. أن تسمية البلد بأنه بلاد الإسلام أو بلاد كفر يرجع إلى اعتبارين :

الأول : إلى من يسكنه من الناس . والثاني : إلى الحكم القائم فيه .

فإن كان الغالب على من يسكن تلك البلاد المسلمين، سمي البلد بلاد مسلمين، وإن كان الغالب على من يسكنها الكفار، سميت بلاد كفر .

وإذا نظرنا إلى الحكم في تلك البلاد سميناها بحسبه؛ فإن كان الحاكم مسلماً مطبقاً لشرع الله، سمي البلد بلد إسلام، ولو كان أهلها كفارًا ، وإن كان الحاكم كافراً، ولو كان أهل البلد مسلمين، فإن البلد يسمى بلد كفر.

وأن الصفة التي توسم بها البلاد بأنها بلاد كفر أو إسلام، إنما هي صفة لأهلها أو حكامها، لا إلى البلد نفسها؛ فإنها قد تكون ذات فضل في نفسها، وتكون دار كفر؛ كما كانت مكة ، وكما هي حال القدس الآن .

٢. أن من أراد الإقامة في بلاد الكفر من المسلمين، فلا بد له من مراعاة الشروط والضوابط التي تكفل له البقاء على دينه وآدابه الإسلامية .

٣. بيان المراد بالموالاة للكافر وحكمها ومحترزاتها ، والجمع بينهما وبين التعامل مع الكافرين .

٤. بيان حكم السفر إلى بلاد الكفر ومحترزاته وشروطه، والتحذير منه.

٥. بيان التحذير من مشابهة الكفار، وبيان مقياس التشبه بالكفار، وأوجه ذلك التشبه .

المصادر والمراجع :

- الابتعاث ومخاطره : تأليف : محمد الصباغ ، الطبعة الأولى١٣٨٩ هـ١٩٧٨م : المكتب الإسلامي ..
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: تأليف : د. عبد الكريم زيدان ، مكتبة الترس ومؤسسة الرسالة الطبعة: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل: تأليف : ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ،ط الأولى:١٣٩٩ هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق وتعليق وتقريظ مجموعة من العلماء ، نشر محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : تأليف : شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، ط: الأولى ١٤٠٤ هـ ، شركة العبيكان للطباعة والنشر .
- تحكيم القوانين: تأليف : محمد بن إبراهيم ،ط. الثانية: ١٤٠٣هـ الرياض .
- تفسير القرآن العظيم : تأليف: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، دار الحديث ، ط: ١٤٢٣هـ القاهرة .

- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : تأليف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب ، مكتبة التراث الإسلامي.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن : تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ،بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن: تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الندوة الجديدة ، ط: ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ، بيروت/ لبنان.
- الدفاع عن أهل السنة والاتباع (ضمن مجموعة كتب ورسائل الشيخ حمد بن علي العتيق) . عني بتصحيحه ومراجعته إسماعيل بن سعد بن عتيق ، نشر دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ
- زاد المعاد في هدي خير العباد . تأليف : ابن القيم الجوزية . تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
- سنن ابن ماجه : تأليف : أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، دار إحياء الكتب العربية .
- سنن أبي داود : تأليف : الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار الحديث ، سورية.

• سنن الترمذي : تأليف : أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، مطبعة مصطفى البابي ، ط. الثانية: ١٣٩٥هـ ، مصر.

• سنن الدارمي : تأليف : أبي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، السيد عبد الله هاشم اليماني، ط: ١٣٨٦هـ، المدينة المنورة.

• سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي والسندي ، عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ط. الثانية: ١٤٠٦هـ، بحلب.

• السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وتخريج عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م

• شرح صحيح مسلم تأليف : أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار القلم ،ط. الأولى: ١٤٠٧هـ، بيروت.

• صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): تأليف : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، ط. الثانية: ١٤٠٦هـ .

• ضعيف الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير: تأليف : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ، ط. الثانية: ١٤٠٨هـ .

• فتح الباري شرح صحيح البخاري : تأليف : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار السلام للنشر والتوزيع ، ط. الأولى: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

• الفتاوى السعدية : تأليف : الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي ، مكتبة المعارف ط : ١٤٠٢هـ الرياض.

- كشف الأستار عن زوائد البزار ، تأليف الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . تحقق : حبيب الرحمن الأعظمي . نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
- لسان العرب لابن منظور الافريقي المصري ، نشر دار صادر ، بيروت .
- مجموع الرسائل والمسائل النجدية : تأليف : بعض علماء نجد ، دار العاصمة ط . الأولى: ١٣٤٩هـ، الرياض.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. طبع بأمر الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ العثيمين ، فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، دار الثريا للنشر ، ط. الأولى: ١٤١٨-١٤٢٠هـ.
- مجموعة رسائل الشيخ حمد بن علي بن عتيق (رسالة التحذير من السفر إلى بلاد المشركين). نشر دار الهداية للنشر والطبع والترجمة ، الرياض .
- المحلى : تأليف : أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، مكتبة الجمهورية العربية ،مصر.
- مدارج السالكين : تأليف : أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ، ط. الثانية: ١٤١٤هـ.
- المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي تأليف : الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار المعرفة ط. الأولى، بيروت .

- مناقب الشام وأهله : تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية ،المكتب الإسلامي ، ط. الرابعة: ١٤٠٣هـ.
- المنهاج في شعب الإيمان : تأليف : أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، دار الفكر،ط. الأولى: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الموافقات في أصول الأحكام : تأليف : أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار الفكر .
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ : إعداد مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤١٩ - ١٤٢٠ هـ .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار .. تأليف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط . الثانية: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .

فهرس الموضوعات

مَسَائِلُ العَقِيْدَة الرّئيسَة في سُوْرَة الكَوْثَـر

((دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة))

تأليف

د.عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض

المقدمة

" الحمد لله الذي أنزل القرآن كتاباً جامعاً، وبرهاناً قاطعاً، ودليلاً متيناً، ونوراً مبيناً، لا يأتي على فضله العدُّ، ولا يَخْلَق على كثرة الردِّ، من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه أصبح صدره ضيّقاً حرجاً، فيه لكل شيء تبيان ، وبين كل حق وباطل فصل وقرآن، عرف ذلك من استوى على متن تياره في فلك النظر، وغاص في لجج بحاره، فاستخرج يتائم الدرر، فهو مادة لعلوم المعقول والمنقول، وينبوع لفنون الفروع والأصول.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكشف عن قائلها شبه المطالب، وتوضح له بعين اليقين كل ما هو له طالب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الأعاجم والأعارب، المنعوت في كتب الأولين بأنه الخاتم العاقب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى ذوي الأحساب والمناقب ما ظهر فلك في المشارق والمغارب "[1].

فقد أرسل الله " رسوله بالهدى ودين الحق رحمةً للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأتمّ به مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضله نوراً هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفلاح لمن تبعه،

---

(١) من كلام العلامة الطوفي الحنبلي ت ٧١٦هـ في مقدمة كتابه: "الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية": ١/ ٢٠٣.

وبالخسارة لمن أعرض عنه بعد ما سمعه، أعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته، وسهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشّر وأنذر، وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن أحوال الماضين، ليعتبر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره وأعلامه.. ثم هو كلام معجز وبحر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا درك لحقائق معانيه، وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتبا، كل على قدر فهمه ومبلغ علمه، فشكر الله -تعالى- سعيهم، ورحم كافتهم "[1].

ومن مزايا القرآن الكريم على الكتب السماوية المتقدمة: الشمول والإحاطة، فقد اشتمل القرآن على بيان العقائد الصحيحة التي صحح بها أفكار الناس عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعلى بيان العبادات المشروعة بأنواعها، التي يجب أن تصرف لله وحده لا شريك له، كما أعلن القرآن محاربته للبدع والضلالات التي نشرتها الوثنية المضللة، واليهودية المحرفة، والنصرانية المبدلة، والفرق المنحرفة، وغيرهم ممن أضل الناس عن عبادة الواحد الأحد، إلى عبادة أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، وفتنوهم بوسائط وشفعاء يشفعون لهم عند الله- بزعمهم-.

---

(١) من كلام العلامة البغوي الشافعي ت ٥١٦هـ في مقدمة تفسيره "معالم التنزيل": ١/ ٣٣.

فالقرآن مشتمل على أصول العقيدة ومباحث التوحيد، بل نقول قولاً كلياً- كما قال العلامة ابن القيم [١] -رحمه الله--: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم [٢].

وقال العلامة ابن سعدي [٣] -رحمه الله-: ومن كليات القرآن أن تدعو إلى توحيد الله، ومعرفته بذكر أسماء الله وأوصافه وأفعاله الدالة على تفرده

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، الإمام شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن القيم، ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ. ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر ٣/ ٤٠٠،وشذرات الذهب لابن العماد٦/ ١٦٨ والبدر الطالع، للشوكاني ٢/ ١٤٣، ومعجم المؤلفين، لكحالة ٣/ ١٦٤.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وبرع في علوم كثيرة، وخاصة في التفسير، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: معجم المؤلفين ٢/ ١٢١- ١٢٢، ومقدمة تفسيره بقلم أحد تلاميذ الشيخ ص ٥-٨.

بالوحدانية وأوصاف الكمال، وإلى أنه الحق، وعبادته هي الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، ويبين نقص كل ما عبد من دون الله من جميع الوجوه.

ويدعو إلى صحة ما جاء به الرسول محمد ﷺ ، وصدقه، ببيان إحكامه وتمامه، وصدق إخباراته كلها، وحسن أحكامه، ويبين ما كان عليه الرسول ﷺ من الكمال البشري، الذي لا يلحقه فيه أحد من الأولين والآخرين، ويتحداهم بأن يأتوا بمثل ما جاء به إن كانوا صادقين، ويقرر ذلك بشهادته تعالى بقوله وفعله وإقراره إياه، وتصديقه له بالحجة والبرهان، وبالنصر والظهور، وبشهادة أهل العلم المنصفين، ويقابل بين ما جاء به من الحق في أخباره وأحكامه، وبين ما كان عليه أعداؤه والمكذبون به من الكذب في أخبارهم، والباطل في أحكامهم.

ويقرر الله المعاد بذكر كمال قدرته وخلقه للسموات والأرض.. ويدعو جميع المبطلين من الكفار والمشركين والملحدين، بذكر محاسن الدين، وأنه يهدي للتي هي أقوم في عقائده وأخلاقه وأعماله، وبيان ما لله من العظمة والربوبية والنعم العظيمة، وأن من تفرد بالكمال المطلق والنعم كلها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له [1].

(١) مقدمة تفسير ابن سعدي- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- ص ١١- ١٢. وينظر في اشتمال القرآن على أصول الاعتقاد: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٧، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٢/ ٣٣٨، ومناهل العرفان، للزرقاني ٢/ ٩٠و ٢٦٢. وقد ذكر بعض الأئمة أن من أوجه إعجاز القرآن من جهة ما اشتمل عليه من معاني الأسماء والصفات والملائكة، وغير

ومن أجل سـور القرآن سورة الكوثر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) -رحمه الله-: سورة الكوثر، ما أجلها من سورة؟ وأغزر فوائدها على اختصارها(٢).

وقد اشتملت هذه السورة على معاني التوحيد والعقيدة بأوجز عبارة.

ولأجل اشتمال هذه السورة العظيمة على بعض مباحث العقيدة المهمة بأوجز عبارة، رأيت من المهم بحث المسائل العقدية الرئيسة الواردة في هذه السورة، بكتابة بحث يكون عنوانه:

مسائل العقيدة الرئيسة في سورة الكوثر(٣)

"دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"

أسباب بحث الموضوع:

ذلك. ينظر:إعجاز القـران للبـاقلاني٢٠٠-٢٠١، الجـواب الـصحيح، لابـن تيميـة ٥/ ٤٢٨-٤٢٩، ٢٠٠-٢٠١.

(١) هو أحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن علي، الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس ابـن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: تـذكرة الحفـاظ، للـذهبي ٤/ ٢٧٨،وفـوات الوفيات للكتبي١/ ٣٥ والبداية والنهاية، لابن كثير ١٨/ ٢٩٥، والبدر الطالع ١/ ٦٣، ومعجم المؤلفين ١/ ١٦٣.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ٤٥.

(٣) اشتملت سورة الكوثر على مسائل عقدية كثيرة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾ ، تقرير لتوحيد الربوبية، وفي قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ تقرير لركن الإخلاص في الأعمال لله وحده، ووجوب صرف عبادة الصلاة لله وحده، وحرمة صرفها لغيره. ولكن اقتصرت كما هو ظاهر في عنوان البحث على المسائل العقدية الرئيسة في هذه السورة، وهي: الكوثر، والذبح، وحكم بغض النبي ﷺ أو تنقصه.

١- أهمية استخلاص مسائل العقيدة من القرآن الكريم، ودراستها وفق معتقد أهل السنة.

٢- أهمية الرد على المخالفات العقدية التي وردت في تفسيرات بعض المخالفين، فإنك لا تجد مبتدعاً إلا ويلوي كلام الله ﷻ عن مراده إلى ما يهواه. ولا شك أن دراسة مباحث العقيدة في القرآن، والردّ على شبه الطاعنين والمحرفين لنصوصه، هو من النصيحة لكتاب الله ﷻ.

٣- اشتمال هذه السورة الجليلة -على قصرها- على مباحث عقدية مهمة، كالكوثر، والذبح، وبغض النبي ﷺ، وغيرها، وهذا يؤكد أهمية جمع هذه المسائل العقدية، وبحثها في بحث مفرد.

٤-أن بعض البدع والمكفرات التي جاء الحديث عن أصلها في السورة، نحو الذبح لغير الله، وبغض المصطفى ﷺ؛ مما فشت وانتشرت في الوقت الحاضر في بعض الأقطار الإسلامية وغيرها، فقد انتشر الذبح عند الأضرحة والمزارات والمشاهد وغيرها، كما أن بغض النبي ﷺ والإساءة إليه قد انتشر في بعض وسائل الإعلام الغربية، بشكل كبير وواسع.

وقد قامت كثير من الهيئات والمراكز والجمعيات الإسلامية بواجبها في ذلك، مثل:إقامة الندوات والمؤتمرات لنصرة النبي ﷺ، والدفاع عنه. ولا شك أنَّ هذا مفيد ومهم، لكن يجب على الباحثين المتخصصين الإسهام أيضاً بشكل أكبر في الدفاع عن النبي ﷺ، عن طريق البحوث والدراسات العلمية المتخصصة.

الخطة العامة للبحـث

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمـة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث.

تمهيـد موجز حول سورة الكوثر.

الفصل الأول: الكوثر. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الكوثر.

المبحث الثاني: احتفاء أهل السنة بالكوثر.

المبحث الثالث: الراجح في تفسير الكوثر في الآية.

المبحث الرابع: صفة الكوثر.

الفصل الثاني: الذبح، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسير آية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

المبحث الثاني: وجوب أن يكون الذبح لله، عز وجل.

المبحث الثالث: حرمة أن يكون الذبح لغير الله، عز وجل.

الفصل الثالث: بغض النبي ﷺ وتنقصه، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: تفسير آية ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ .

المبحث الثاني: وجوب محبة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: حرمة بغض النبي ﷺ وتنقصه.

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث، وألحقت بالبحث فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وقد حاولت قدر الإمكان التزام المنهج العلمي المتبع في إعداد البحوث العلمية، فخرّجت الآيات والأحاديث، وبيَّنت الحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين، بنقل كلام أهل العلم المتخصصين في التصحيح والتضعيف، وكذا قمت بالتعريف بالأعلام غير الصحابة، والفرق، ووثقت النصوص من مظانها.

وبعد، فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان من صواب فمن الله، وهو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وما كان من خطأ وتقصير فمن نفسي المقصرة والشيطان. والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

د/ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحسن التركي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

كلية أصول الدين بالرياض

تمهيد موجز حول سورة الكوثر .

هي سورة مكية في قول عائشة، وابن عباس[١]، والكلبي[٢]، ومقاتل[٣]. ومدنية في قول الحسن[٤]، وعكرمة [٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة [٧][٨] .

---

(١) ينظر: تفسير السيوطي- الدر المنثور- ١٥/ ٦٩٥.

(٢) هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر، شيعي متروك الحديث، توفي سنة ١٤٦هـ. ينظر:الجرح والتعديل للرازي٧/ ٢٧٠،وفيات الأعيان٤/ ٣٠٩، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٦/ ٢٤٨، والشذرات ١/ ٢٣.

(٣) هو مقاتل بن سليمان، أبو الحسن البلخي، كبير المفسرين، كان يقول بالتشبيه، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. ينظر:الجرح والتعديل٨/ ٣٥٤،وفيات الأعيان٥/ ٢٥٥، السير ٧/ ٢٠١، ، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٥٥.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، من كبراء التابعين، ولد أواخر خلافة عمر، وتوفي سنة ١١٠هـ. ينظر:حلية الأولياء٢/ ١٣١، السير ٤/ ٥٦٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٦٦، والشذرات ١/ ١٣٦.

(٥) هو عكرمة الحافظ المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني، حدث عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر: الجرح والتعديل ٧/ ٧،والحلية٣/ ٣٢٦،و وفيات الأعيان٣/ ٢٥٦،والسير ٥/ ١٢، والشذرات ١/ ١٣٠.

(٦) هو مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي، يروي عن ابن عباس وعائشة وغيرهما. توفي سنة ١٠٢هـ على الراجح. ينظر:الحلية٣/ ٢٧٩،و السير ٤/ ٤٤٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، والشذرات ١/ ١٢٥.

(٧) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، قدوة المفسرين، أبو الخطاب السدوسي الضرير، ولد سنة ٦٠هـ وتوفي سنة ١١٧هـ. ينظر: السير ٥/ ٢٦٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢، والشذرات ١/ ١٥٣.

(٨) ينظر:تفسير الماوردي١/ ٥٣١،تفسير ابن الجوزي٩/ ٢٤٧،تفسير ابن عطية١٥/ ٥٨٢، تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن- ٢٢/ ٥١٩، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٥، وتفسير الغرناطي الكلبي- التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ٤٣٦، وتفسير الثعالبي -الجواهر الحسان- ٤/ ٤٤٥.

وهي أقصر سور القرآن [١].

"وقد تضمنت الإخبار عن معنيين: **أحدهما**: الإخبار عن الكوثر وعظمته وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدِّقين به أكثر من أتباع سائر الرسل. **والثاني**: الإخبار عن الوليد بن المغيرة [٢]، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ [٣] ثم أهلك الله -سبحانه- ماله، وولده، وانقطع نسله" [٤].

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر هنا في مقابلة البخل: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي: دُمْ عليها، وفي مقابلة الرياء: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أي:

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١/ ٧٤، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٥٢، والإتقان ٢/ ٤٣٢،وأبجدالعلوم لصديق حسن خان٢/ ٥٠٧، ومناهل العرفان ١/ ٢٤٢.

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ولد سنة ٩٥ قبل الهجرة، وهو الذي جمع قريشاً، وقال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحداً مما تقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه: ساحر، لأنه يفرق بين المرء وأخيه، والزوج وزوجته. هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٢/ ٢٦، والبداية والنهاية ٤/ ١٥٢ و ٢٢ وما بعدها، والأعلام، للزركلي ٩/ ١٤٤.

(٣) سورة المدثر ١١- ١٤.

(٤) من تفسير القرطبي ١/ ٧٤. وفي تفسير الآية أقوال كثيرة، وسيأتي بيانها، إن شاء الله .

لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿ وَٱنْحَرْ﴾، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي. فاعتبر هذه المناسبة العجيبة[١].

وقد قرر العلماء أن إعجاز القرآن يتجلى في هذه السورة، وأن طول السورة ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة[٢].

وقد تجرأ بعض الزنادقة على هذه السورة العظيمة، ومنهم ابن الراوندي[٣] الملحد، قال العلامة ابن الجوزي[٤] -رحمه الله-: نظرت في كتاب الزمرد، فرأيت منه من الهذيان البارد والذي لا يتعلق بشبهة، حتى إنه -لعنه الله- قال فيه: نجد في كلام أكثم بن صيفي[٥] أحسن من ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾[٦].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/ ٣٩. وينظر: الإتقان ٢/ ٢٩٧، والأسرار لترتيب القرآن، للسيوطي ١٥٨. وبتفصيل بديع: تفسير الرازي ٣٢/ ١١٨- ١٢١.

(٢) ينظر: البرهان ١/ ٢٦٤. وينظر: إعجاز القران للباقلاني ٢٥٤، والفصل، لابن حزم ٣/ ١٢، والروض الأنف للسهيلي ١/ ١٨٥، والإتقان ١/ ١٧٩ و ٢/ ٣٢٤، ومناهل العرفان ١/ ٢٤٣.

(٣) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسن الراوندي الملحد صاحب التصاتيف في الحط على الملة، هلك سنة ٢٩٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٩٤، السير ١٤/ ٥٩، ، والوافي بالوفيات، للصفدي ٨/ ٢٣٢، والشذرات ٢/ ٢٣٥.

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق ﷺ الشيخ العلامة جمال الدين أبو الفرج الشهير بابن الجوزي، ولد سنة ٥٠٩هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠، والسير ٢١/ ٣٦٥، وذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/ ٣٩٩.

(٥) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، أدرك الإسلام، وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق سنة ٩هـ. ولم ير النبي ﷺ. ويقال هو الذي نزلت فيه آية ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ النساء ١٠٠. ينظر: أسدالغابة ١/ ١١٣، والإصابة، لابن حجر ص ٦٩ رقم ٣٧٨، الغابة، والأعلام ١/ ٣٤٤.

(٦) المنتظم ١٣/ ١١٠ . ونقله الذهبي في السير ١٤/ ٦٠.

ومن العجائب ما حكاه ابن الجوزي عن معارضة بعض المشركين لسورة الكوثر بكلام بارد سمج، قال: فصل: فيمن ادعوا النبوة، ومن ادعوا الكرامات، والحق لا يشتبه بباطل، إنما يُموّه الباطل عند من لا فهم له، هذا في حق من يدعي النبوات، وفي حق من يدعي الكرامات، أما النبوات فإنه ادعاها خلق كثير، ظهرت قبائحهم، وبانت فضائحهم، ومنها ما أوجبته خسة الهمة، والتهتك في الشهوات، والتهافت في الأقوال والأفعال، حتى افتضحوا، ثم عدَّ جملة منهم، ثم قال: ومنهم هذيل بن واسع، كان يزعم أنه من ولد النابغة الذبياني[1]، عارض سورة الكوثر، فقال له رجل: ما قلت؟ فقال: إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، فما يردنك إلا فاجر. فظهر عليه رجل فقتله، وصلبه على العمود، فعبر عليه رجل، فقال: إنا أعطيناك العمود، فصل لربك من قعود، بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تعود[2].

---

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة شاعر جاهلي من أهل الحجاز، كانت له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، توفي قبل الهجرة بنحو ١٨ سنة. ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة٣٨، ونهاية الأرب، للنويري ٣/ ٥٩، والأعلام ٣/ ٩٢. وأما هذيل بن واسع فلم أقف له على ترجمة.

(٢) صيد الخاطر ص ٤١١.

الفصل الأول : الكوثـــر

المبحث الأول: تعريف الكوثر.

لغـة: الكوثر فَوْعَل من الكثرة، والكوثر: الرجل الكثير العطاء والخير. قال الكميت [١]:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثراً [٢]

والكوثر: السيد، ويقال للغبار إذا سطع، وكثر:كوثر، والكثر والكوثر واحد. ويقال للكثير:كثير وكوثر [٣].

اصطلاحاً: هو نهر في الجنة خص الله -عز وجل- به نبينا محمداً ﷺ -كما سيأتي بيانه تفصيلاً وبيان صفته- وقد سمى الله النهر كوثراً لكثرة مائه وآنيته، وعِظَم قدره وخيره، والعرب تسمى كل شيء كثير العدد أو القدر أو الخطر كوثراً [٤].

---

(١) هو الكميت بن زيد الأسدي الكوفي، مقدم الشعراء في وقته، روى عن الفرزدق وغيره، ووفد على يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام، مات سنة ١٢٦هـ. ينظر:الشعروالشعراء٣٦٨، والأغاني للأصبهاني١٧/ ١، السير ٥/ ٣٨٨١.

(٢) ديوان الكميت ص ١٧٧، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥١٩.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ١٧٨-١٧٩ وينظر: العين، للخليل بن أحمد ٣/ والصحاح، للجوهري ٢/ ٨٠٣١٥٥٧، و مجمل اللغة، لابن فارس ٣-٤/ ٧٧٨، ، واللسان، لابن منظور ٦/ ٤٤٧- ٤٤٨، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ٦٠٢- كثر- ، وينظر أيضاً: تفسير البغوي ٨/ ٥٥٨، وعمدة الألفاظ، لابن السمين ٣/ ٢٢٣٥، والمفردات، للراغب الأصفهاني ٤٣٩ ، وتفسير السيوطي ١٢٢، وتفسير ابن عاشور ٣٠/ ٥٧٢٥١٩.

(٤) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/ ٢٠٥، والنشر الطيب، للوزاني ٢/ ٣٩٠. وينظر نحوه في تفسير الرازي٣٢/ ١٢٤،و فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٧٣١- ٧٣٢، وعمدة القاري، للعيني ٢٠/ ٣، والكليات، للكفوي ٧٤٢.

المبحث الثاني: احتفاء أهل السنة بالكوثر.

اهتمّ العلماء والأئمة بالكلام على نهر الكوثر الذي أعطاه الله نبينا محمداً ﷺ في الجنة اهتماماً بالغاً، واحتفوا به احتفاءً عظيماً، وتنوّعت وسائلهم في ذلك. ومن أبرز وسائلهم الآتي :

١- بيان صحة أحاديث الكوثر وتواترها. وفيما يلي نماذج من أقوال العلماء في تقرير ذلك :

أ- قال العلامة ابن عبد البر[١] -في معرض حديثه عن الكوثر، واختصاص المصطفى ﷺ به: وهذه الخصال رواها جماعة من الصحابة،... وهي صحاح، ورويت في آثار شتى[٢]، وقال: فهي في أسانيد صحيحة ثابتة[٣].

ب- وقال العلامة أبو عمرو الداني[٤]: والكوثر نهر في الجنة أُعطيه نبينا ﷺ ، بذلك تواترت الأخبار، وصحت الآثار [٥].

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، الشيخ العلامة، أبو عمر الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ، ينظر: وفيات الأعيان٧/ ٦٦، و السير ١٨/ ١٥٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨، والشذرات ٣/ ٣١٤.

(٢) الاستذكار ١/ ٩٥.

(٣) التمهيد ٥/ ٢١٩.

(٤) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، العلامة أبو عمرو الداني القرطبي المالكي عالم الأندلس، ولد سنة ٣٧١هـ. وتوفي سنة ٤٤٤هـ. ينظر: السير ١٨/ ٧٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٠، ونفح الطيب، للمقري ٢/ ١٣٥، والشذرات ٣/ ٢٧٢.

(٥) الرسالة الواضحة ص١١١.

جـ-وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -عن الكوثر-: هو نهر في الجنة، كما وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة [١].

د - وقال العلامة ابن كثير[٢] - عن أحاديث الكوثر -: تواترت من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث [٣].

هـ- وقال العلامة السيوطي[٤]: والكوثر نهر في الجنة، كما في الأحاديث المتواترة[٥].

٢- ذكر الكوثر ضمن العقائـد .

اعتنى كثير من العلماء بذكر الكوثر ضمن عقائدهم، أو ضمن ما اشتهر من عقيدة أهل السنة والجماعة . ومن هؤلاء :

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٢٩.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، الشيخ العلامة عماد الدين أبو الفداء الشهير بابن كثير، ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، والبدر الطالع ١/ ١٥٣، ومعجم المؤلفين ١/ ٣٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١ ونحوه عند الشيخ ابن قاسم في حاشية الدرة المضية ٩١-٩٢.

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، الشيخ العلامة جلال الدين أبو الفضل السيوطي المصري الشافعي، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ. ينظر: الضوء اللامع، للسخاوي ٤/ ٦٥،الشذرات٢/ ٨٢-٨٥ والكواكب السائرة للغزي ١/ ٢٢٦والبدر الطالع ١/ ٣٢٨.

(٥) الإتقان ٢/ ٣٧٨. وقد عد الكتاني أحاديث الكوثر ضمن المتواتر ينظر: نظم المتناثر ٣٤٩ .

أ- الإمام أحمد بن حنبل[١]، قال -فيما نقله عنه تلميذه عبدوس-[٢]: والجنة والنار مخلوقتان، قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: "دخلت الجنة فرأيت قصراً، ورأيت الكوثر"[٣].

ب- المحدث أبو عوانة[٤]، قال: مبتدأ أبواب الرد على الجهمية، وبيان أن الجنة مخلوقة، وأن النبي ﷺ دخلها...، وأن الكوثر الذي أُعطي محمد ﷺ، مخلوق وموجود، وهو نهر من ماء، ترابه المسك[٥].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، الإمام أبو عبد الله الشيباني، إمام أهل السنة والجماعة، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ. ينظر: طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى١/ ٤، والسير ١١/ ١٧٧، وتذكرة الحفاظ٢/ ٤٣١، والشذرات ٢/ ٩٦.

(٢) هو عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، ذكره أبو بكر الخلال. فقال: كانت لـه عند أبي عبد الله منزلة، وكان يقدمه، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٤١، وتاريخ بغداد١١/ ١١٥، وتذكرة الحفاظ٢/ ٦٧٥، والمقصد الأرشد، لابن مفلح ٢/ ٢٨١، والمنهج الأحمد، للعليمي ١/ ٤٣٥.

(٣) شرح أصول الاعتقاد للالكائي١/ ١٦٤، و طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٥، وحادي الأرواح، لابن القيم ٣٧. ونحوه عن ابن المديني عند اللالكائي ١/ ١٧٠. وكلام الإمام أحمد، وإن كان عاماً في الجنة ووجودها الآن، لكن يدخل الكوثر ضمن ذلك، ولا شك أن تنصيص الإمام أحمد عليه دون ما سواه مما في الجنة مما رآه النبي ﷺ، يُشعر باحتفائه.
وحديث: " دخلت الجنة فرأيت قصراً " في الصحيحين، عن أبي هريرة في فضائل عمر بن الخطاب، ينظر: صحيح البخاري ٣٢٤٢ و٣٦٨٠ و٥٢٢٧ و٧٠٢٣ و٧٠٢٥، ومسلم ٢٣٩٥ وجاء عن أنس، وجابر، ومعاذ، وبريدة نحو ذلك. وسيأتي تخريج حديث رؤية النبي محمد ﷺ للكوثر عند الكلام على أحاديث الكوثر.

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد، المحدث الكبير، أبو عوانة الأسفراييني صاحب المسند المخرج على مسلم. ولد بعد ٢٣٠هـ. وتوفي سنة ٣١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ٦/ ٣٩٣، و السير ١٤/ ٤١٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٧٩، وطبقات الشافعية، للسبكي ٣/ ٤٨٧، والشذرات ٢/ ٢٧٤ .

(٥) مسند أبي عوانة ١/ ١١٨ .

جـ- العلامة الصابوني[١]، قال – في بيان عقيدة السلف - : ويؤمنون بالحوض والكوثر[٢] .

د - العلامة الخطابي[٣]، قال- في بيان عقيدة السلف - : ويؤمنون بالحوض والكوثر[٤] .

هـ- العلامة النسفي[٥]، قال: والكوثر في الجنة حق [٦].

و- العلامة الغزالي[٧]، قال-عن الحوض-: فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر [٨].

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، الشيخ العلامة، أبو عثمان الصابوني، ولد سنة ٣٧٣ هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: السير ١٨/ ٤٠، والوافي بالوفيات ٩/ ١٤٣، وطبقات السبكي ٤/ ٢٧١، والشذرات ٣/ ٢٨٢.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٧٩.

(٣) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب، الشيخ العلامة أبو سليمان الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة وتوفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر:وفيات الأعيان٢/ ٢١٤،و السير ١٧/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨، وطبقات السبكي ٣/ ٢٨٢، والشذرات ٣/ ١٢٧.

(٤) الغنية عن الكلام وأهله ص٤٣.

(٥) هو ميمون بن محمد بن محمد بن مكحول، الشيخ أبو المعين النسفي الحنفي الماتريدي، ولد سنة ٤١٨هـ وتوفي سنة ٥٠٨هـ. ينظر: الجواهر المضية، للقرشي ٢/ ١٨٩، والفوائد البهية، للكنوي ٢١٦، والأعلام ٨/ ٣٠١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٩٤٩.

(٦) بحر الكلام ٢٣٩.

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الشيخ العلامة حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي الشافعي، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر:وفيات الأعيان٤/ ٢١٦،و السير ١٩/ ٣٢٢، وطبقات السبكي ٦/ ١٩١، والشذرات ٤/ ١٠ .

(٨) قواعد العقائد ص:٣٥ . ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفترى ص٣٠٦ .

ز- العلامة السفاريني[١]، قال:

فكُنْ مُطيعاً واقْفُ أهل الطاعـة في الحوض والكوثر والشـفاعة[٢]

وقد أنكر الكوثر بعض المبتدعة، وهم المعتزلة[٣][٤] وغيرهم.

وإن أنكروا الأصل فهم منكرون للفرع من باب أولى [٥]، وقد اشتهر عن المعتزلة إنكارهم الحوض[٦]، قال العلامة السفاريني: خالفت المعتزلة فلم تقر بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة، بل وبظاهر القرآن، ففي الصحيح عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**بينما أنا**

---

(١) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، الشيخ العلامة شمس الدين أبو العون السفاريني الحنبلي، ولد سنة ١١١٤هـ، وتوفي سنة ١١٨٨هـ. ينظر: مختصر طبقات الحنابلة لابن الشطي ١٢٧، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٣٠٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٦٥.

(٢) الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ص٧٧(١١٩). وينظر: حاشية ابن قاسم عليها ص٩١.

(٣) هم فرقة كلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وزعيمهم واصل بن عطاء الذي طرده الحسن البصري لما خالف في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل في سارية من سواري مسجد البصرة، وأخذ يقرر مذهبه، ولهم أصول خمسة من اعتقدها فهو معتزلي: التوحيد، وقصدوا به نفي الصفات، والعدل وقصدوا به نفي القدر، والمنزلة بين المنزلتين، وقصدوا به أن مرتكب الكبيرة في الدنيا ليس بمسلم ولا كافر، بل في منزلة بينهما، وفي الآخرة مخلد في النار، والوعد والوعيد، وعنوا به إيجاب ما أوعده الله، أو توعد به على الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعنوا به وجوب الخروج على أئمة الجور. ينظر فيهم:مقالات الإسلاميين١/ ٢٣٥، والتنبيه والرد، للملطي ص٣٥ ، والفرق بين الفرق، للبغدادي ١١٢، ٢٣٥ ،و الملل والنحل، للشهرستاني ٤٣.

(٤) التبصير في الدين، للإسفراييني ص٦٦ .

(٥) وسيأتي بيان أن الكوثر هو الأصل، وأن ماء الحوض يُمدّ من الكوثر.

(٦) ينظر: الإبانة، للأشعري ص٩٩ .

أسير في الجنة، إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك..)) (١). ثم ساق بعض الأحاديث في الكوثر–وستأتي تفصيلاً–. ثم قال: إذا علمت هذا مع ما قدمناه من الأحاديث الصحيحة بالألفاظ الصريحة، فمن خالف في الحوض ولم يقر بإثباته فهو مبتدع..، زائغ عن الصواب، مستحق للطرد عنه، وكفى بذلك خزي وعذاب (٢).

وقال العلامة ابن المزين القرطبي (٣): ومما يجب على كل مكلف أن يعلم ويصدق بأن الله تعالى قد خصّ نبيه محمداً ﷺ بالكوثر.. المصرّح باسمه وصفته، وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي واليقين التواتري.. ثم قال: فلزم الإيمان بذلك، والتصديق به، كما أجمع عليه السلف وأهل السنة...، وقد أنكرته طائفة من المبتدعة، وأحالوه عن ظاهره، وغلوا في تأويله من غير إحالة عقلية ولا عادية تلزم من إقراره على ظاهره، ولا منازعة سمعية ولا نقلية

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٩٦٤ و٦٥٨١ .

(٢) لوائح الأنوار السنية ٢/ ١٧٣–١٧٤ .

(٣) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الشيخ العلامة أبو العباس القرطبي المالكي، الشهير في بلاده بابن المزين، ولد سنة ٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر: العبر للذهبي ٥/ ٢٢٦،والوافي بالوفيات٧/ ٢٦٤ونفح الطيب، للمقري ٢/ ٥، والبداية والنهاية ١٧/ ٣٨١، .

تدعو إلى تأويله، فتأويله تحريف صدر عن عقل سخيف خرق به إجماع السلف، وفارق به مذهب أئمة الخلف [١].

وقال الحافظ ابن حجر[٢]: أنكره الخوارج[٣] وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد[٤] أحد أمراء العراق لمعاوية وولده،... دخل أبو برزة الأسلمي ﷺ على ابن زياد، فأنكر ابن زياد الحوض، وقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ فقال أبو برزة : نعم، لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذّب به، فلا سقاه الله منه [٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٦/ ٩٠، ونقله ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٦٧، وينظر: الروضة الندية، للفياض٣٣٦-٣٣٧.

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الشيخ العلامة شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ولد سنة ٧٧٣هـ وتوفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع ٢/ ٣٦، والشذرات٧/ ٢٧٠، والبدر الطالع ١/ ٨٧، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٠.

(٣) هي أول فرقة خرجت في الإسلام، بعد قصة التحكيم بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- وقالوا بتكفيرهما، وكل من رضي بالتحكيم، وخرجوا على علي ﷺ فقاتلهم في معركة النهروان. والخارجي عند السلف هو من يخرج على الإمام الحق، ويقول بتكفير مرتكب الكبيرة، إضافة إلى إنكارهم بعض السمعيات، وقد تفرعت الخوارج إلى فرق وأقسام كثيرة. ينظر فيهم: مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧، والتنبيه والرد ٤٧، والفرق بين الفرق٧٨، والملل والنحل ١١٤، وينظر في إنكارهم الحوض: الفرق بين الفرق ٣١٤.

(٤) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمير العراق أبو حفص ، ولي لمعاوية سنة ٥٥هـ وليزيد من بعده، وكان قبيح السريرة، أبغضه المسلمون لما فعل بالحسين بن علي -رضي الله عنهما- ما فعل. قُتل عبيد الله بن زياد سنة ٦٧هـ. قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب. ينظر: تاريخ الطبري٥/ ٢٩٥، و السير ٣/ ٥٤٥، وتاريخ الإسلام، للذهبي ٣/ ٤٣، والشذرات ١/ ٧٤.

(٥) فتح الباري ١١/ ٤٦٧ بتصرف.

" فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر "[١].

وكما اتجهت جهود العلماء إلى الرد على المبتدعة الذين أنكروا الحوض والكوثر، فقد اعتنى العلماء أيضاً بالنقد لمن يفسر الكوثر الوارد في السورة تفسيراً بدعياً، لا يتفق مع عقل ولا نقل.

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- في جواب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- الذي طلب منه إبداء الرأي حول رسالة بعنوان : " تأملات وكشوف حديثة في القرآن الكريم " : قرأت الرسالة فوجدتها كما يلي : ... ثم قال: رابعاً: جعل النهر المفهوم من كلمة الكوثر فكرة واحدة، ومحوراً يدور حوله جمل السورة وكلماتها، فالصلاة كنهر يغتسل فيه الإنسان، فيطهر من ذنوبه ويسبقها وضوء وهو من النهر، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا من الطهارة التي تكون بالنهر.

والنهر في النحر هو دم الأضحية إذا نحرت فسال دمها، كالنهر، وجرى متدفقاً في الجسم، فأشبه النهر العادي في صفات الثقل والتغذية والتطهير، ويتجلّى هذا في تجميعه لسموم الجسم، ثم طرحها في الكليتين للتخلص منها عن طريق الجهاز البولي، وهناك طهارة أخرى، وهي تزكيتها النفس من الشح بدفع ثمن الأضحية. وأما نهر الزمان فيتجلى في استمرار الذكرى

---

(١) من شرح الطحاوية، لابن أبي العز ص٢٨٢. وينظر: البداية والنهاية ١٩/ ٤٢٣ -النهاية في الفتن والملاحم-.

العاطرة للنبي ﷺ على مر الزمان، وفي بتر ذكرى خصومه ومبغضيه مدى الدهر. ثم قال الشيخ -رحمه الله- : إن القرآن نزل بلغة العرب، وله مقاصد سامية وأهداف عالية، فيجب أن يفسر باللغة التي بها نزل، وأن يراعى في تفسيره مقاصده وأهدافه.

وما كتبه مؤلف الرسالة لا يتفق مع لغة العرب وأساليبها، ولا يمت إلى مقاصد القرآن وأسس التشريع بصلة، بل هو تحريف للكلام عن مواضعه، وإلحاد في آيات الله، اتباعاً للهوى والظنون الكاذبة، فليكف عن التأليف، وليتعلم اللغة العربية، وأصول الإسلام أولاً، حتى إذا بلغ أشده في العلم، أخذ في تمرين نفسه على التأليف (١).

٣- التأليف في الكوثـــر .

ومن ضمن وسائل العلماء في العناية بالكوثر التأليف في تفسيره، وجمع أحاديثه، وبحث معانيه (٢).

---

(١) مجموع بحوث وتقارير الشيخ عبد الرزاق عفيفي، جمع أحد طلاب الدراسات العليا بكلية أصول الدين، ص٢١٣-٢١٤.

(٢) ومن هؤلاء العلماء: بقي بن مخلد، له: ما رُوي في الحوض والكوثر.طبع في جزء واحد بتحقيق د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي بمكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ط١، ١٤١٣هـ، وعليه ذيل لخلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بتحقيق المحقق نفسه، والجهة الطابعة وتاريخها.ومنهم:إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن رضوان برهان الدين المري.له تفسير الكوثر.ينظر:طبقات المفسرين، للأدنروي٣٤٦.ومنهم: عمر بن خضر شمس الدين الأصبهاني.له عقد الجوهر في الكلام على سورة الكوثر. ينظر: هدية العارفين ١/ ٤٢٤. ومنهم:مصطفى بن كمال الدين البكري. له الفيض الكوثر في دعاء سورة الكوثر. ينظر: هدية العارفين ١/ ٦٨٦.ومنهم: ابن البنا. له تفسير الكوثر. ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٧٠٧.ومنهم عمر بن نجيم المصري. له عقد الجواهر في الكلام على سورة الكوثر. كشف الظنون ٢/ ١١٥١، وغيرها. ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٥٧٠ و١/ ٤٥١ .

المبحث الثالث: الراجح في تفسير الكوثر في الآية .

نقل المفسرون في الكوثر الوارد في السورة أقوالاً تزيد على العشرة[١]، وأوصلها بعضهم إلى خمسة عشر قولاً [٢]، وبعضهم إلى ستة عشر قولاً [٣].

وفيما يلي بيان هذه الأقوال :

القول الأول: أنه اسم نهر في الجنة، أعطاه الله تعالى نبيه محمداً ﷺ .

واستدل أصحاب هذا القول بالأحاديث النبوية التي جاءت في تقرير ذلك، ومنها :

١- حديث أنس ﷺ في الصحيح قال ﷺ : ((**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا الذي أعطاك ربك بنهر حفتاه قباب الدر المجوّف، قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر..**)) [٤].

٢- حديث أنس قال: لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: ((**أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت:ما هذا يا جبريل؟ قال:هذا الكوثر**))[٥].

---

(١) كما قرر ذلك ابن حجر في الفتح ٨/ ٧٣٢.

(٢) وهو الرازي. ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤ .

(٣) وهو القرطبي. ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٠.

(٤) صحيح البخاري ٦٥٨١.

(٥) صحيح البخاري ٤٩٦٤ .

وبلفظ: ((**دخلت الجنة حين عُرج بي، فأُعطيت الكوثر، فإذا هو نهر في الجنة**)) [١].

٣- حديث أنس قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسماً، قالوا له: لم ضحكت ؟ فقال: ((**إنه أنزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم: إنا أعطيناك الكوثر، حتى ختمها، قال: هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب..**)) [٢].

٤- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : ((**دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذخر، قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله**)) [٣].

٥- عن أنس أن النبي ﷺ سُئل عن الكوثر، فقال: ((**نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر،قال عمر:يا رسول الله إنها لناعمة! قال:آكلها أنعم منها يا عمر**))[٤].

---

(١) بهذا اللفظ عند الطبري في تفسيره عن أنس ٢٤/ ٦٨٧ .

(٢) بهذا اللفظ عند الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٠٢ بإسناد صحيح على شرط مسلم، وهو في مسلم رقم ٤٠٠ و٢٣٠٤ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠٣ بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢١ بإسناد صحيح، والنسائي في الكبرى ١١٧٠٣، والبغوي في تفسيره ٤/ ٥٣٣. ولفظ أحمد: أكلتها أنعم منها. والجُزُر: جمع جزور، وهي الإبل. وناعمة: سمان مترفة.

٦- حديث عن أنس، ولفظه : قالوا: وما الكوثر يا رسول الله ؟ قال: ((نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب)) (١).

٧- حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب، فلم يجده، فسأل امرأته عنه، فقالت : خرج.. أَوَلا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه ما أكل منه، ثم قالت: هنيئاً لك يا رسول الله، أخبرني أبو عمارة أنك أُعطيت نهراً في الجنة يُدعى الكوثر. فقال: **((أجل وعرضه -يعني أرضه- ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ))** (٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣ رقم ٢٨٨٢ ص١٣٦ بإسناد فيه حماد بن يحيى المختار، قال الذهبي: لا يُعرف. الميزان ١/ ٥٩٩ رقم ٢٢٧٠، والمغني في الضعفاء لـه ١/ ١٩٠ رقم ١٧٢٧، ولسان الميزان، لابن حجر ٢/ ٣٥٣-٣٥٤ رقم ١٤٢٩. وفيه عطية العوفي ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وأبو زرعة. ينظر:الجرح والتعديل٦رقم ٢١٢٥، تهذيب الكمال، للمزي ١٤٨/٢٠، والميزان ٣ رقم ٥٦٦٧. قال الهيثمي عن الحديث: فيه حماد بن يحيى بن المختار، وهو مجهول، وعطية ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٠ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦٨٩-٦٩٠، وذكره السيوطي في تفسيره ١٥/ ٧٠١، وعزاه للطبري وابن مردويه. والإسناد فيه حرام بن عثمان. قال مالك ويحيى: ليس بثقة، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال ابن معين والشافعي: الرواية عن حرام حرام. ينظر: الميزان ١/ ٤٦٨ رقم ١٧٦٦. وقال في المغني: متروك مبتدع ١/ ١٥٢ رقم ١٣٤٢، واللسان ٢/ ١٨٢ رقم ٨٢٥. قال ابن كثير: حرام بن عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا . التفسير ١٤/ ٤٨١.

٨- حديث ابن عمرو -رضي الله عنهما- أن رجلاً سأل النبي ﷺ ما الكوثر ؟ فقال : ((**نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله، عرضه ما بين أيلة وعدن، ثم ذكر بعض صفته..**)) [١].

٩- حديث خولة بنت قيس، وفيه قوله ﷺ : ((**يا خولة، إن الله أعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة، وما خلقٌ أحب إلي ممن يرده من قومك**)) [٢].

وهذا القول هو قول جماعة من الصحابة والتابعين[٣] ، وهو -كما قال الرازي[٤]- : المشهور والمستفيض عند السلف والخلف [٥].

وفيما يلي ما ورد من أقوال بعض الصحابة والتابعين في تقرير ذلك :

١- أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت -حينما سُئلت عن قوله تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ : هو نهر أُعطيه نبيكم...[٦] وعنها

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ١/ ٧٦ رقم ٩٥، وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه في تفسيره ١٥/ ٧٠١-٧٠٢، وإسناده فيه الوليد بن الوليد العنسي، قال ابن حبان: يروي العجائب.. لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي. المجروحين ٣/ ٨١. وقال الدارقطني وغيره: متروك. الميزان ٤/ ٣٥٠ رقم ٩٤١٧، والمغني ٢/ ٧٢٦ رقم ٦٨٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٣١ رقم ٥٨٨. قال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٠: رواه كله الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.

(٣) ينظر:تفسير ابن عطية١٥/ ٥٨٣، تفسير الثعالبي ٤/ ٤٤٥، ونحوه في تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١.

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري، الشيخ العلامة، أبو عبد الله فخر الدين الرازي الشافعي الأشعري، ولد سنة ٥٤٣هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٦٠٠، وطبقات السبكي ٥/ ٣٥، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٨، والشذرات ٥/ ٢١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٥٨-٥٥٩.

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤.

(٦) صحيح البخاري ٤٩٦٥.

بلفظ: الكوثر نهر في الجنة، عليه من الآنية عدد نجوم السماء[١]. وبلفظ : نهر في الجنة شاطئاه الدر المجوف [٢].

وبلفظ: الكوثر نهر في بطنان الجنة، وسط الجنة، فيه نهر شاطئاه در مجوف، فيه من الآنية لأهل الجنة مثل عدد نجوم السماء[٣].

٢- ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت،ماؤه أشد بياضاً من اللبن،وأحلى من العسل[٤].

٣- أنس بن مالك ﷺ، قال: الكوثر نهر في الجنة [٥].

٤- ابن عباس -رضي الله عنهما- قال جواباً لنافع بن الأزرق[٦] عن سؤاله عن قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ - : نهر في بطنان الجنة،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة١٣/ ١٤، و تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١، و الشريعة للاجري ١٠٩، والبعث والنشور، للبيهقي ١٣٦، والسنن الكبرى، للنسائي ١١٧٠٥ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١ .

(٣)مسندأحمد٦/ ٢٨١بإسناد صحيح ،والزهدلهناد١٣٩، و تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١ ، والسنن الكبرى للنسائي ١١٧٠٥، لهناد ، والذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر ص١٦٨ (٩٩). وبطنان: وسط الجنة كما فسرته أم المؤمنين كما في المسند وغيره.

(٤)الزهدلابن المبارك،٦١٤والزهد لهناد١٣١و تفسير الطبري ٢٤/ ٦٧٩، وصفة الجنة، لابن أبي الدنيا ٦٧ وينظر: تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٩، وعمدة القاري ٢٠/ ٣ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨، وصفة الجنة، للمقدسي ق٥٤، وحادي الأرواح ١٣٩، والبداية والنهاية ٢٠/ ٢٩٩، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني ٢/ ٢٠٤.

(٦) هو نافع بن الأزرق أبو راشد الحنفي، زعيم فرقة الأزارقة من الخوارج، المشهور بمسائله عن ابن عباس، وأخطأ الملطي فأسماه عبد الله بن الأزرق . قتل سنة ٦٥هـ في قتال بينه وبين جيش البصرة بقيادة مسلم بن عيسى، الذي أرسله عامل البصرة عبد الله بن الحارث من جهة عبدالله

حافتاه قباب الدر والياقوت.. ثم سأله عن معنى الأبتر، فأجابه ابن عباس، فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

وحبـــاه الإله بالكوثر الأكـ ـــبر فيه النعيم والخيرات[1]

وجاء عن ابن عباس قوله-عن الكوثر-:نهر أعطاه الله محمداً ﷺ في الجنة[2].

وبلفظ : الكوثر نهر في الجنة، حافتاه ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل [3].

وبلفظ : نهر في الجنة، عمقه سبعون ألف فرسخ... ولكنه لا يثبت[4].

ابن الزبير. ينظر:التنبيه والرد٥٤،وتاريخ الطبري٥/ ٦١٣، والملل والنحل١١٨ ، والكامل، لابن الأثير ٣/ ٣٤١، والبداية والنهاية ١١/ ٧١٦.

(١) مسائل نافع بن الأزرق ٢٧٠، تفسير السيوطي ١٥/ ٦٩٥-٦٩٦ .

(٢) تفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠ وعزاه لابن مردويه.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٧٩-٦٨٠، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠ . وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ١٤/ ٤٧٩ .

(٤) تفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠ وعزاه لابن مردويه. قال العلامة الألباني –بعد تصحيحه حديث: " أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري، لكنه على وجه الأرض، ولم يشق شقاً " - : وفيما تقدم دليل على بطلان ما أخرجه ابن مردويه في الدر المنثور عن ابن عباس، قال: نهر في الجنة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ. فهو عندي منكر لمخالفته حديث أنس السابق. السلسلة الصحيحة رقم ٢٥١٣ .

٥- حذيفة ، قال -في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾-: نهر في الجنة أجوف، فيه آنية من الذهب والفضة لا يعلمها إلا الله [١].

وجاء ذلك التقرير عن بعض التابعين، فمنهم مجاهد[٢]، وأبو العالية[٣]، والضحاك[٤].

القول الثاني: إن الكوثر هو الخير الكثير.

وهو المشهور عن ابن عباس. قال سعيد بن جبير[٥] عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قيل لسعيد: فإن

---

(١) معجم الطبراني الأوسط ١٩٧٤، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع ٧/ ١٤٣، والسيوطي في التفسير ١٥/ ٧٠١، والبدور السافرة ٢٢٣.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١، تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١.

(٣) هو رُفيع بن مهران، الإمام المفسر أبو العالية الرياحي البصري، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة الصديق، ودخل عليه. توفي سنة ٩٣ وقيل ٩٠هـ. ينظر: الحلية٢/ ٢١٧والسير ٤/ ٢٠٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، والشذرات ١/ ١٠٢. وقول أبي العالية في تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١.

(٤) هو الضحاك بن مزاحم أبو محمد، وقيل أبو القاسم الهلالي صاحب التفسير، أحد أوعية العلم، توفي سنة ١٠٢هـ وقيل غير ذلك. ينظر: السير ٤/ ٥٩٨، والعبر ١/ ١٢٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٣، والشذرات ١/ ١٢٤. وقول الضحاك في تفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٢.

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام، الإمام المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله أحد الأعلام، روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد، وخرج على الحجاج بن يوسف الثقفي مع كثير من الخلق لما ظهر من ظلم الحجاج وسفكه الدماء وإماتته الصلاة بتأخيرها عن وقتها، ثم قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥هـ عليه رحمة الله. ينظر:الحلية٤/ ٢٧٢ ووفيات الأعيان٢/ ٣٧١، والسير ٤/ ٣٢١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٧١، والشذرات ١/ ١٠٨.

ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة ! فقال سعيد: النهر الذي في الجنة هو من الخير الذي أعطاه الله إياه [١].

وهو قول سعيد بن جبير أيضاً، فقد سُئل عن الكوثر، فقال: هو الخير الكثير الذي آتاه الله. قيل له: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة، فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه [٢]. وقال: أكثر الله له من الخير، قيل له: نهر في الجنة؟ قال: نهر وغيره [٣].

ورُوي ذلك عن عكرمة ولفظه:هو النبوة والخير الذي أعطاه الله إياه[٤].

وبلفظ: الخير الكثير، والقرآن، والحكمة [٥]. وبلفظ: ما أُعطي النبي ﷺ من الخير، والنبوة، والقرآن[٦].

وبلفظ: الخير الذي أعطاه الله : النبوة والإسلام [٧].

ورُوي عن مجاهد [٨]. وعنه بلفظ: خير الدنيا والآخرة [٩].

---

(١) صحيح البخاري ٤٩٦٦ ، ٦٥٧٨ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٢ ، والبعث والنشور ١٣٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٥٧، والسنن الكبرى، للنسائي ١١٧٠٤، ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٣٧ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة١١/ ٤٧٩ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٣.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٣.

(٦)الزهد لهناد١٤٢، و تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٤، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٣.

(٧)الزهدلابن المبارك١٦١٥، ومصنف ابن أبي شيبة٣٣٩٤ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٤.

(٨)تفسير مجاهد٧٥٧ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٤.

(٩) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٤، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٢.

وبعض المفسرين يفرد النبوة بقول[١].

وبعضهم يفرد القرآن بقول مستقل، وهو الحسن البصري[٢]. وبعضهم بلفظ: العلم والقرآن [٣]. وبلفظ: القرآن والنبوة [٤].

وبعضهم يقول: تفسير القرآن [٥]، وبعضهم يخصص سورة الكوثر بذلك [٦].

القول الثالث: إنه حوض في الجنة أُعطيه رسول الله ﷺ، وهو قول عطاء[٧].

وهذه الأقوال الثلاثة هي الأقوال المشهورة في تفسير الكوثر.

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي٤/ ٥٣١، وتفسيرابن الجوزي٩/ ٢٤٩، و تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤-١٢٥، وفتح الباري ٨/ ٧٣٢.

(٢) ينظر:تفسير الماوردي٤/ ٥٣١، وتفسير البغوي٨/ ٥٥٨، وتفسير الرازي٣٢/ ١٢٧، و تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١، وفتح الباري٨/ ٧٣٢ ، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٣.

(٣) ينظر: تفسير ابن الجوزي ٩/ ٢٤٩.

(٤) ينظر: عمدة الألفاظ، لابن السمين ٣/ ٢٢٣٦.

(٥) ينظر: فتح الباري ٨/ ٧٣٢.

(٦) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٧-١٢٨.

(٧) هو عطاء بن أبي رباح، الإمام مفتي الحرم أبو محمد، يحدث عن عائشة وابن عباس وغيرهما، وأخذ عنه مجاهد وقتادة وخلق كثير، توفي سنة ١١٥هـ. ينظر:وفيات الأعيان٣/ ٢٦١، و السير ٥/ ٧٨ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٩٩، والشذرات ١/ ١٤٧، وقول عطاء في الزهد لابن المبارك١٦١١ ، ومصنف ابن أبي شيبة١١/ ٥٠٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٥ .

وقد ذكر بعض العلماء والمفسرين تفسيرات أخرى – وكلها داخلة[١] – كما سيأتي – في معنى القول الثاني، وهو الخير الكثير – وهذه الأقوال كالتالي:

القول الرابع: كثرة الأصحاب والأمة والأشياع[٢].

القول الخامس: الإسلام[٣].

القول السادس: تيسير الإسلام، وتخفيف الشرائع[٤].

القول السابع: الإيثار[٥].

---

(١) ولهذا نلحظ أن بعض العلماء يقتصرون في تفسير الكوثر على النهر والخير والحوض. ينظر: تفسير أبي السعود ٥/ ٥٨١، وتفسير الجلالين ٨٢٤. وبعضهم يقتصر على الخير الكثير والنهر. ينظر:الوجيزللواحدي٢/ ١٢٣٦، وتفسير النسفي ٤/ ٣٦٠، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم ٤٧٩، ومفردات القرآن، للراغب، ٤٣٩، وإكمال المعلم ٢/ ٢٩٠، والمفهم ٢/ ٣٣، وحاشية ابن قاسم على الدرة المضية، للسفاريني ٩١. وبعضهم يقتصر على النهر والحوض، ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١ وقال: قاله أبو بكر بن عياش، ويمان بن رئاب، وينظر: شرح آيات الوصية، لأبي القاسم السهيلي ١٤١،وتفسيرالماوردي ٤/ ٥٣١وتفسير ابن الجوزي٩/ ٢٤٩، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٢٦، وتفسيرابن عطية١٥/ ٥٨٤، وتفسير الغرناطي ٤/ ٤٣٦، وفتح الباري ٨/ ٧٣٢، والنشر الطيب ٢/ ٣٩١.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١ ، وقال: حكاه المغيرة، وينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٦، وفتح الباري ٨/ ٧٣٢ .

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١ وقال: قاله الحسن بن الفضل.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١ وقال: قاله ابن كيسان. وينظر: الفتح ٨/ ٧٣٢.

القول الثامن: الخُلُق الحسن [١].

القول التاسع: رفعة الذكر [٢].

القول العاشر: نور في القلب [٣].

القول الحادي عشر: الشفاعة[٤].

القول الثاني عشر: معجزات الرب[٥].

القول الثالث عشر: جميع نعم الله على محمد ﷺ [٦].

القول الرابع عشر: قول لا إله إلا الله [٧]. وبلفظ: التوحيد [٨].

القول الخامس عشر: الفقه في الدين [٩].

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي ٤/ ٥٣١، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٢٧.

(٢) ينظر:تفسير الماوردي٤/ ٥٣١، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٢٧، و تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢١، والفتح ٨/ ٧٣٢ .

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢ وقال: قاله جعفر الصادق، وينظر:تفسير ابن عطية١٥/ ٥٨٤،وتفسير الغرناطي٤/ ٤٣٦، والفتح ٨/ ٧٣٢، والنشر الطيب ٢/ ٣٩١

(٤) ينظر: تفسير ابن عطية٥/ ٥٨٤، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٢٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢، وتفسيرالغرناطي٤/ ٤٣٦، وفتح الباري ٨/ ٧٣٢، والنشر الطيب ٢/ ٣٩١.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢، والفتح ٨/ ٧٣٣ .

(٦) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٨.

(٧) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢، ونسبه إلى هلال بن يساف.

(٨) ينظر: تفسير ابن عطية ١٥/ ٥٨٤، والفتح ٨/ ٧٣٢، وتفسير الغرناطي ٤/ ٤٣٦، وعمدة القاري ٢٠/ ٣، والنشر الطيب ٢/ ٣٩١.

(٩) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢ ، والفتح ٨/ ٧٣٣ ، وعمدة القاري ٢٢/ ٣.

القول السادس عشر: العلم [١].

القول السابع عشر: الصلوات الخمس [٢].

القول الثامن عشر: إجابة الدعاء [٣].

القول التاسع عشر: العظيم من الأمر [٤].

القول العشرون: أولاده ﷺ [٥].

القول الواحد والعشرون: علماء أمته [٦].

وقد بين العلماء أن هذه التفسيرات للكوثر راجعة إلى الخير الكثير المفرط من العلم والعمل وشرف الدارين [٧].

قال العلامة القرطبي[٨] – بعد حكاية الأقوال في تفسير الكوثر – : وجميع ما قيل في تفسيره قد أُعطيه رسول الله ﷺ [٩].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٧.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢ ، والفتح ٨/ ٧٣٣ ، وعمدة القاري ٢٢/ ٣.

(٣) ينظر: الفتح ٨/ ٧٣٣.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢.

(٥) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٨.

(٦) ينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٨.

(٧) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي ١/ ٣٢٢.

(٨) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الشيخ العلامة أبو عبد الله القرطبي المالكي، توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر: نفح الطيب ٧/ ٢٢١، والشذرات ٥/ ٣٣٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٢.

(٩) تفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٢.

وقال العلامة العيني[1] – بعد حكايته الأقوال في تفسير الكوثر – : والحاصل أن قول ابن عباس يشمل جميع الأقوال التي ذكروها في الكوثر؛ لأن جميع ذلك من الخير الذي أعطاه الله تعالى إياه[2].

ولكن تحجر البعض في حصر الخير الكثير في بعض الأقوال الخاصة، لا يستقيم، " فكلام النبي ﷺ في حديث أنس : " عليه خير كثير " لا يقتضي حصر معاني اللفظ فيما ذكروه "[3].

ولنعد الآن إلى الأقوال الثلاثة الأولى، وهي الشهيرة عند السلف، وهي أنه نهر، وأنه الخير الكثير، وأنه الحوض.

أما القول الأول، وهو أنه نهر، فقد تقدم ذكر الأدلة عليه من الأحاديث النبوية، ومن كلام الصحابة –رضوان الله عليهم–، وهو القول الراجح ، لما سيأتي .

وأما تفسير الكوثر بالخير الكثير، فهو قول ابن عباس فيما اشتهر عنه، وقد صح عنه أيضاً –كما تقدم– أنه فسره بالنهر.

---

(١) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود، الشيخ العلامة بدر الدين أبو الثناء وأبو محمد العيني الحنفي القاهري، ولد سنة ٧٦٢هـ. وتوفي سنة ٨٥٥هـ. ينظر: الضوء اللامع ١٠/ ١٣١،والشذرات٧/ ٢٨٧، والبدر الطالع ٢/ ٢٩٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٧٩٧-٧٩٨.

(٢)عمدة القاري ٢٠/ ٤، ونحوه في تفسير العز بن عبد السلام ٣/ ٤٩٦،والنشر الطيب٢/ ٣٩١، وتفسير القاسمي ١٧/ ٦٢٧٧.

(٣) من تفسير ابن عاشور ٣٠/ ٥٧٣.

وقد كان سعيد بن جبير يرى أن النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه [١].

قال ابن كثير – بعد حكايته قول ابن عباس: إنه الخير الكثير – : وهذا التفسير يعمّ النهر وغيره، لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك : النهر [٢].

فبعض العلماء يرون أن النهر والحوض كليهما يدخلان في الخير الكثير؛ لأنهما خير لهذه الأمة [٣].

ولكن الأولى أن يفسَّر الكوثر الوارد في الآية بما فسره به النبي ﷺ، وهو النهر الذي في الجنة، قال الحافظ ابن حجر – بعد ذكره قول سعيد بن جبير – هذا تأويل من سعيد بن جبير، جمع به بين حديثي عائشة وابن عباس، ثم ذكر بعض الأحاديث في الكوثر، ثم قال: وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس: إنه الخير الكثير، لا يخالف قول غيره : إن المراد به نهر في الجنة، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعلّ سعيداً أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ، فلا معدل عنه [٤].

---

(١) تقدم ذلك، وينظر: صحيح البخاري ٤٩٦٦ و٦٥٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٩.

(٣) ينظر: تعليقات الشيخ صالح الفوزان على متن العقيدة الطحاوية ص٩٣.

(٤) فتح الباري ٨/ ٧٣٢. وينظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٩/ ٢٠٦.

وقال العلامة الشوكاني[١] - بعد ذكره الأحاديث الصريحة في أن الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله نبيه ﷺ - : فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة، فيتعيَّن المصير إليها، وعدم التعويل على غيرها، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب، فمن فسَّره بما هو أعم مما ثبت عن النبي ﷺ ؛ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي، كما جاء أن محارب ابن دثار[٢] قال: قال سعيد بن جبير في الكوثر: قلت: ثنا ابن عباس قال: هو الخير الكثير، فقال محارب: صدق إنه لخير كثير، ولكن ثنا ابن عمر قال: نزلت ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ فقال رسول الله ﷺ : " الكوثر نهر في الجنة "[٣]... ثم قال الشوكاني: وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس ﷺ ناظر إلى المعنى اللغوي كما عرّفناك، ولكن رسول الله ﷺ قد فسره فيما صح عنه أنه النهر الذي في الجنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[٤].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد، الشيخ أبو عبد الله الصنعاني الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع ٢/ ٢١٤، وهدية العارفين ٢/ ٣٦٥، والمجددون في الإسلام، للصعيدي ٤٧٢، ومعجم المؤلفين ٣/ ٥٤١.

(٢) هو محارب بن دثار بن كردوس بن قرواش السدوسي الكوفي القاضي، والي الكوفة لخالد القسري، وثقه أحمد وابن معين. توفي سنة ١١٦هـ. ينظر:الجرح والتعديل٨/ ٤١٦و السير ٥/ ٢١٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٩، والشذرات ١/ ١٥٢.

(٣) قول محارب وابن عمر، والحديث في المسند لأحمد ٢/ ١١٢ بإسناد صحيح، وينظر:مسندأبي داود الطيالسي١٩٣٣و البعث، للبيهقي ١٢٨، ومستدرك الحاكم ٣/ ٥٤٣.

(٤) تفسير الشوكاني ٥/ ٧١٦.

والقول بأن الكوثر هو نهر في الجنة أعطاه اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ، هو القول الراجح الذي نصره كبار الأئمة؛ لأن النصوص عن النبي ﷺ صريحة في ذلك. وفيما يلي بعض أقوالهم:

١- قال شيخ المفسرين الطبري[١] -بعد عرضه الأقوال-: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلك، ثم ساق جملة من الأحاديث المصرحة بذلك[٢].

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والكوثر المعروف إنما هو نهر بالجنة، كما وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة[٣]، وقال: والمقصود أن الكوثر نهر في الجنة، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله في الدنيا والآخرة، وهذا غير ما يعطيه الله من الأجر الذي هو مثل أجور أمته إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم، أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد٢/ ١٦٢ ووفيات الأعيان٤/ ١٩١ و السير ١٤/ ٢٦٧، وطبقات السبكي ٣/ ١٢٠، والشذرات ٢/ ٢٦٠.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٢٩.

(٤) المصدر السابق ١٦/ ٥٣١.

٣- وقال ابن كثير : تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وروي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة [١].

٤- وقال ابن عطية [٢]: وأمر النهر ثابت في الآثار في حديث الإسراء وغيره [٣].

٥- وقال البغوي [٤]: والمعروف أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسوله، كما جاء في الحديث [٥].

٦- وقال السيوطي: والكوثر نهر في الجنة، كما في الأحاديث المتواترة [٦].

.[٦]

وعلى هذا القول كثير من العلماء [١].

(١) تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١. وينظر: النهاية في الفتن والملاحم -ضمن البداية والنهاية- ١٩/ ٤٤٥ و٤٤٦ و٤٦٦ .

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام، الشيخ العلامة أبو محمد الغرناطي المالكي، ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤١هـ. ينظر: نفح الطيب ٩/ ٣٠٧، والديباج، لابن فرحون ١٧٤، ومعجم المؤلفين ٢/ ٥٩.

(٣) تفسير ابن عطية ١٥/ ٥٨٤.

(٤) هو الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، الإمام محيي السنة، أبو محمد البغوي الشافعي، ولد سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، وتوفي سنة ٥١٦هـ. ينظر:وفيات الأعيان٢/ ١٣٦و السير ١٩/ ٤٣٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧، وطبقات السبكي ٧/ ٧٥، والشذرات ٤/ ٤٨.

(٥) تفسير البغوي ٨/ ٥٥٨.

(٦) الإتقان ٢/ ٣٧٨.

وأما تفسير الكوثر بالحوض، فهو قول بعض العلماء، ومنهم المفسر الغرناطي [٢]، قال: ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض، لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((**أتدرون ما الكوثر ؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء**)) [٣]. ومنهم العيني، قال: والإيمان بالحوض واجب، وهو الكوثر على باب الجنة [٤]. وقال: والجمهور على أن الكوثر الحوض [٥]، وغيرهما من العلماء [٦]. ومنهم من يستدل على الحوض بآية الكوثر [٧].

---

(١) ينظر: فتاوى النووي ١٤٤، وشرح صحيح مسلم له ٣/ ١١٨، وفتح الباري ١١/ ٤٧٤، وهدي الساري ١٧٨، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٠٥، وبحر الكلام، للنسفي ٢٣٩، والنهاية، لابن الأثير ٤/ ٢٠٨، والغنية، للجيلاني ١/ ٣٢٩، والإشارات الإلهية، للطوفي ٣/ ٤٢٣، وتفسير الثعالبي ٤/ ٤٤٥، وحادي الأرواح ١٢٤ و١٢٥ و١٢٩، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى٢/ ٥٢٦، وشرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين٨١.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي، الشيخ العلامة أبو القاسم الكلبي، ولد سنة ٦٩٣هـ وتوفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٣/ ٣٥٦، ونفح الطيب ٣/ ٢٧٠، والديباج ٢٩٥، ومعجم المؤلفين ٣/ ١٠٣-١٠٤.

(٣) تفسير الغرناطي ٤/ ٤٣٦. والحديث سيأتي تخريجه.

(٤) عمدة القاري ٢٣/ ١٣٥.

(٥) عمدة القاري ٢٠/ ٣، وينظر: ٧/ ٢٦٣ و١٠/ ٢٤٩ و١٦/ ٢٦١.

(٦) ينظر: النشر الطيب ٢/ ٣٩١، عقيدة المسلمين، للبليهي ٢/ ١٧٥.

(٧) ينظر: الاعتقاد، للبيهقي ٢٠٦، والغنية في أصول الدين، لأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد ١٦٦، والبدور السافرة ٢١٥، واللوامع ٢/ ١٩٤.

والأظهر أن الحوض غير الكوثر، فالكوثر نهر في الجنة، كما جاء مصرحاً به في الأحاديث السابقة، والحوض في الموقف قبل الجنة، وفيه يمنع أقوام من الشرب منه، كما جاء في الصحيح: ((**ليردن علي ناس من أصيحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني..**))[١]. وقال : ((**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني..**))[٢].

بينما نجد القرطبي استشعر هذا الإشكال، فقال: إن للنبي ﷺ حوضين؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً[٣].

قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر، لكونه يمد منه. فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط؛ فإن الناس يردون الموقف عطاشًا، فيرد المؤمنون الحوض، ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا تردون ؟ فيظنونها ماءً ، فيتساقطون فيها .

---

(١) صحيح البخاري ٦٥٨٢ عن أنس، وصحيح مسلم ٢٣٠٤.
(٢) صحيح البخاري ٦٥٧٦ عن ابن مسعود، والفرط: السابق. ينظر:النهاية لابن الأثير٣/ ٤٣٤، والفتح ١١/ ٤٧٥.
(٣) التذكرة ص٢٦٣.

وفي الصحيح من حديث أبي ذر أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة، وله شاهد من حديث ثوبان، وهو حجة على القرطبي لا له ، لأنه قد تقدم أن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة ، وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض. وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة، لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها، وفي حديث ابن مسعود : " ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض "[١].

وقال أيضاً – عند شرحه حديث : " **بينما أنا أسير في الجنة...**" – : وظن الداوودي[٢] أن المراد أن ذلك يكون يوم القيامة، فقال: إن كان هذا محفوظاً، دل على أن الحوض الذي يدفع عنه أقوام، غير النهر الذي في الجنة، أو يكون يراهم، وهو داخل الجنة، وهم من خارجها، فيناديهم فيصرفون

---

(١) فتح الباري ١١/ ٤٦٦ . وحديث ابن مسعود عند أحمد في المسند ١/ ٣٩٨، والبزار ٣٤٧٨، والطبراني في الكبير ١٠٠١٧، والحاكم ٢/ ٣٦٤، وصححه، وفي الإسناد عثمان بن عمير أبو اليقظان ضعفه أحمد، وأبو حاتم، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. ينظر:الجرح والتعديل ٦رقم٨٨٤، و تهذيب الكمال ١٩/ ٤٧١، وميزان الاعتدال ٣ رقم ٥٥٥٠.

(٢) هو أحمد بن نصر، ويقال سعيد الداودي، العلامة أبو جعفر الأسدي المالكي، توفي سنة ٤٠٢هـ . ينظر: الديباج ٣٥، ومعجم المؤلفين ١/ ٣١٩.

عنه[١]، وهو تكلف عجيب يغني عنه أن الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة، فلا إشكال أصلاً[٢].

وما احتج به الكلبي وغيره من أن الكوثر هو الحوض، هو أحد ألفاظ الصحيح، قال ﷺ عن الكوثر : ((**نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**))[٣]. وهذا ليس فيه أن الكوثر هو الحوض، فغاية ما فيه أن المصطفى ﷺ وصف الكوثر بأنه حوض؛ لأن الكوثر أصل الحوض –كما سيأتي–، وماء الكوثر يستقر في الحوض، وجاء في الصحيح أيضاً قوله ﷺ –عن الكوثر– : ((**نهر وعدنيه ربي ﷻ في الجنة عليه حوض**))[٤]، وهذا اللفظ أدق في التوصيف، فتأمل قوله ﷺ عن الكوثر: عليه حوض، وهذا يفيد أن الكوثر ليس هو الحوض .

وقد وصف العلماء والأئمة العلاقة بين الحوض والكوثر بما يوضح المراد، قال العلامة ابن كثير: ولفظ مسلم[٥]: ((**فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ عليه خير كثير، هو حوض، ترد عليه أمتي يوم القيامة**)).

---

(١) نقله العيني في عمدة القاري ٢٣/ ١٤٠.
(٢) فتح الباري ١١/ ٤٧٣.
(٣) صحيح مسلم ٤٠٠.
(٤) صحيح مسلم ٤٠٠.
(٥) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، الإمام الكبير أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح. ولد سنة ٢٠٤هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. ينظر: تاريخ بغداد١٣/ ١٠٠، ووفيات الأعيان٥/ ١٩٤، والسير ١٢/ ٥٥٧، ١٣/ ١٠٠، والشذرات ٢/ ١٤٤.

ومعنى ذلك: أنه يشخب من الكوثر، وهو في الجنة ميزابان إلى الحوض، والحوض في موقف القيامة قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط...، وأما الكوثر فإنه نهر في الجنة [١].

وقال الجيلاني[٢] -عن الحوض- : فيه ميزابان من الجنة؛ أحدهما من ورق، والآخر من ذهب [٣].

وقال الغزالي: وأن نؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ... فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر[٤].

وقال الرازي - بعد ذكره القول الأول أنه نهر في الجنة، ووصفه هذا القول بالمشهور والمستفيض بين السلف والخلف - : القول الثاني: إنه حوض، والأخبار فيه مشهورة. ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض، فيكون ذلك الحوض كالمنبع [٥].

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم -ضمن البداية والنهاية- ١٩/ ٤٢٦ . وينظر: تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٥.

(٢) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي-رضي الله عنهما-، العلامة محيي الدين أبو محمد الجيلاني، ولد سنة ٤٧٠هـ وقيل ٤٧١، وتوفي سنة ٥٦١هـ. ينظر:المنتظم١٠/ ٢١٩، والسير ٢٠/ ٤٣٩، وفوات الوفيات ٢/ ٣٧٣، والشذرات ٤/ ١٩٨.

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق ١/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٤) قواعد العقائد ص٣٤-٣٥. ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ٣٠٥-٣٠٦.

(٥) تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤.

وهذا التفريق بين الكوثر والحوض يؤيده الأحاديث النبويـة، ففـي الصحيح عن أبي ذر –في وصف النبي ﷺ للحوض-: ((**يشخب فيه ميزابان من الجنة**)) [١]. وبلفظ: ((**يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنـة**)) [٢]. وبلفـظ: ((**يصبُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة**)) [٣]. وبلفظ: ((**ينبعث فيه ميزابـان، مدادهما الجنة**)) [٤].

ومن النصوص التي تبين الفرق بين الحوض والكوثر قوله ﷺ في حـديث حذيفة:"..وأعطاني الكوثر، فهو نهر في الجنة يسيل في حوضي"[٥].

ومما يؤكد التفريق بين الحوض والكوثر: أن الحـوض لـيس مـن خصـائص النبي محمد ﷺ، بل هناك حوض لكل نبي، قال ﷺ:"**إن لكل نبـي حوضـاً**"[٦]. قال الحافظ ابن حجر: وإن ثبت، فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الـذي يصـب مـن

---

(١) صحيح مسلم ٢٣٠٠.

(٢) صحيح مسلم ٢٣٠١ عن ثوبان. ومعنـى: يشـخب: السـيلان بصـوت، ومعنـى يغُـتُّ: اتبـاع الصب، وأصله: اتباع الشرب الشرب. غريب الحديث للخطابي ١/ ٩١، وإكمال المعلم، لعيـاض ٧/ ٢٦٥ و٢٦٦.

(٣) مسند أحمد عن ثوبان ٥/ ٢٨٣ بإسناد صحيح . وينظـر:الزهـد لهنـاد١٣٧، و البعـث والنشـور ١٣١.

(٤) صحيح ابن حبان ٦٤٥٥ بإسناد صحيح على شرط مسلم، وعنوان الباب فيه: ذكـر البيـان بـأن الكُراع الذي تقدم ذكرنا له، حيث ينصب إلى الحوض، يمد ماؤه مـن الجنـة. الإحسـان بتقريـب صحيح ابن حبان، لابن بلبان ١٤/ ٣٦٧.

(٥) مسند أحمد ٥/ ٣٩٣، وإسناده حسنه الهيثمي في المجمع ١٠/ ٦٨-٦٩، وابن كثـير في النهايـة في الفتن والملاحم ١٩/ ٤٣٨ ، قال: هذا حديث حسن الإسناد والمتن.

(٦) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١/ ٤٤، والترمذي ٢٤٤٣، والطـبراني في الكبـير ٦٨٨١ عن سمرة. والحـديث صـححه الألبـاني في صـحيح الجـامع ٢١٥٦، وفي السلسـلة الصـحيحة ١٥٨٩.

مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه بـه في السـورة المذكورة [١].

فهذا يفيد أن الحوض ليس خاصاً بالنبي ﷺ ، أمَّا الكوثر فهو مما اختص الله به نبينا محمداً ﷺ ، وظاهر ألفاظ الصحيح تفيد الاختصاص، نحو قول جبريل : ((**هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك**)) [٢] ، وقوله:((**أعطاك ربك**))[٣]، ولفظ : ((**وعدنيه ربي**)) [٤].

ولفظ الإعطاء في الآية يدل على الاختصاص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وخصّ نبيه بضد ذلك، وهو أنه أعطاه الكوثر.. وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود، وجعله أول من يُفتح له ولأمته باب الجنة [٥].

وقد جاءت بعض الأحاديث -إضافة لما سبق- مُصرحة بأن الكوثر من ضمن خصائص المصطفى ﷺ، ومنها حديث حذيفة المتقدم: ((**وأعطاني الكوثر، فهو نهر في الجنة يسيل في حوضي**)) [٦]، وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة : ((**فضلت على الأنبياء بستّ، وعدَّ منها : وأُعطيت الكوثر**)) [٧].

---

(١) فتح الباري ١١/ ٤٦٧. وينظر روح المعاني ٣٠/ ٢٤٥.
(٢) صحيح البخاري ٧٥١٧ عن أنس.
(٣) صحيح البخاري ٦٥٨١ عن أنس.
(٤) مسند أحمد ٣/ ١٠٢ بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس.
(٥) التفسير الكبير ٧/ ٤٧.
(٦) تقدم تخريجه ينظر: الصفحة السابقة.
(٧) أخرجه البزار (كشف) ٣/ ١٤٧ (٢٤٤٢). قال الهيثمي: وإسناده جيد. المجمع ٨/ ٦٩، وينظر: شرح أصول الاعتقاد ١٤٤٣ (٤/ ٧٨٣)، والفتح ١/ ٤٣٩، ونيل الأوطار ١/ ٣٣٠.

قال ابن عباس: خص الله نبيه محمداً بالكوثر دون الأنبياء [١].

وقال حسان بن ثابت:

وحباه الإله بالكوثر الأكـ ـبر فيه النعيم والخيرات [٢]

وقال العلامة القرطبي – بعد ذكره حديث الخصال، وأن منها الكوثر-: رواها جماعة من الصحابة، وبعضهم يذكر بعضها، ويذكر بعضهم ما لم يذكر غيره، وهي صحاح كلها، وجائز على فضائله الزيادة [٣]. ونحوه قاله ابن عبد البر [٤].

وقال الطوفي [٥]: وهو نهر في الجنة خص به النبي ﷺ [٦].

وينظر أيضاً ما روي عن ابن عباس مرفوعاً عند ابن عساكر في تاريخه ٣/ ٤٠٨، والأصبهاني في دلائل النبوة ١٦٤. وعن عبادة بن الصامت مرفوعاً عند ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير ٩/ ٣٩٢، وعن ابن عباس مرفوعاً، كما في الخصائص الكبرى للسيوطي ٢/ ٣٩٠، وتفسيره ١٥/ ٧٠٠.

(١) تفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠، وعزاه لابن مردويه.

(٢) المصدر السابق ١٥/ ٦٩٦، مسائل نافع ٢٧٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٤٣.

(٤) ينظر: التمهيد ٥/ ٢١٩، والاستذكار ١/ ٩٥.

(٥) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الشيخ العلامة نجم الدين، أبو الربيع الطوفي الحنبلي البغدادي، ولد سنة ٦٥٧هـ، وتوفي سنة ٧١٦هـ. ينظر: الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٦٢، والشذرات ٦/ ٣٩، ومعجم المؤلفين ١/ ٧٩١.

(٦) الإشارات الإلهية ٣/ ٤٢٣.

وبوّب السيوطي في كتابه "الخصائص الكبرى" باباً بعنوان: اختصاصه ﷺ بالكوثر.. ثم ذكر بعض النصوص الدالة على ذلك [1].

إذا تقرر أن الكوثر مما اختص الله به نبينا محمداً ﷺ، فمعنى ذلك أنه لا يرد عليه، أو يتمتع به غيره ﷺ.

وهناك أحاديث تفيد بظاهرها أن أصل نهر الكوثر الذي في الجنة ليس مختصاً بالنبي ﷺ، فقد يرده البعض، وقد يحرم منه الآخر. ولكن هذه الأحاديث لا تصح [2]. وعلى فرض صحة بعضها، فالمقصود الورود على الحوض لا على الكوثر .

---

(١) الخصائص الكبرى ٢/ ٣٩٠.

(٢) منها حديث جابر مرفوعاً: " من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام.. وكل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة... فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: امش في ظلي. واشرب من ماء الكوثر " أخرجه الواحدي في الوسيط ٢/ ٢٥٠-٢٥١ عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً. وذكره القرطبي في تفسيره ٨/ ٣١٢، وعزاه للثعلبي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠ للسلفي وضعفه. قال الألوسي -عن هذا الخبر وما كان مثله- : وغالبها في هذا المطلب ضعيف، وبعضها موضوع. وروي عن حبيب بن عيسى العمي عند السيوطي، وعزاه لابن الضريس، وهو في فضائل القرآن، لابن الضريس ٢٠٠، تفسير السيوطي ٦/ ١٠ . ومنها حديث ابن عمر قال ﷺ :"من سقى والده شربة ماء في صغره، سقاه الله سبعين شربة من ماء الكوثر يوم القيامة " أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٤٠ وقال: غريب من حديث مسعر أو سعيد، لم نكتبه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده جماعة لم أجد ترجمتهم، وهم محمد بن الحسين بن نهشل البلخي، وأبوه وعبد الرحيم بن سليمان، وعبد الله بن الحسن بن بالويه الصوفي.
ومنها: حديث أنس. قال ﷺ : " يا أنس إن الله أعطاني الكوثر الليلة، قلت: وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة طوله ستمائة عام، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد قبلي، ولا يطعمه من خفر ذمتي، ووتر عترتي أهل بيتي". أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٠٣ رقم ٤٨٥، وقال: هذا حديث لا يصح، ومحمد بن سليمان مجروح، قال ابن عدي: وحماد هذا مجهول.

المبحث الرابع : صفة الكوثـر .

يتلخص من الأحاديث المتقدمة في تفسير آية الكـوثر، وتـرجيح أن المقصود بالكوثر نهر في الجنة أُعطيه النبي ﷺ ، عـدة صـفات ، منهـا أنـه نهـر

وهو في معجم الطبراني الكبير ٢٨٨٢، والكامل، لابن عدي ٢/ ٢٥١، وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد لا أعلم يرويه عن عطية غير حماد بن المختار هذا، وليس بالمعروف، ثم قال: من متشيعي الكوفة. وقال الذهبي عنه: مجهول، وساق له ابن عدي حديثاً آخر موضـوعاً في العـترة. الميـزان ١/ ٢٠٦ رقم ٢٢٨٠. وينظر: اللسان ٢/ ٣٥٤ رقم ١٤٣٥. قال الهيثمي في المجمـع ١٠/ ٣٦٠: رواه الطبراني، وفيه حماد بن يحيى بن المختار، وهو مجهول، وعطية ضعيف.

ومنها حديث أسامة بن زيد المتقدم ذكره، وهو في المسـتدرك ١/ ١٩٦، ولفظـه قولـه ﷺ لزوجـة حمزة: " وأحب وارده –يعني الكوثر– علي قومك " وتقدم بيان ضعفه، وأن فيه حرام بـن عـثمان أبا اليقظان، قال الذهبي في التلخيص ٤٨٨٦: أين الصحة وحرام بن عثمان فيه ؟!.

ومنها حديث أم سلمة قال ﷺ : " إني لكم سلف على الكوثر " بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢١٩٣، وإسحاق بن راهوية في مسنده ١٨٦٥. وبلفظ: " إني سـابقكم عـلى الكـوثر " الطبراني في الكبير ٢٣ رقم ٩٩٦. وإسناده عند ابن راهوية منقطع. قال إسـحاق: ذُكـر لنـا عـن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أم سلمة.. والإسناد فيه أيضـاً: محمـد بن إسحاق بن يسار، قال أحمد: ليس بحجة، وضعفه ابن معين، وقال النسـائي: لـيس بـالقوي. ينظر: تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٢١–٤٢٤، والضعفاء للنسائي ٥١٣، والميزان ٣ رقم ٧١٩٧. وهـو مدلس كما قاله ابن حجر في التقريب ٤٦٧ رقم ٥٧٢٥، وقد عنعن في الإسـناد. وعـدّه ابـن حجـر في المرتبة الرابعة من الموصوفين بالتدليس. مراتب الموصـوفين بالتـدليس ١٦٨–١٦٩ رقـم ١٢٥. قـال: مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم. وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهمـا. أما الحوض والنصوص في أسبقية النبـي ﷺ عليـه فثابتـة . ينظـر: صـحيح البخـاري رقـم ٦٥٨٣ و٦٥٨٩ و٦٥٩٠ ، ومسلم رقم ٢٨٨٩ و٢٢٩٠ و٢٢٩٦ .

داخل الجنة ، خاص بالنبي محمد ﷺ ، عليه خير كثير ، فيه ميزابان يصبان في الحوض.

وهو أكثر أنهار الجنة ماءً وخيراً [١]، وسمي كوثراً لكثرة مائة، وعظم قدره وخيره [٢].

وقد جاءت بعض صفات الكوثر في بعض الأحاديث، ومنها:" أن حافتاه قباب الدر المجوف"[٣].وفي بعض الألفاظ:"حافتاه خيام اللؤلؤ"[٤]. "وقوله ﷺ : "حافتاه من اللؤلؤ": أراد به قباب اللؤلؤ المجوف " [٥].

وفي بعض الألفاظ: " حافتاه من ذهب" [٦] . وليس هناك تعارض بين ما جاء أن حافتيه قباب اللؤلؤ، وما جاء أن حافتيه من ذهب، قال العلامة المباركفوري [٧]: قوله: " حافتاه من ذهب " لا تخالف بين هذا وبين قوله: "

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٤.

(٢) فتح الباري ٨/ ٧٣١، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٠٥.

(٣) صحيح البخاري ٦٥٨١ عن أنس.

(٤) صحيح ابن حبان ٦٤٧٣ عن أنس.

(٥) من الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان ١٤/ ٣٩١.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١١٢ عن ابن عمر، وهناد في الزهد١٣٢، والطيالسي في مسنده ٢٠٤٥، والحاكم ٣/ ٥٤ وصححه،وابن أبي شيبة في مصنفه١/ ٤٤٠و١٣/ ١٤٤، والطبري في تفسيره٢٤/ ٦٨٨، والبيهقي في البعث ١٢٨، والترمذي في السنن ٣٣٦١، وابن ماجه في السنن ٤٣٣٤، والبغوي في شرح السنة ٤٣٤١، و١٣/ ١٤٤، والدارمي ٢/ ٣٣٧، والحديث صحيح.

(٧) هو محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بهادر المباركفوري، محدث، ولد بقرية مباركفور بالهند سنة ١٢٨٣هـ، ولم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: معجم المؤلفين ٣/ ٣٩٤.

حافتاه قباب اللؤلؤ ". لأن حافتيه تكونان من الذهب، وأما القباب من اللؤلؤ فتكون مبنية عليهما [١].

وجاء عن ابن عباس أن حافتيه ذهب وفضة [٢]. وعن عائشة أن حافتيه قصور اللؤلؤ [٣]. وبلفظ عن أنس: عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد [٤].

ومما جاء في صفة الكوثر من الأحاديث : أن طينه مسك أذفر [٥]. وبلفظ: وبلفظ: " فضربت بيدي إلى تربته فإذا هو مسكة ذفرة [٦].

ومن صفة الكوثر أن آنيته عدد الكواكب [٧].

وجاء عن عائشة في الصحيح أن آنيته كعدد النجوم [٨]، وعن حذيفة: فيه فيه آنية من الذهب والفضة، لا يعلمها إلا الله [٩].

---

(١) تحفة الأحوذي ٩/ ٢٠٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٧٩-٦٨٠، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠.
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٠، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٨.
(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٢، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٦.
(٥) صحيح البخاري ٦٥٨١. والمسك الأذفر: الريح الطيب. ينظر: غريب الحديث، للهروي ٢/ ١٩، والنهاية ٢/ ١٦١.
(٦) مسند أحمد ٣/ ١٥٢ و٢٤٧ عن أنس، ومسندأبي يعلى٣٢٩٠، وصحيح ابن حبان ٦٤٧١، والإسناد صحيح على شرط مسلم.
(٧) صحيح مسلم ٤٠٠.
(٨) صحيح البخاري ٤٩٦٥. وجاء مرفوعاً عن أنس عن ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٥ رقم ٣٤٠٩٧ بإسناد صحيح. وفي رواية عن أنس مرفوعاً أن آنيته أكثر من عدد نجوم السماء (الزهد لهناد ١٣٦ بإسناد حسن).
(٩) المعجم الأوسط للطبراني ١٩٧٤، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع ٧/ ١٤٣، والسيوطي في تفسيره ١٥/ ٧٠١.

ومن صفته: أن حصاه اللؤلؤ [١]. وعن عائشة قالت: حصباؤه اللؤلؤ والياقوت [٢].

ومن صفته -أيضاً- أنه أطيب ريحاً من المسك، وطعمه أحلى من العسل، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج [٣].

وجاء عن مجاهد أن ماءه الخمر [٤]. ولم أقف على حديث يؤيد ذلك .

ومن صفة الكوثر أنه نهر يجري على وجه الأرض [٥]. ولم يشق شقاً [٦].

وهذه صفة أنهار الجنة، قال ابن القيم -في كلامه على أنهار الجنة- :

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان [٧]

---

(١) مسند أحمد ٣/ ١٥٢ و٢٤٧ عن أنس مرفوعاً بإسناد صحيح على شرط مسلم ، ومسند أبي يعلى ٣٥٢٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٠، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٧٨.

(٣) مسند أحمد عن ابن عمر مرفوعاً ٢/ ١١٢، وشعب الإيمان للبيهقي ١٢٨، والمستدرك ٣/ ٥٤٣ والإسناد صحيح. وعن أنس مرفوعاً نحوه. ينظر: المسند لأحمد ٢١/ ٣٠ و١٣٢ و١٣٦ و١٣٩، وسنن الترمذي ٢٥٤٢، والحديث صحيح. وعند الطيالسي: " أشد بياضاً من الثلج" رقم ٢٠٤٥، بإسناد صحيح. وجاء ذلك عن ابن عباس. ينظر: تفسير الطبري ٢٤/ ٦٧٩-٦٨٠، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٨١.

(٥) مسند أحمد ٣/ ١٥٢ عن أنس مرفوعاً بإسناد صحيح، وينظر: مسند أبي يعلى ٣٢٩٠، وصحيح ابن حبان ٦٤٧١.

(٦) مسند أحمد ٣/ ٢٤٧ عن أنس مرفوعاً بإسناد صحيح، ومسند أبي يعلى ٣٥٢٩.

(٧) نونية ابن القيم -بشرح ابن عيسى- ٢/ ٥٢٦. وقد تقدم بيان أنه روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك، وهو قوله عن نهر الكوثر: عمقه سبعون ألف فرسخ، عندالمنذري في الترغيب والترهيب٤/ ٤٢١رقم٥٤٧٩، والسيوطي في تفسيره ١٥/ ٧٠٠، وهذا القول لا يصح عنه، ينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني رقم ٢٥١٣.

ومن صفة الكوثر أنه كما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام [١] . وقد جاء أن طوله وعرضه ما بين المشرق والمغرب. ولكنه لا يصح [٢].

ومن صفته أن فيه طيوراً أعناقها كأعناق الجُزُر، قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة ! قال: " آكلها أنعم منها يا عمر" [٣].

وقد جاءت بعض الأوصاف في حديث، ولكنه لا يصح [٤].

ومما رُوي في الكوثر عن عائشة أنها قالت: ليس أحد يدخل أصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر[٥]. ولكن لا يثبت عنها [٦]، رضي الله عنها .

.

(١) الزهد لهناد ١٣٦ عن أنس مرفوعاً، وإسناده حسن.

(٢) معجم الطبراني ٢٨٨٢، وقد تقدم أن في إسناده حماد بن المختار، وهو مجهول، وعطية العوفي، وهو ضعيف.

(٣) تقدم، وهو صحيح.

(٤) وهو ما روي أن النبي ﷺ قال: "رضراضه الجوهر، وله شجر، وحافتاه قضبان رطبة شارعة عليه، ولتلك القضبان ثمار تنبت أصناف الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فيه آنية وأكواب وأقداح تسعى إلى من أراد أن يشرب منها، منتشرة في وسطه كأنها الكواكب الدرية ". مسند الشاميين، للطبراني ٩٥ ، وهو موضوع.

(٥) الزهد لهناد١٤١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٨٠ و٦٨١، والبعث والنشور ١٤٣، وصفة الجنة، للمقدسي ق٥٤، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٠ .

(٦) قال ابن كثير: منقطع. ثم ساق حديثاً نحوه عن النبي ﷺ ، وهو موضوع كما في ضعيف الجامع الصغير، للألباني ٤٥٤ ثم قال: ومعنى هذا: من أحب أن يسمع خرير الكوثر، أي نظيره وما يشبهه، لا أنه يسمعه بعينه، بل شبّهت دويّه كدوي ما يسمع الإنسان إذا وضع إصبعيه في أذنيه، والله أعلم أي شيء أرادت. النهاية في الفتن والملاحم ٢٠/ ٢٩٩. وقال الفتني -عما رُوي في ذلك-: لا أصل له. تذكرة الموضوعات ١٢٨٢، وينظر: الفوائد المجموعة، للشوكاني ٢٢٧ (٢٦)، وكشف الخفا، للعجلوني ١/ ١٠٩.

ومن صفة الكوثر أنه في وسط الجنة، كما صح ذلك عن عائشة، رضي الله عنها [١].

وقد رُوي أن الكوثر يتفجر من عين السلسبيل، ولكنه خبر لا يصح [٢].

والذي صح أنه ينفجر من تحت جبال مسك [٣]. وهو من أنهار الجنة التي تشخب من جنة عدن [٤]. وقد رُويت بعض الآثار في الكوثر، ولكن لم أقف على ما يؤيدها من أحاديث [٥].

---

(١) مسند أحمد ٦/ ٢٨١ بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣/ ٥٠٩-٥١٤، وبغية الحارث عن زوائد مسند بن الحارث، للهيثمي ١/ ١٧٤ رقم ٢٧، ودلائل النبوة ٢/ ٣٩٠ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. والإسناد لا يصح، فيه داود بن المحبر، وهو متروك، وفيه عمارة بن جوين أبو هارون العبدي. أما داود فقال فيه ابن المديني: ذاهب الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: غير ثقة ذاهب الحديث، وقال أحمد: لا يدري ما الحديث. ينظر: الميزان ٢/ ٢٠ رقم ٢٦٤٦، وقال في المغني: وأجمعوا على تركه، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث. المغني ١/ ٢٢٠ رقم ٢٠٢٤ . وأما عمارة بن جوين: فقد كذبه حماد بن زيد، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث، الميزان ٣/ ١٧٣ رقم ٦٠١٨، والمغني ٢/ ٤٦٠ رقم ٤٣٩٥.

(٣) صحيح ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً ٧٤٠٨ بإسناد حسن، وجاء نحوه من قول ابن مسعود عند السيوطي في تفسيره ١/ ٢٠٢-٢٠٣ .

(٤) ينظر: صفة الجنة، لابن أبي الدنيا ٢٠٨، وحادي الأرواح ١٨١، والنهاية في الفتن ٢/ ٢٩٢، وتفسير السيوطي ١/ ٢٠٦.

(٥) منها قول كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. تفسير البغوي ٧/ ٢٨٢-٢٨٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٦١.
وقول الضحاك عن الكوثر: حافتاه قباب الدر فيه أزواج النبي ﷺ. ينظر: تفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٢.
وقول العلاء بن هارون: لجبريل -عليه السلام- في كل يوم اغتماسة في الكوثر، ثم ينتفض، فكل قطرة يُخلق منها مَلَك. ينظر: العظمة، لأبي الشيخ ٢/ ٧٤٦ رقم ٣٢٩.

الفصل الثاني : الذبـــح

المبحث الأول: تفسير آية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾.

اختلف المفسرون في الصلاة التي أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يصليها بهذا الخطاب، ومعنى قوله: ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ على عدة أقوال :

١- قيل المراد بقوله: ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ : وضع اليد اليمنى على اليسرى، تحت النحر، يُروى ذلك عن علي ﷺ، وهو لا يصح [١]. وعن الشعبي[٢] مثله [٣].

وعن أبي جعفر الباقر[٤]: وانحر يعني:ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة[٥].

٢- وقيل: وانحر، أي: استقبل بنحرك القبلة [٦].

---

(١) ينظر:التاريخ الكبير للبخاري٦/ ٤٣٧، والجرح والتعديل ٦/ ٣١٢، وسنن الدراقطني٦/ ٢٨٥، و تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩١، وسنن البيهقي الكبرى ٦/ ٤٣٧ و ٢/ ٢٩، ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٣٧. قال ابن كثير في تفسيره: ١٤/ ٤٨١: لايصح.

(٢) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، العلامة أبو عمرو الهمداني الشعبي، ولد في إمرة عمر بن الخطاب وتوفي سنة ١٠٤هـ وقيل غير ذلك. ينظر:تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧ ، والحلية ٤/ ٣١٠، و السير ٤/ ٢٩٤، والشذرات ١/ ١٢٦.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٢٤/ ٦٩١، وتفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١.

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي، السيد الإمام أبو جعفر الباقر، ولد سنة ٥٦هـ وتوفي سنة ١١٤هـ. ينظر:الحلية٣/ ١٨٠، والسير ٤/ ٤٠١، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٠، والشذرات ١/ ١٤٩.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٢، وتفسير ابن كثير١٤/ ٤٨١، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٣.

(٦) تفسير ابن كثير١٤/ ٤٨١، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٥.

وقد رُوي حديث يؤيد ما روي عن علي ﷺ، قال علي ﷺ : لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ : ((**يا جبريل ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت، وإذا ركعت..**)) وهو حديث لا يصح [١]. وروي نحوه عن أنس، وهو لا يصح أيضاً [٢].

٣- والقول الراجح في تفسير الآية ما قرره الطبري -رحمه الله-، قال: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك، اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كُفء له ، وخصّك به من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك؛ لأن الله -جل ثناؤه- أخبر نبيّه ﷺ بما أكرمه به من عطيّته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٧ و ٥٣٨، والبيهقي ٢/ ٧٥ و٧٦، وسكت الحاكم عليه، قال الذهبي: إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ (هو ابن نباتة) شيعي متروك عند النسائي. قال ابن حبان: إسرائيل بن حاتم المروزي: شيخ يروي عن مقاتل بن حيان الموضوعات، وعن غيره من الثقات الأوابد والطامات، ثم ساق الحديث. المجروحين ١/ ١٧٧ . قال ابن كثير عن الحديث: حديث منكر جداً. التفسير ١٤/ ٤٨١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٠-٣١، وفي الإسناد مجهول، وهو راويه عن أنس، وسياق الإسناد يشعر أن راويه لم يجزم بأنه حديث، بل قال : عن أنس مثله، أو قال عن النبي ﷺ. وقد روي عن أنس خلاف ذلك عند الطبري، قال: كان النبي ﷺ ينحر قبل أن يصلي، فأمر أن يصلي، ثم ينحر. تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٣، وتفسير السيوطي ١٥/ ٧٠٦.

ذلك قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾، فكان معلوماً بذلك أنه خصّه بالصلاة له والنحر على الشكر له على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها الله عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجهٌ، إذ كان حثاً على الشكر على النعم .

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك -يا محمد- الكوثر إنعاماً منا عليك به، وتكرمةً منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافاً لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان [١].

قال محمد بن كعب القرظي [٢] -عن الآية- : إن ناساً كانوا يصلّون لغير الله ، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد ، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي [٣].

وقال ابن كثير: قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن : يعني بذلك نحر البُدْن ونحوها، وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك.. وغير واحد من السلف، وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٦- ٦٩٧.

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم ، وقال ابن سعد: محمد بن كعب بن حيان بن سليم، العلامة أبو حمزة، وقيل أبو عبد الله القرظي المدني، قيل : إنه ولد في حياة النبي ﷺ، ولم يصح ذلك، توفي سنة ١٠٨هـ. ينظر:الجرح والتعديل٨/ ٦٧، والحلية٣/ ٣١٢، والسير ٥/ ٦٥، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠، والشذرات ١/ ١٣٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٩٥، وتفسير البغوي ٨/ ٥٥٩، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٥٢٥، وأحكام القرآن، لابن العربي ٤/ ١٩٧٥.

من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ (١). ثم حكى الأقوال الأخرى، ثم قال عنها: وكل هذه الأقوال غريبة جداً، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك. ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي يوم العيد، ثم ينحر نسكه، ويقول:"من صلّى صلاتنا، ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له". فقام أبو بردة فقال:يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم، قال:"شاتك شاة لحم". قال: فإن عندي عناقاً هي أحب إليّ من شاتين،أفتجزئ عني؟قال:"تجزئك،ولاتجزئ أحداً بعدك"(٢) ثم ذكر قول الطبري، ثم قال: وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى: محمد بن كعب القرظي، وعطاء (٣).

وقال ابن الجوزي –عن هذا القول– : إنه قول الجمهور (٤).

وهذا قول كثير من العلماء والمفسرين (٥).

---

(١) سورة الأنعام ١٢١.
(٢)صحيح البخاري ٩٥٥، وصحيح مسلم ١٩٦١ من حديث البراء بنحوه.
(٣) تفسير ابن كثير ١٤/ ٤٨١-٤٨٢.
(٤) زاد المسير ٩/ ٢٤٩. وكذا الثعالبي في تفسيره ٤/ ٤٤٦.
(٥) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٤/ ١٩٧٦، ونقله القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٥٢٥، وينظر:تفسير الواحدي٢/ ١٢٣٦، و تفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٨، وتفسير أبي السعود ٥/ ٥٨٢، وعمدة الألفاظ لابن السمين ٤/ ٢٥٨٥، وتفسير القاسمي ١٧/ ١٢٧٧، وتفسير ابن سعدي ٨٦٥، وتفسير ابن عاشور ٣٠/ ٥٧٤. وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تقرير ذلك ينظر: التفسير الكبير ٧/ ٥٠،

قال الرازي: إنه قول عامة المفسرين، ثم ذكر الأقوال، ثم قال: قال الأكثرون: حمله على نحر البدن أولى، لوجوه: **أحدها**: هو أن الله تعالى كلما ذكر الصلاة في كتابه ذكر الزكاة بعدها. **وثانيها**: أن القوم كانوا يصلون، وينحرون للأوثان، فقيل له: فصلِّ وانحر لربك. **وثالثها**: أن هذه الأشياء آداب الصلاة وأبعاضها، فكانت داخلة تحت قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، فوجب أن يكون المراد من النحر غيرها؛ لأنه يبعد أن يعطف بعض الشيء على جميعه. **ورابعها**: أن قوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله ، وقوله: ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وجملة العبودية لا تخرج عن هذين الأصلين. **وخامسها**: أن استعمال لفظة النحر على نحر البدن أشهر من استعماله في سائر الوجوه المذكورة، فيجب حمل كلام الله عليه[1].

والبغوي. ينظر: تفسيره ٨٥/ ٥٥٩. والقرطبي. ينظر: تفسيره ٢٢/ ٥٢٣- ٥٢٥ ومن العلماء من يحكي الأقوال دون ترجيح، مثل الماوردي في تفسيره ٤/ ٥٣١- ٥٣٢ ، والكلبي الغرناطي في تفسيره ٤/ ٤٣٦- ٤٣٧.

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٩- ١٣٠.

المبحث الثاني: وجوب أن يكون الذبح لله ﷻ .

يحسن قبل أن نتكلم عن هذا الأمر العظيم، أن نمهد بمعنى الذبح .

الذبح في اللغة : هو الشق والفتق والنحر[١] والخنق .

والذبح: قطع الحلقوم من باطن عند الفصيل، وهو موضع الذبح من الحلق، والذبح مصدر ذبحت الشاة، يقال: ذبحه يذبحه ذبحاً فهو مذبوح، والذِبْحُ : ما يذبح، قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

فالذبح –إذن– هو القطع في الحلق، وهو ما بين اللبة[٣] واللَحيين[٤] .

وقيل: إنه ما يتوصل به إلى حل الحيوان، سواء أكان قطعاً في الحلق أم في اللبّة، من حيوان مقدور عليه، أم إزهاقاً لروح الحيوان غير المقدور عليه، بإصابته في أي موضع كان من جسده بمحدد أو بجارحة معلمة [٥] .

وهناك ألفاظ قريبة من معنى الذبح، مثل النحر، وهو يطلق على أعلى الصدر، وهو الطعن في لبة الحيوان، يقال: نحر البعير ينحره نحراً[٦] .

---

(١) يصوب بعض اللغويين أن الذبح في الحلق، والنحر في اللبة.

(٢) سورة الصافات ١٠٧ وينظر: المفردات، للأصبهاني ١٧٦ . ومن كتب أهل اللغة ينظر: العين١/ ٦١٦، والصحاح١/ ٣٦٢، ومجمل اللغة١-٢/ ٣٤٦، واللسان-ذبح-٣/ ٢٦١، والكليات ٤٥٨، ٤٥٨ .

(٣) بفتح اللام ، وهي الثغرة بين الترقوتين أسفل العنق.

(٤) مثنى اللحي، وهما العظمان اللذان يلتقيان في الذقن، وتنبت عليهما الأسنان السفلى.

(٥) الموسوعة الفقهية من إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ٢١/ ١٧١ .

(٦) ينظر: العين٣/ ١٧٦٤، الصحاح٢/ ٨٢٤، ومجمل اللغة٣-٤/ ٨٥٨، وتهذيب اللغة٥/ ١٠، واللسان٧/ ٤٨، والقاموس المحيط ٦١٧-نحر.

والعقر وهو ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم، ثم اتسع فيه العرب، حتى استعملوه في القتل والإهلاك، وربما استعملوه في النحر؛ لأن ناحر الإبل كان يضرب إحدى قوائمها، ثم ينحرها [1].

والتذكية، وهي مصدر ذكيت الحيوان، أي: ذبحته أو نحرته، والذكاة اسم المصدر، ومعناها: إتمام الشيء والذبح، وهي السبب الموصل لحل أكل الحيوان البري اختياراً [2].

وأما المعنى الذي نقصده في هذا البحث بالذبح، فهو : " التقرب إلى الله ﷻ بذبح الأضاحي ، أو الهدي، أو العقيقة، أو غير ذلك " [3].

الأدلة على وجوب أن يكون الذبح لله ﷻ :

أولاً: من القرآن الكريم :

١- آية الكوثر. وسبق الكلام عنها .

٢- قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [4].

---

(١) ينظر: العين٢/ ١٢٤٧، والصحاح٢/ ٧٥٤، ومجمل اللغة٣-٤/ ٦٢١، والقاموس ٥٦٩-٥٧٠.

(٢) ينظر: العين١/ ٦٢٦-٦٢٧، والصحاح٦/ ٢٣٤٦، ومجمل اللغة١-٢/ ٣٥٩، واللسان ١٨/ ٣١٥ ، والقاموس المحيط -ذكا-١٦٥٨.

(٣) من أحكام الأضحية والزكاة، للشيخ محمد بن عثيمين ص٨.

(٤) سورة الأنعام ١٦٢.

قال الطبري: يقول –تعالى ذكره– لنبيه محمد ﷺ: قل –يا محمد– هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل، من عبادة الآلهة والأوثان: إن صلاتي ونسكي. يقول: وذبحي.. أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان [١].

وقال ابن كثير: وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أي: أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والعزم على الإخلاص لله تعالى [٢].

وقال ابن سعدي: أي ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها، وهو الله تعالى.

ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله وأقواله [٣].

وقد فسر ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، وغيرهم النسك في الآية : بالذبائح [٤].

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٤٩

(٣) تفسير ابن سعدي ص ٢٤٥.

(٤) ينظر: تفسير مجاهد٣٣٢، وتفسير عبدالرزاق١/ ٢٢٣، وتفسيرابن أبي حاتم٥/ ١٤٢٤، وتفسير الطبري ١٠/ ٤٦-٤٨، ٣٣٢، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ١٦١.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [١]: ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك، كما تعبدهم بالصلاة، وغيرها من أنواع العبادة، فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له، دون كل ما سواه، فإذا تقرب إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة، فقد جعل لله شريكاً في عبادته، وهو ظاهر في قوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ ؛ نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح [٢].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ﴾.ثم قال: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ [٣].

" يعني -تعالى ذكره- : ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله -أيها الناس- جعلنا ذبحاً يهرقون دمه، فإلهكم إله واحد لا شريك له،

(١) هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، حفيد مجدد الدعوة، ولد سنة ١١٩٣هـ، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ. ينظر: الأعلام ٤/ ٧٥، وعنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر ١/ ١٩١ و ٢/ ٤١ و٤٦، ومشاهير علماء نجد، لعبدالرحمن بن عبداللطيف ٧٨، ومعجم المؤلفين ٢/ ٨٨.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١/ ٢٦٦ . وينظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٤١٧، وتفسير الثعالبي ١/ ٥٧١، وتفسير المنار ٨/ ٢٤١. وبعض العلماء يفسر النسك في الآية بالعبادة أو الدين. ينظر: تفسير الواحدي١/ ٣٨٤، وتفسير الماوردي ١/ ٥٨٣، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ١٦١، وتفسير الغرناطي ٢/ ٥٠، وتفسير العز بن عبد السلام ١/ ٤٧٢، وتفسير البيضاوي ١/ ٣٤٠.

(٣) سورة الحج ٣٤-٣٦.

فإياه فاعبدوا، وله فأخلصوا الألوهة.. ثم ذكر الله تعالى أن البدن، وهي الإبل العظام الأجسام الضخام، من شعائر الله، فاذكروا اسم الله عند نحركم إياها صواف. روي عن الحسن ومجاهد وغيرهما أنهم قرأوا: صوافي بالياء منصوبة. بمعني خالصةً لله لا شريك له فيها، صافيةً له [(١)].

وكان ابن عباس يقرأ هذه الآية، ويقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم منك ولك [(٢)].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل، ثم قال على قوله تعالى: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ [(٣)]: أي معبودكم واحد، وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضاً، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له [(٤)].

وقال الغرناطي: والنسك اسم مكان، أي موضعها لعبادتهم، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة، والمراد بذلك الذبائح لقوله :

---

(١) بتصرف من تفسير الطبري ١٦/ ٥٤٩-٥٥٥. وقراءة صوافي هي قراءة أبي موسى الأشعري، وشقيق، وسليمان التيمي، والأعرج، ينظر: المحتسب لابن جني ٢/ ٨١، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٦٩.

(٢) تفسير سفيان ٢١٣، وتفسير الطبري ١٦/ ٥٥٦، وسنن البيهقي ٥/ ٢٣٧، ومستدرك الحاكم ٤/ ٢٣٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الحج ٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير ١٠/ ١٦٠.

﴿ لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقرباً للأصنام [١].

وقال البغوي: أي سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد [٢].

والأدلة كثيرة على وجوب إفراد الله وحده بالذبح، وسيأتي بعضها عند الكلام على تحريم الذبح لغير الله.

ثانياً من السنة النبوية:

كذلك الأدلة من السنة على أنَّ عبادة الذبح لله، كثيرة جداً؛ فكل ما جاء من أحاديث الأضاحي والهدي والعقيقة وغيرها، أدلة على هذه العبادة العظيمة.

ونذكر من هذه الأدلة:

١ - كان النبي ﷺ يضحي بكبشين أملحين أقرنين، يذبحهما بيده، ويسمي، ويكبر[٣]. وقد رواه البخاري[٤]. في كتاب التوحيد، وبوب عليه السؤال

---

(١) سورة الحج ٣٤. وينظر: تفسير الغرناطي ٣/ ٨٨-٨٩.

(٢)تفسير البغوي ٥/ ٣٨٥. وينظر في الآية وكلام الأئمة حولها: تفسير الواحدي٢/ ٧٣٤، وتفسير الماوردي ٣/ ٨٠-٨١، وتفسير ابن الجوزي ٥/ ٤٣١، و تفسير القرطبي ١٤/ ٣٩١، وتفسير الثعالبي ٣/ ٨٣.

(٣) صحيح البخاري ٧٣٩٩ و ٥٥٥٨ و ٥٥٦٥، وصحيح مسلم ١٩٦٦ عن أنس.

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة بن الإمام الكبير صاحب الصحيح، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ. ينظر: تاريخ بغداد٢/ ٤و٣٣، ووفيات الأعيان ٤/ ١٨٨، والسير ١٢/ ٣٩١، والشذرات ٢/ ١٣٤.

بأسماء الله تعالى، والاستعاذة بها [١].

قال العلامة النووي[٢]: فيه إثبات التسمية على الأضحية وسائر الذبائح، وهذا مجمع عليه [٣].

٢- عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ ذبح يوم العيد، ثم قال حين وجّه الذبيحة: ((**إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وذلك أمرت وأنا أول المسلمين، باسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك، عن محمد وأمته**)) [٤].

" فالله -سبحانه وتعالى- هو المعطي المنعم ، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [٥].. وهو -عز وجل- المحبوب المراد، وأي عمل لا يقصد به وجهه، فهو باطل" [٦].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٧٨ و ٣٧٩ .

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة، الشيخ العلامة محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي، ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٧هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٠، وطبقات السبكي ٥/ ١٦٧، والشذرات ٥/ ٣٥٤، ومعجم المؤلفين ٤/ ٩٨-٩٩.

(٣) شرح النووي على مسلم ٧/ ١٣٠. وينظر : الإجماع، لابن المنذر ٦٨ رقم ١٨٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٧٥ بإسناد حسن، والحاكم ١/ ٤٦٧ وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة ٢٨٩٩، والدارمي ١٩٤٦، والبيهقي ٩/ ٢٨٧، وأبو داود ٢٧٩٥، وابن ماجه ٣١٢١.

(٥) سورة النحل ٥٣.

(٦) من كتاب العقيدة ، د/ محمد السعوي ص ١١١.

٣- قال ﷺ : ((**من ذبح قبل الصلاة، فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا، فليذبح على اسم الله**)) [١]. وبلفظ عند مسلم: ((**باسم الله**)) [٢].

"فقوله: فليذبح على اسم الله، أو باسم الله يحتمل معاني: **أحدها**: فليذبح لله، والباء بمعنى اللام، والاسم هو المسمى، **الثاني**: فليذبح بملة الله. **والثالث**: فليذبح بتسمية الله على ذبيحته إظهاراً لإسلامه، ومخالفة من ذبح لغيره، وقمعاً للشيطان. **والرابع**: تبركاً باسمه، ويمناً بذكره، كما يقال: سر على بركة الله ، وسر باسم الله" [٣].

٤- قال ﷺ : ((**اذبحوا لله في أي شهر ما كان، وبروا الله وأطعموا**)) [٤].

قال النووي: أي اذبحوا إن شئتم، واجعلوا الذبح لله في أي شهر كان [٥].

[٥].

ولم يزل سلف الأمة من الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا على العمل على هذه العبادة الجليلة، مبتغين من الله الأجر العظيم عليها.

---

(١) صحيح البخاري ٥٥٠٠، وصحيح مسلم ١٩٦٠ عن جندب بن سفيان.

(٢) صحيح مسلم ١٩٦٠ (١و ٣).

(٣) من إكمال المعلم للقاضي عياض ٦/ ٤٠٢-٤٠٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٧٥ و٧٦ بإسناد صحيح على شرط مسلم عن نبيشة، وأبو داود ٢٨١٣ ، والنسائي في المجتبى ٧/ ١٧٠ ، والكبرى ٤٥٥٧.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤/ ٢٨.

قال شمس الدين ابن قدامة [١] : وأجمع المسلمون على مشروعية الأضحية[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: ولا خلاف في كونها من شرائع الدين [٣]. "ومن أعظم شعائر الإسلام، وهي النسك العام في جميع الأمصار" [٤].

والذبح عبادة عظيمة وقربة إلى الله ﷻ ، ولا تصح إلا بما يرضاه الله سبحانه، ولا يرضى الله ﷻ من العبادات إلا ما جمع شرطين: **أحدهما**: الإخلاص لله تعالى؛ بأن يخلص النية له، فلا يقصد رياءً ولا سمعة، ولا رئاسة ولا جاهاً ، ولا عرضاً من أعراض الدنيا، ولا تقرباً إلى مخلوق.

والثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥].

وكذلك إن لم تكن على سنة رسول الله ﷺ فهي مردودة؛ لقول النبي ﷺ: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)) [٦].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشيخ العلامة شمس الدين أبو محمد الحنبلي. ولد سنة ٥٩٧هـ، وتوفي سنة ٦٨٢هـ. ينظر: فوات الوفيات للكتبي ١/ ٢٦٢، والشذرات ٥/ ٣٧٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٠٨.

(٢) الشرح الكبير مع المقنع، الإنصاف ٩/ ٣٣٢.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٣.

(٤) من مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣/ ١٦٢.

(٥) سورة البينة ٥.

(٦)من أحكام الأضحية والزكاة للشيخ ابن عثيمين بتصرف ص ٣١. والحديث في صحيح مسلم عن عائشة ١٧١٨ (١٨)، وبلفظ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" في البخاري ٢٦٩٧ ، ومسلم ١٧١٨ (١٧) ، عن عائشة.

وسوف نتحدث عن بعض الجوانب العقدية المتعلقة بالذبح.

وجوب الإخلاص لله في الذبح.

"الإخلاص لله -عز وجل- هو حقيقة الإيمان، والاستسلام لله وحده لا شريك له، وهو الفارق بين التوحيد والشرك" (١). ولا تقبل الأعمال الصالحة إلا به، وهو أول ما يشترط من أمر العقيدة والإيمان.

وهو أول مفتاح دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-. وقد أمر الله به في آيات كثيرة، منها قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. وأمر نبينا محمداً ﷺ بإخلاص العبادة له، كما في سورة الزمر في أولها ووسطها وآخرها، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ (٢)، وقال ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ (٣). وسورة الزمر كلها عامتها في هذا المعنى، في الأمر بالإخلاص، وبيان منافاة الشرك له (٤).

---

(١) من التحفة العراقية في الأعمال القلبية لابن تيمية ص ٥٧.

(٢) سورة الزمر ٢-٣.

(٣) سورة الزمر ١١-١٤.

(٤) التحفة العراقية ٥٨.

والإخلاص شرط في قبول الأعمال، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[١]

"وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. وكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لاتخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذ[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٣]. فإسلام الوجه- كما قال ابن القيم-: إخلاص القصد والعمل له، والإحسان فيه متابعة الرسول[٤].

ولا بد أن يدخل الإخلاص في كل عمل من الأعمال التي يريد بها الإنسان وجه الله، بل لو عمل الإنسان عملاً من الأعمال المباحة يريد به الأجر عند الله، فلابد أن يتحقق فيه الإخلاص لله ﷻ. ولهذا قال النبي ﷺ لسعد: "ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى اللقمة تجعلها في فِيِّ امرأتك"[٥].

---

(١) سورة الفرقان ٢٣.
(٢) من تفسير ابن كثير ١٠/ ٢٩٦.
(٣) سورة النساء ١٢٥.
(٤) مدارج السالكين ٢/ ٩٣.
(٥) صحيح البخاري ٢٧٤٢، وصحيح مسلم ١٦٢٨. وينظر: أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها لسهل العتيبي ١/ ٢٨٤- ٢٨٦.

فالعبادات كلها -كالصلاة، والسجود، والطواف، والدعاء، والصدقة، والنسك، والذبح- لا تصلح إلا لله [١].

وقد تقدم في سياق ذكر الأدلة على مشروعة الذبح لله، الكلام على وجوب الإخلاص لله في هذه العبادة العظيمة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ قال العلامة ابن عاشور [٢]: وأفادت اللام من قوله ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أنه يخص الله بصلاته، فلا يصلي لغيره، ففيه تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها.

وعطف: ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ على: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ يقتضي تقدير متعلقه مماثلاً لمتعلق ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، لدلالة ما قبله عليه. فالتقدير: وانحر له، وهو إيماء إلى إبطال نحر المشركين قرباناً للأصنام [٣].

وقد تقدم قول محمد بن كعب القرظي في تفسير الآية: إن ناساً كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر -يا محمد-، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي [٤].

---

(١) دقائق التفسير، لابن تيمية ٢/ ٢٠١.

(٢) هو محمد الطاهر بن عاشور، ولد سنة ١٢٩٦هـ وأصبح رئيساً للمفتين المالكيين بتونس وشيخاً لجامع الزيتونة وفروعه بتونس. توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام ٦/ ١٧٤، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٦٢.

(٣) تفسير ابن عاشور ٣٠/ ٥٧٤- ٥٧٥ . وينظر: تفسير الرازي ٣٢/ ١٣١.

(٤) ينظر ص: ٣٣ .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١). قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغيراسمه بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته؛لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى (٢).

وقال ابن تيمية: وقد قال الخليل-صلاة الله وسلامه عليه-: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾،فيجب الإخلاص والصلاة والنسك لله (٣).وقد تقدم حديث:"اللهم منك ولك".

والنصوص من الكتاب والسنة كثيرة جداً في وجوب الإخلاص لله في عبادة الذبح، وسيأتي ما يوضح، ويقرر ذلك في سياق الكلام عن حرمة الذبح لغير الله.

وقد عدّ العلماء من آداب وسنن الذبح توجيه الذبيحة إلى جهة القبلة، وقد تقدم أن المصطفى خ ضحّى بكبشين، ووجههما للقبلة (٤). وقد كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يستحب ذلك (٥).

---

(١) سورة الأنعام ١٦٢-١٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٤٩ . وينظر: فتح المجيد ١/ ٢٦٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٩٥.

(٤) ينظر ص: ٣٨ .

(٥) ينظر: السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٢٨٥، والمقنع مع الشرح الكبير، والأنصاف ٩/ ٣٥٧/ ٢٧/ ٣٣٠، والمغني ١٣/ ٣٠٥، والكافي ٢/ ٥٠٩، وروضة الطالبين للنووي ٢/ ٤٧٣، وحاشية ابن عابدين ٥/ ١٨٨، وبدائع الصنائع ٥/ ٦٠.

والمشركون كانوا يستقبلون الأصنام والأوثان بذبائحهم، فتستحب مخالفتهم باستقبال القبلة التي هي جهة الرغبة إلى طاعة الله ﷻ[١]. وهذا محض الإخلاص لله وحده لا شريك له.

ومن الجوانب العقدية المهمة في مسألة الذبح لله : اشتراط تسمية الله تعالى عند الذبح، فقد ذهب الجمهور إلى اشتراط تسمية الله تعالى عند التذكر والقدرة، فمن تعمد تركها، وهو قادر على النطق بها، لا تؤكل ذبيحته – مسلماً كان أو كتابياً – ومن نسيها، أو كان أخرساً أكلت ذبيحته. وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾[٢].

ويشترط أن تكون التسمية باسم الله ، فلو قال: باسم الرحمن، أو باسم رب العالمين، لم تجز، هذا هو المشهور من المذهب[٣]. " والصواب أنه إذا أضاف التسمية إلى ما يختص بالله كالرحمن، ورب العالمين، ومنزل الكتاب، وخالق الناس، أو إلى ما يشركه فيه غيره، وينصرف إليه تعالى عند الإطلاق؛ ونواه به كالمولى والعظيم، ونحوهما، مثل أن يقول: باسم الرحمن، أو باسم

(١) ينظر: الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية لعبد الحميد العبيدي ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) سورة الأنعام ١٢١، وينظر: الموسوعة الفقهية ٢١/ ١٨٩.

(٣) ينظر: الكافي ٢/ ٥٠٧، والمغني ١٣/ ٢٦٠، ومعرفة أولي النهى شرح منتهى الإرادات لابن النجار ٨/ ٦٨٣، والمسالة فقهية، وليس هذا موضع بحثها.

العظيم، وينـوي بـه الله تعـالى فإنـه يجـزئ لحصـول المقصـود بـذلك. والله أعلم"[١].

قال ابن القيم: ولا ريب أن ذكر اسـم الله عـلى الذبيحـة يطيبهـا، ويطـرد الشيطان عـن الـذابح والمـذبوح، فـإذا أُخـلّ بـه؛ لابـس الشـيطان الـذابح والمذبوح، فأثر خبثاً في الحيوان[٢].

والمقصود هنا أن التسمية مشروعة في " افتتاح الأعمال كلها، فيسـمي الله عند الأكـل والشرب، ودخـول المنـزل والخـروج منـه، ودخـول المسـجد والخروج منـه، وغـير ذلـك مـن الأفعـال، وهـي عنـد الـذبح مـن شـعائر التوحيد"[٣].

وقال النووي: من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه، واليمين باسـمه، والسجود لـه، ولا يشـاركه في ذلـك مخلـوق.. ثـم قـال: واعلـم أن الـذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له، وكل واحد مـنهما نـوع مـن أنـواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعبادة[٤].

والكلام في الذبح يقودنا إلى بيان اشتمال هذه العبادة العظيمة على كثير من الأعمال القلبية، شأن الذبح في ذلك شأن الصلاة، ولهذا قرن بين الصلاة

---

(١) من أحكام الأضحية والزكاة ص ٦٣.
(٢) أعلام الموقعين ٢/ ١٧٣.
(٣) من مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢/ ٣٩٢.
(٤) روضة الطالبين ٢/ ٤٧٤.

والذبح في كثير من النصوص، مثل قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾؛ أمره الله تعالى أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، والى أمره وفضله، عكس حال أهل الكبر وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم، يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر، وتركاً لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه. والمقصود أن الصلاة والنسك هما أجلّ ما يُتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك –وهو الصلاة والنحر– سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر، فشكر المنعم عليه وعبادته، أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات، وغاية الغايات.. ثم قال: وأجل العبادات المالية النحر، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله، وحسن الظن به، وقوة اليقين، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص. وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير

النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة، وكان ينحر في الأعياد وغيرها [١].

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن –بعد ذكره قول ابن تيمية– : وقد تضمنت الصلاة من أنواع العبادة كثيراً، فمن ذلك الدعاء، والتكبير، والتسبيح، والقراءة، والتسميع، والثناء، والقيام، والركوع، والسجود، والاعتدال، وإقامة الوجه لله، والإقبال عليه بالقلب، وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة، وكل هذه الأمور من أنواع العبادة، التي لا يجوز أن يُصرف منها شيء لغير الله، وكذلك النسك يتضمن أموراً من العبادة، كما تقدم في كلام شيخ الإسلام [٢].

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٤٩.

(٢) فتح المجيد ١/ ٢٦٧-٢٦٨ . وينظر: إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، لمحمد بن علي بن عتيق ٦٨-٦٩-، والتوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد، للدويش ٧٨، وتفسير ابن سعدي ٢٤٥ و٨٦٥، وتفسير الرازي ١٤/ ١١. ويذكر العلماء أن في عبودية الذبح كمال المحبة لله ﷻ، ويشيرون إلى أمر الله ﷻ لإبراهيم بذبح ابنه إسماعيل؛ قال ابن القيم: إن الله أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم –عليه السلام– لما سأل ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلاً، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد، جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطيد النفس عليه، فقد حصل المقصود، فنسخ الأمر وفدي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب. زاد المعاد ١/ ٧٤-٧٥ . وينظر: فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٢٠٣.

المبحث الثالث : حرمة أن يكون الذبح لغير الله ﷻ .

تكلّمنا فيما سبق عن وجوب أن يكون الذبح لله ﷻ دون سواه، وذكرنا الأدلة على ذلك من القرآن والسنة، وتكلمنا على أهمية الإخلاص لله في هذه الشعيرة العظيمة، وذكرنا بعض الجوانب العقدية الأخرى في هذه العبادة. وسنتكلم الآن على ما يناقض ركن الإخلاص لله، وهو أن يكون الذبح لغير الله ﷻ.

والمراد بالذبح لغير الله : ما يذبح تقرباً وتعظيماً لغير الله، سواء كان مَلَكاً، أو نبياً، أو جنياً، أو صنماً، أو غير ذلك، وكل من ذبح باسم غير الله، كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو للكعبة، ونحو ذلك.

أما ذبح الإنسان شاة أو نحوها لغيره، بقصد إكرامه بتقديم الذبيحة إليه طعاماً يأكل منه هو ورفقاؤه، ومن دعي إلى الأكل معهم مثلاً، فهذا جائز، بل حثت عليه الأحاديث الصحيحة، ورغبت فيه، قال ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه "(١).

والفرق بين ما يحل وما يحرم: أنه إن قصد تعظيم غير الله عند الذبح يحرم، وإن قصد الإكرام ونحوه لا يحرم.

---

(١)صحيح مسلم ٣٧٤٨ عن أبي هريرة، وما سبق من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/ ٢٢٣ رقم ١٩٨٤.

ولا شك "أن الذبح لغير الله أو باسم غيره، علمنا يقيناً أنه ليس من ديـن الأنبياء-عليهم السلام-وهو من الشرك"(١)، ومن الكبائر العظيمة(٢).

فمن ذبح لغير الله متقرباً بـه إليـه، فهـذا شرك أكـبر، وإن قـال فيـه باسـم الله ، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والنحور ونحو ذلك. وهؤلاء مرتدون لا تباح ذبيحـتهم بحال (٣).

وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، فقال: ((**لعن الله من ذبح لغير الله**))(٤).

وأما الذبح لله ﷻ عند القبور، واعتقاد أن الذبح لله عنـد القـبر فيـه مزيـة على غيره من البقاع، فهذه بدعة محدثة،قال شيخ الإسلام ابن تيميـة -رحمـه الله- : ليس في ذكر الله، أو القراءة عنـد القـبر، أو الصـيام عنـده، أو الـذبح عنده، فضل على غيره من البقاع، ولا قصد ذلك عند القبور مستحباً (٥).

فلا " يشرـع الـذبح عنـد القبـور، ومـن ظـن أن التضـحية عنـد القبـور مستحبة وأنها أفضل، فهو جاهل ضال مخالف لإجماع المسلمين، بل قد نهـى

---

(١) من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية بتصرف يسير ١/ ٢٥٦.

(٢)ينظر:الكبائر للذهبي٢١٩-٢٢٠و فتاوى إمـام المتقـين، لابـن القـيم ٢١٧، والزواجـر عـن اقـتراف الكبائر، للهيتمي ١/ ١٧١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٥٩.

(٤) صحيح مسلم ١٩٧٨ عن علي ﷺ . وسيأتي ذكر النصوص المصرحة بذلك.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٣٧٨.

رسول الله ﷺ عن العقر عند القبر [١]، كما كان يفعل بعض أهـل الجاهليـة إذا مات لهم كبير، ذبحوا عند قبره، والنبـي ﷺ نهـى أن تتخـذ القبـور مسـاجد، فلعن الذين يفعلون ذلك تحذيراً لأمته أن تتشبه بالمشـركين الـذين يعظمـون القبور حتى عبدوهم، فكيف يتخذ القـبر منسـكاً يقصـد النسـك فيـه ؟!.. فيجب الإخلاص والصلاة والنسـك لله، وإن لم يقصـد العبـد الـذبح عنـد القبر، لكن الشريعة سدت الذريعة [٢].

وفيما يلي نذكر بعض الأدلة على حرمة الذبح لغير الله ﷻ .

*** من القرآن الكريـم :**

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ [٣]. قال الطبري: يعني ما ذُبح للآلهة والأوثان، فسُمّي عليه غير اسمه، أو قُصد به غيره من الأصنام .

وإنما قيل : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ ﴾ لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهـتهم، سمّوا اسم آلهتهم التي قرّبوا ذلك لها، وجهروا بذلك أصواتهم، فجرى ذلـك من أمرهم على ذلك، حتى قيـل لكـل ذابـح ذبْـح ، سـمّى أو لم يُسـمّ، جهـر بالتسمية، أو لم يجهر: مُهِلّ. فرفعهم أصواتهم بذلك هو الإهلال الـذي ذكـره

---

(١) سيأتي الكلام تفصيلاً عن الأدلة المحرمة للذبح لغير الله .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٤٩٥ – ٤٩٦.

(٣) سورة البقرة ١٧٣، ونحوها آية النحل ١١٥ . وينظر: تفسير الطـبري ١٤/ ٣٨٨، وتفسـير ابـن كثير ١/ ٧٥٢.

الله ﷻ فقال: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ . ومن ذلك قيل للملبي في حجة أو عمرة: مهل، لرفعه صوته بالتلبية (١).

قال ابن عباس: يعني: ما أُهل للطواغيت كلها (٢).

وقال الشوكاني: والمراد هنا: ما ذكر عليه اسم غير الله كاللات والعزى، إذا كان الذابح وثنياً، والنار إذا كان الذابح مجوسياً، ولا خلاف في تحريم هذا وأمثاله. ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم، فإنه مما أهلّ به لغير الله، ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن (٣).

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن فاعل ذلك مرتد لا تباح ذبيحته، ويجتمع في ذبيحته مانعان؛ أنه مما أهلّ به لغير الله، وأنها ذبيحة مرتد (٤).

كما أفتى بعض العلماء أن ما ذُبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه، بحرمته؛ لأنه مما أهلّ لغير الله (٥).

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٥٥.
(٢) تفسير الطبري ٣/ ٥٧، وسنن البيهقي الكبرى ٩/ ٢٤٩.
(٣) تفسير الشوكاني ١/ ٢٣٦. وينظر: تفسير البغوي ١/ ١٨٣،وتفسير ابن عطية٢/ ٧٠، وتفسير القرطبي ٣/ ٣٣.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٦٣.
(٥) ينظر: فتح المجيد ١/ ٢٧١.

أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[١]. " يعني بذلك: أو إلا أن يكون مذبوحاً ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته، فذكر عليه اسم وثنه، فإن ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك، لأنه ميتة "[٢].

قال الشوكاني: وسمي فسقاً لتوغله في باب الفسق[٣]. " فسمي ما ذكر عليه غير اسم الله فسقاً، والفسق الخروج من الدين "[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[٥].

قال قتادة: والله ما نعلمه كان شركاً قط إلا بإحدى ثلاث؛ أن يدعو مع الله إلهاً آخر، أو يسجد لغير الله، أو يسمي الذبائح لغير الله[٦].

وقد عرض الطبري الأقوال في معنى الآية، ثم قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عنى بذلك ما ذبح للأصنام والآلهة، وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته[٧].

---

(١) سورة الأنعام ١٤٥.
(٢) من تفسير الطبري ٩/ ٦٣٢.
(٣) تفسير الشوكاني ٢/ ١٧٨، وينظر: تفسير الغرناطي ٢/ ٤٣.
(٤) من تفسير ابن الجوزي ٣/ ١٤٠.
(٥) سورة الأنعام ١٢١.
(٦) تفسير الطبري ٩/ ٥٢٥، وتفسير السيوطي ٦/ ١٨٧.
(٧) تفسير الطبري ٩/ ٥٢٩. وينظر: تفسير البغوي ٣/ ١٨٣، وتفسير الشوكاني ٢/ ١٦٤.

وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾(١). والنُصُب – كما قال الطبري- : الأوثان من الحجارة ، جماعة أنصاب، كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها، وليست بأصنام.

قال قتادة : والنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها، ويذبحون لهـا، فنهى الله عن ذلك (٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾(٣).

وقد كان بعض العلماء يفسر الفسوق في الآية بالذبح للأصنام(٤).

وتقدم قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ.. ﴾ .

---

(١) سورة المائدة ٣.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٧١. وينظر في الآية: تفسير ابن الجوزي٢/ ٢٨٣-٢٨٤، وتفسير البغوي٣/ ٢١١، وتفسير القرطبي ٧/ ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة ١٩٧.

(٤) وهو قول الإمام مالك . ينظر: الموطأ ١/ ٣٨٨ رقم ٨٧٠ ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ينظر: تفسير سفيان٦٣، وتفسير الطبري٣/ ٤٧٥، وتفسير ابن عطية ٢/ ١٩٦، وتفسير ابن كثير ١/ ١٧٥، وتفسير الشوكاني ١/ ٢٦٩.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ [١]: وفي الآية دلائل متعددة على أن الذبح لغير الله شرك، كما هو بيّن عند التأمل [٢].

بل إن الله -عز وجل- قد نهى عباده عن فعل بعض العبادات في الأماكن التي علم أن المشركين اتخذوها للمعصية، قال تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [٣].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: ووجه مناسبة الآية للترجمة أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أعد للمعصية صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله، وهذا قياس صحيح. ويؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي [٤].

وأما الأدلة من السنة على حرمة الذبح لغير الله، فكثيرة نذكر منها:

قال ﷺ : ((**لعن الله من ذبح لغير الله**))[٥]، وبلفظ: ((ملعون من ذبح لغير الله))[٦]."أي: أبعد الله من رحمته من تقرب بذبح أي شيء لغير الله"[٧].

---

(١) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد سنة ١٢٠٠هـ. توفي سنة ١٢٣٣هـ شهيداً . ينظر: هدية العارفين ١/ ٤٠٨، ومعجم المؤلفين ١/ ٧٩٣، ومشاهير علماء نجد للبسام ٢/ ٣٤١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٨٨ .

(٣) سورة التوبة ١٠٨ .

(٤) فتح المجيد ١/ ٢٨١.

(٥) صحيح مسلم ١٩٧٨ عن علي، رضي الله عنه.

(٦) مسند أحمد ١/ ٢١٧ بإسناد حسن عن ابن عباس، ومستدرك الحاكم ٤/ ٣٥٦، والسنن الكبرى، للبيهقي ٨/ ٢٣١.

(٧) من الدر النضيد على كتاب التوحيد، لسعيد الجندول ص ٨٧.

وقال ﷺ : **"لافرع ولا عتيرة"** [١] وجاء في رواية عن ابن عباس أن قريشاً استأذنوا الرسول ﷺ في العتيرة، فقالوا: "يا رسول الله نعتر في رجب" ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " أعتر كعتر الجاهلية، ولكن من أحب منكم أن يذبح لله فيأكل ويتصدق فليفعل ". وكان عترهم أنهم يذبحون، ثم يعمدون إلى دماء ذبائحهم، فيمسحون بها رؤوس نصبهم [٢].

---

(١) صحيح مسلم ١٩٧٦ عن أبي هريرة.

(٢) معجم الطبراني الكبير ١١/ ٢٣٢، رقم ١١٥٨٦، قال الهيثمي في المجمع ٤/ ٢٨: وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثقه ابن معين وضعفه الناس. ولكنه يتقوى بحديث مسلم الذي قبله، ويكون حسناً. والفرع:أول النتاج كان ينتج لهم فيذبحونه. والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية. ينظر: شرح النووي على مسلم ٧/ ١٤٥-١٤٦، وقد جاء في بعض الأحاديث ما يفيد أن العتيرة حق. ينظر: سنن أبي داود ٢٨٤٤ وهو صحيح. قالت عائشة: أمرنا رسول الله ﷺ بالفرعة من كل خمسين واحدة. وفي رواية: من كل خمسين شاة شاة. وقال ﷺ:" يا أيها الناس إن على كل أهل البيت في كل عام أضحية وعتيرة". مسند أحمد ٥/ ٧٦ عن مخنف بن سليم بإسناد ضعيف. قال النووي: والصحيح عند أصحابنا، وهو نص الشافعي، استحباب الفرع والعتيرة، وأجابوا عن حديث: "لا فرع ولا عتيرة" بثلاثة أوجه: أن المراد نفي الوجوب، والثاني أن المراد نفي ما كانوا يذبحونه لأصنامهم. والثالث أنهما ليسا كالأضحية في الاستحباب، أو في ثواب إراقة الدم. فأما تفرقة اللحم على المساكين فبر وصدقة، وادعى القاضي عياض أن جماهير العلماء على نسخ الأمر بالفرع والعتيرة. والله أعلم. شرح مسلم ٧/ ١٤٨.

وقال ﷺ: "لا عقر في الإسلام". قال عبد الرزاق[١]: كانوا يعقرون عند القبر يعني بقرة أو شاة[٢]. وقال الإمام أحمد: كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزوراً على قبره، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك[٣].

وقال ابن الأثير [٤]: هذا نفي للعادة الجاهلية، وتحذير منها، كانوا في الجاهلية يعقرون الإبل، أي ينحرونها على قبور الموتى، ويقولون: صاحب القبر كان يعقرها للأضياف في حياته،فيكافأ بصنيعه بعد موته[٥].

وعن ثابت بن الضحاك ﷺ، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا:لا. فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك، فإنه لاوفاء لنذر في معصية الله، ولافيما لايملك ابن أدم"[٦].

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحافظ عالم اليمن، أبو بكر الحميري، ولد سنة ١٢٦هـ، وتوفي سنة ٢١١هـ. ينظر:الجرح والتعديل٦/ ٢٣٨، ووفيات الأعيان٣/ ٢١٦، والسير ٩/ ٥٦٣، والشذرات ٢/ ٢٧.

(٢) سنن أبي داود ٣٢٢٢ عن أنس بإسناد صحيح. والحديث دون قول عبد الرزاق في المسند ٣/ ١٩٧ بإسناد صحيح، والترمذي ١٦٠١، وابن حبان ٣١٤٦.

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٣٨.

(٤) هو مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، الشيخ العلامة مجد الدين أبو السعادات المعروف بابن الأثير الجزري، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر:وفيات الأعيان ٤/ ١٤١، والسير ٢١/ ٤٨٨، والبداية والنهاية ١٧/ ٨، والشذرات ٥/ ٢٢.

(٥)النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٧١.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن ٣٣١٣ . قال ابن تيمية: إسناده على شرط الصحيحين. الاقتضاء ١/ ٤٣٦. وهو في السنن الكبرى ١٠/ ٨٣ ، وبمعناه من حديث كردم بن سفيان عند أحمد في

فقوله: "**أوف بنذرك**" هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره، أو في محل أعيادهم معصية؛ لأن قوله: "فأوف بنذرك" تعقيب للوصف بالحكم بالفاء، وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء خلوه عن هذين الوصفين.

فلما قالوا: لا، قال: "فأوف بنذرك". وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم، أو بها وثن من أوثانهم، مانع من الذبح بها، ولو نذره. قاله شيخ الإسلام [1].

وعن طارق بن شهاب[2] أن رسول الله ﷺ قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً. قالوا لأحدهما: قرّب. قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذباباً،

المسند ٣/ ٤١٩ و٦/ ٣٦٦، وابن ماجه ٢١٣١ وأبي داود ٣٣١٤ و٣٣١٥. وبوانة: موضع في أسفل مكة، دون يلملم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤١.

(٢) هو طارق بن شهاب البجلي الأحمسي، أبو عبد الله، رأى النبي ﷺ، وقال أبو داود: رآه ولم يسمع منه شيئاً، قال ابن حجر: إذا ثبت أنه رأى النبي فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، توفي سنة ٨٣هـ. ينظر: الاستيعاب١٢٤٧، و الإصابة ٦٣٢ رقم ٤٣٨٠، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣.

فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرّب. قال: ما كنت لأقرّب لأحد شيئاً دون الله ﷻ، فضربوا عنقه، فدخل الجنة"[١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: وفي هذا بيان عظمة الشرك، ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار كما قال –تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢].

ومن الأدلة على حرمة الذبح لغير الله ما جاء في الصحيح من خبر زيد بن عمرو بن نفيل[٣] قبل البعثة، وامتناع النبي ﷺ عن أكل ما ذبح على النصب، وامتناع زيد كذلك عن ذلك، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ لقي زيد

---

(١) ذكره مرفوعاً الخطابي في الغنية ١٦، وعزاه لأحمد، وابن القيم في الجواب الكافي ٢١، وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد ١/ ٢٧٤، والألوسي في شرح المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ص٢٣٣ وصححه. بينما المروي عند أحمد في الزهد ٢٢، والخطيب في الكفاية ١٨٥، وأبي نعيم في الحلية ١/ ٢٠٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٣٥٨ . هو من قول سلمان الفارسي ﷺ . قال أخي الفاضل د/ يوسف السعيد: غير أنه لا يمكن أن يقال بالرأي، فله حكم الرفع. تحقيق شرح مسائل الجاهلية، للألوسي ص٢٣٣ حاشية (٢).

(٢) سورة المائدة ٧٢ وينظر: فتح المجيد ١/ ٢٧٦.

(٣) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، والد الصحابي الجليل سعيد بن زيد. هجر عبادة الأوثان في الجاهلية، وخرج يطلب الدين الصحيح، فجال الشام والجزيرة، ونظر في اليهودية والنصرانية فلم يقبلهما، ثم أصبح على ملة إبراهيم –عليه السلام– الحنفية، إلى أن قيل له: إن النبي ﷺ قد بعث في مكة، فخرج في طلبه، فقتل في الطريق قبل البعثة بخمس سنين، كما قال الحافظ في الإصابة ٤٥٤ رقم ٣٠٩٠ . وينظر:أسدالغابة١٨٦٠، و تهذيب التهذيب ٢/ ٤٢١.

ابن عمرو بن نفيل، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقُدمت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظاماً له [١].

قال ابن بطال [٢]: كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ﷺ، فأبى أن يأكل منها، فقدمها النبي ﷺ لزيد بن عمرو، فأبى أن يأكل منها، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً: إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم انتهى. وما قاله محتمل، لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك، فإني لم أقف عليه في رواية أحد [٣].

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٢٦ و٥٤٩٩.

(٢) هو علي بن خلف بن بطال، العلامة شارح البخاري، أبو الحسن البكري القرطبي، المعروف بابن اللجام، توفي سنة ٤٤٩هـ، ينظر: السير ١٨/ ٤٧، والعبر ٣/ ٢١٩، والشذرات٣/ ٢٨٣، ومعجم المؤلفين ٢/ ٤٣٨.

(٣) نقله ابن حجر في الفتح ٧/ ١٤٣.

وقال الخطابي: كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل مالم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. وقال أيضاً:كان النبي ﷺ يتجنب الذبائح لأصنامهم، عصمة عن الله ﷻ له: لئلا يشاركهم في تعظيم الأصنام بها [1].

ويشرح بعض العلماء هذا الحديث، ويذكرون أن زيد بن عمرو قد تلقى ذلك من أهل الكتاب. قال الداوودي : كان النبي ﷺ قبل البعث يجانب المشركين في عاداتهم، لكن لم يكن يعلم ما يتعلق بأمر الذبح، وكان زيد قد علم ذلك من أهل الكتاب الذين لقيهم [2].

ولا شك أن أصول الملل المتقدمة واحدة، والشرائع تختلف، والذبح لغير الله مما يناقض التوحيد، والتوحيد أصل متفق عليه عند جميع الأنبياء، "وجميع الأنبياء كانت دعوتهم إلى الإسلام وأصل عبادة الله وحده لا شريك له" [3].

(١) أعلام الحديث ٣/ ١٦٥٨، وينظر الفتح ٧/ ١٤٣.

(٢) نقله الحافظ في الفتح ٧/ ١٤٤.

(٣) من تفسير ابن كثير ٦/ ٢٥٠.

ومما يروى أن الله ﷻ كتب لموسى في الألواح: "ولا تذبح لغيري؛ فإنه لا يصعد إلي قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي "[1].

وتضافرت أقوال كبار الأئمة في التحذير من الذبح لغير الله، وبيان خطورته[2].

ونختم هذا البحث بذكر بعض فتاوى العلماء حول بعض مظاهر الانحرافات العقدية فيما يتعلق بالذبح.

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن من ضمن الأدوية التي يستخدمها بعض الناس للعلاج، هي ذبح شيء من الغنم، أو الدجاج على صدر الإنسان أو رأسه، فما حكم التداوي بهذا؟ فأجابت: يحرم الذبح لغير الله، وقد لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله، وهو من أنواع الشرك، أما التداوي بالطريقة المذكورة في السؤال فمنكر، لا يجوز ولو كان الذبح لله -

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي ٤/ ٢٢٢ رقم ٤٨٥٨.

(٢) ينظر من كتب الأحناف: بدائع الصنائع ٥/ ٤٨، المبسوط، للسرخسي ٤/ ٢٠، وحاشية ابن عابدين ٥/ ١٩٦، ومن كتب المالكية موسوعة شروح الموطأ ١٣/ ١١٦، ومن كتب الشافعية: كفاية الأخبار ٦٤٧، وروضة الطالبين ٢/ ٤٧٤-٤٧٥، ومن كتب الحنابلة: مسائل أحمد، لابنه عبد الله ٢٦٦، وأحكام أهل الملل، للخلال ١٦٤، والمقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٩/ ٤٤٨ و٦/ ٢٨٧.

سبحانه وتعالى-. ولا يجوز التصديق فيما يخبرون به، لكونهم من المشعوذين والدجالين [١].

وسئلت اللجنة -أيضاً- عما يقوله بعض الناس أن رسول الله ﷺ كان يذبح، ويتصدق عن خديجة، وجعلوه حجةً للذبح على الأضرحة، ويقولون بأننا نتصدق عليهم، فهل يجوز؟ فأجابت اللجنة: ليس عمل النبي ﷺ مثل العمل المذكور في السؤال؛ لأنه لم يذبح على الأضرحة ولا تبركاً بالصالحين، إنما ذبحها تقرباً إلى الله، ووزعها في صدائق خديجة -رضي الله عنها- صلة وصدقة. أما المبتدعة فيذبحون على القبور تقرباً إلى من قبر فيها رجاء البركة من صاحب الضريح، وهذا شرك، ولو تصدقوا بلحم الذبيحة [٢].

وسئلت اللجنة عما انتشر عند بعض الناس من الذبح على عتبة المنزل الجديد، وأنه أسباب لدفع العين، وجعل البيت مباركاً، ولتجنب المآسي والحوادث غير المستحبة. فأجابت اللجنة : إذا كانت هذه العادة من أجل إرضاء الجن، وتجنب المآسي والأحداث الكريهة فهي عادة محرمة، بل شرك، وهذا هو الظاهر من تقديم الذبح على النزول بالبيت، وجعله على العتبة

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٠٣-٢٠٤ رقم ٨٠٧١.
(٢)فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٠٦-٢٠٧ رقم ٦٩٤٩.

على الخصوص. وإن كان القصد من الذبح إكرام الجيران الجـدد، والتعـرف عليهم، وشكر الله على ما أنعم بـه مـن السـكن الجديـد، وإكـرام الأقـارب والأصدقاء بهذه المناسبة، وتعريفهم بهـذا المسـكن، فهـذا خـير يحمـد عليـه فاعله، لكن ذلك إنما يكون عادة بعـد نـزول أهـل البيـت فيـه لا قبـل، ولا يكون ذبح الذبيحـة أو الـذبائح عنـد عتبـة البـاب، أو مـدخل البيـت عـلى الخصوص (١).

وسئلت اللجنة أيضاً عما يحصل من الشجار والقتال بين بعض القبائل، فتدخل بينهم قبيلة أخرى، وتذبح عند أحدهم ذبيحة يجتمعون عليها للإصلاح بين المتخاصمين، فما حكم هذه الذبيحة؟ فأجابت اللجنة بأنه إذا لم يكن هناك غرض لذبح الذبيحة عند أحد المتخاصمين إلا الحضور لإجراء الصلح بينهما، ثم الاجتماع على أكلها، فهو عون على إجراء الصلح الذي أمر الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ (٢)، وعلى جمع الكلمة، وإزالة ما في النفوس، وإكرامًا لمن حضر الصلح، وعليه فلا يظهر لنا بأس في ذلك. وبالله التوفيق،

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢١٣-٢١٤ رقم ٩٨٦٧.
(٢) سورة الحجرات ١٠.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم [١].

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/ ٢٢١-٢٢٢ رقم ٤٨٠. وجدير بالذكر أن أبين إجمالا كثرة الأضرحة في العالم العربي التي يحصل فيها بعض مظاهر الذبح لغير الله، ففي مصر أكثر من ستة آلاف ضريح-كما ذكرت د.سعاد ماهر في كتابها: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج١ ص٤٤ .

ومن الأضرحة الكبرى في القاهرة ضريح الحسين، والسيدة زينب، والسيدة سكينة، والشافعي،وخارج القاهرة ضريح البدوي بطنطا، وإبراهيم الدسوقي بدسوق، وأبى العباس المرسي بالإسكندرية، وغيرها.

وفي الشام أحصى عبدالرحمن بك سامي سنة ١٨٩٠م فقط في دمشق وحدها١٩٤ ضريحا،وفي الاستانة عاصمة الدولة العثمانية،كان يوجد فيها٤٨١ جامعًا، لايخلو جامع منها من ضريح،وفي بغداد يوجد أكثر من ١٥٠ ضريحا،وفي الهندأكثر من ١٥٠ ضريحا.وفي معظم مناطق أوزباكستان كثيرمن الأضرحة المنسوبة إلى الصحابة والتابعين والصالحين،وجل هذه الأضرحة يحصل فيها ذبح لغير الله، ولاحول ولاقوة إلا بالله.ينظر:كتاب فسطاط الخرافة... الجذور والواقع للأستاذ خالد محمد حامد-ضمن كتاب دمعة على التوحيد الصادر من المنتدى الإسلامي لندن ص٢٦-٢٨ .

ويجب على المسؤولين والعلماء القيام بواجبهم في الإنكار على هذه المظاهرالشركية من خلال:

١-الدعوة إلى التوحيد، ونشره، وبيان خطورة الشرك ووسائله.وينبغي استعمال جميع الوسائل المتاحة في ذلك، من تأليف كتب ونشرها، أو حوليات، أوصوتيات، أوصحف.كماينبغي أن يغرس في نفوس الطلبة منذ الصغرالتوحيد، وأن الأموات لايملكون من أنفسهم شيئا، وبيان وسائل الشيطان في تزيين الذبح لغير الله، وفضح ألاعيبه، وكشفها، وبيان طرق العلاج منها.

٢-أهميةوضع التعزيرات المناسبة لمن يقوم بالذبح لغير الله.

٣-ضرورة فض الاجتماعات والموالد التي يقام فيها الذبح لغير الله.وضرورة أن يعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد في المجتمعات المولعة بتعظيم القبور والأماكن البدعية والغلو فيها، وأن يجتهدوا في تجلية مفهوم التوحيد من خلال القصص القراني، وضرب الأمثال،وضرورة تعلق القلب بالله،وأن الله وحده هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير،ومن ثم فهوالمألوه المعبود الذى تألهه القلوب محبة وإجلالا وخشية ورجاء.

وأن يضمن هذا التقرير بيان عجز الخلق وضعفهم،وأنهم لايملكون لأنفسهم-فضلا عن غيرهم-ضرا ولا نفعاً، ولاموتاً ولاحياةً ولانشوراً.

كماينبغي أن تخاطب عقول هؤلاء القوم،ويدعون إلى التفكير والتأمل،فإن الولوع بالذبح لغير الله لايظهر إلاعند قوم ألغوا عقولهم،وعطلوا تفكيرهم،وأشربوا حب التقليدومحاكاة الاباء دون حجة أوبرهان.نسأل الله أن يثبتنا على التوحيد،وأن يعصمنامن الشرك ووسائله،وأن يهدي كل من ضل عن السبيل.إنه سميع مجيب.

فهرس الموضوعات

مَوْقِفُ فِرَقِ البَاطِنِيَّةِ

مِنَ اليَوْمِ الآخِـرِ

إعداد الدكتور

عبد القادر بن محمَّد عطا صوفي

أستاذ مشارك في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين

في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مُقَدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد :"فإنَّ الله ﷻ عَلِمَ ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتباين العقول والأخلاق؛ حيث خُلِقُوا من طبائع ذات تنافر، وابتُلوا بتشعُّب الأفكار والخواطر ، فبَعَثَ الله الرسل مبشِّرين ومنذرين، ومبيّنين للإنسان ما يُضلّه ويهديه ، وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه" (١) .

وبعث الله نبيَّنا محمَّدًا ﷺ بالهدى ودين الحقّ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً. أرسله ربُّه ﷻ على حين فترةٍ من الرسل، ودروس من الكتب؛ حين حُرِّف الكَلِم، وبدِّلت الشرائع، واستند كلّ قومٍ إلى أهوائهم وآرائهم، ليُخرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور. فأشرقت الأرض برسالته ﷺ بعد ظلمتها، وتألَّفت بها القلوب بعد شتاتها وتفرُّقها، وفُرِّق بين الحقّ والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغيّ، والصدق والكذب، والمعروف والمنكر، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء. ولم يمت رسولنا ﷺ حتى بيَّن للنَّاس جميع

---

(١) من مقدِّمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لكتاب: تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل ـ كما في العقود الدرية لابن عبد الهادي ص ٢٩-٣٠ ـ .

ما يحتاجون إليه، فتركهم على مثل البيضاء ليلُها كنهارهـا ، لا يزيـغ بعـده عنها إلا هالك[١] .

واعتصم أصحابه ﷺ من بعده بكتاب ربِّهم ، وسنَّة نبيِّهم ، فكان ذلـك حائلاً بينهم وبين الوقوع في التنازع والتفرُّق المذموم .

ثمَّ بـدأت البـدع بـالظهور ، واشرأبَّـت رؤوس أصـحابها ، وظهـرت الفرق المخالفة للكتاب والسنَّة ، تصديقاً لخبر المعصوم ﷺ الذي أخبر عن تفرُّق أُمَّته[٢] .

وقد أورد أصحابُ هذه الفرق المُحدَثة على النَّـاس شـبهات، بكلـمات متشابهات، خدعوا بها جُهَّال النَّاس ، فأوقعوا الكثير منهم في حبائلهم .

(١) يقول ﷺ:"تركتكم على مثل البيضاء ليلُها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك". والحديث صحيح –كما قال الشيخ الألباني / في تعليقه على كتاب السنة لابن أبي عاصم–، أخرجه ابن أبي عاصم في كتـاب السـنَّة ١/ ٢٧. وابـن ماجـه في السـنن ١/ ١٦. وأحمـد في المسـند ٤/ ١٢٦. والحاكم في المستدرك ١/ ٩٦.

(٢) كما في حديث معاوية رضي الله عنه ، قال : ألا إنَّ رسول الله خ قـام فينـا فقـال : " ألا إنَّ مَـنْ قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملَّة ، وإنّ هذه الأمـة سـتفترق عـلى ثـلاثٍ وسبعين؛ ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنَّة؛ وهي الجماعة" .. الحديث أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٥، كتاب السنَّة، باب شرح السـنَّة، حـديث ٤٥٩٧. وأحمـد في المسـند ٤/ ١٠٢، مسند الشاميّين، ح ١٦٣٢٩. والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨، كتاب العلم، وقال بعدما سـاق هذا الحديث، وحديث أبي هريرة : "هذه أسانيد تُقام بها الحجـة في تصـحيح هـذا الحـديث". ووافقه الذهبي .

ولم يقف علماء الأمَّة من هذه الفرق موقف المتفرِّج ، بل أخذوا يُظهرون عوارها، ويُبيِّنون ضلال أصحابها، ويدعون الضالّ التائه إلى الهدى ، ويصبرون من المخالفين لهم على الأذى، ويُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى .

وتتابعت الفرق المحدَثة بالظهور ، وأخذت المذاهب الهدَّامة ، والتيارات الإلحادية تغزو بلاد المسلمين في عقر دارهم ، لا سيّما في هذا العصر الذي تكالبت فيه الأمم وتداعت الشعوب -من كلّ حدبٍ وصوبٍ- على المسلمين .

ومن هنا برزت أهميَّة دراسة تلك الفرق والتيارات ، ومعرفة أخطارها على أمَّة محمَّد ﷺ ، بل على البشرية جمعاء .

فأعداء المسلمين يعملون على نشر الأفكار، والاتجاهات، والمذاهب، والديانات الباطلة بين المسلمين. والمسلمون إن لم يُبصَّروا بهذا كلِّه، ويعلموا ما يدور حولهم، ويُخطَّط لهم ، ويُنشَر بينهم من الآراء والاتجاهات الضالَّة ، وإن لم يُعطوا العلاج الناجع المتمثِّل في العقيدة الصافية التي تُحصّنهم ـ بإذن الله ـ ممَّا يُخالفها ، يُخشى عليهم أن يقعوا في شباك أعدائهم ، فيخسروا دينهم ودنياهم .

وما هذا البحث إلاَّ محاولة ـ من محاولات كثيرة ـ لتنبيه المسلمين ، وتبصيرهم بمعتقدات أعدائهم .

والحديث عن موقف فرق الباطنيَّة من اليوم الآخر، يستلزم بيان منزلة الإيمان باليوم الآخر من دين الإسلام، مع التعريف بالباطنية، وبيان ضررها على الإسلام والمسلمين . وهذا ما سأوضّحه في التمهيد إن شاء الله تعالى .

تمهيد

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : منزلـة الإيـمان بـاليوم الآخـر مـن ديـن الإسلام .

المبحث الثاني : التعريف بفرق الباطنيَّة ، وبيان ضررهـم على الإسلام والمسلمين .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : معنى الباطنية لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني : سبب تسميتهم بالباطنيَّة

المطلب الثالث : ضرر الباطنيَّة على الإسلام والمسلمين

المطلب الرابع : أشهر فرق الباطنية

المبحث الأول

منـزلة الإيمان باليوم الآخر من دين الإسلام

الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره هي أركان الإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور، الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وفيه قوله: حَدَّثَنِي أَبِي؛ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ،وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** » . **قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ؟ قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ : «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: « يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ**

يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١]. **وكما في الرواية الأخرى عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّـاسِ، إِذْ أَتَـاهُ رَجُـلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الإِيـمَانُ؟ قَـالَ: «الإِيـمَانُ أَنْ تُـؤْمِنَ بِـاللهِ وَمَلاَئِكَتِـهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»** .. الحديث[٢] .

وكما جاء في حديث علي بن أبي طالب ﷺ، قـال: قَـالَ رَسـولُ اللهِ ﷺ : **«لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ »**[٣] .

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم "لايؤمن" نفي أصلِ الإيمان عمَّن لم يؤمن بأركان الإيمان، ومنها الموت، والبعث بعد الموت، وغير ذلـك ممَّـا يشمله التصديق باليوم الآخر؛ من الحساب، والثواب والعقاب، والجزاء، والميزان، والجنَّة ونعيمها، والنَّار وأهوالها،وغير ذلك.

والإيمان بـاليوم الآخـر إيـمانٌ بمغيَّـبٍ، مبلـغُ العقـل فيـه، أو دوره أن يعترف بإمكانه. أمَّا وقوعه وتحقُّقه بالفعل، فمردُّ ذلك وسنده إلى الخبر .

---

(١) صحيح مسلم ، ١/ ٣٦-٣٨ ، كتاب الإيمان ، باب : الإسلام والإيمان والإحسان ، ح ٨.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ٣٣، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام ، ح ٥٠ .

(٣) جامع الترمذي، ٤/ ٤٥٢، كتـاب القـدر، بـاب مـا جـاء في الإيـمان بالقـدر خـيره وشرّه، ح ٢١٤٥. وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي٣/ ٢٠١: وحديث عليّ هذا رجاله رجال الصحيح .

والمؤمن الحقّ يعترف بوقوعه، ويؤمن بتحقّقه؛ لأنَّ الخبر عنه صادرٌ من صادقٍ مقطوعٍ بصدقه، مجزومٍ بصحَّة خبره. ((ولذلك كان الإيمان بالغيب هذا تصديقاً للنبيّ ﷺ ، وتصديقاً للقرآن الكريم، وإيماناً بوحي السماء ؛ ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾[الفرقان:٦]. ومن هنا كانت أول الصفات الخمس التي امتدح الله بها عباده المتقين، ووعدهم عليها بالفوز والفلاح ، وكانت آخر هذه الصفات أيضًا –كما جاء في صدر سورة البقرة كبرى سور القرآن– هي الإيمان بالغيب ، والإيقانُ بالدار الآخرة))[1] .

والحقُّ أنَّ الإقرار بالبعث مطابقٌ للفطرة ، ولا يُشكِّل تناقضاً عقليًّا .

أمَّا إنكار البعث وجحوده ، فهو المخالف للفطرة ، وهو الذي يشكِّل التناقض ، ويُصوِّر هذه الحياة على أنَّها مسرحية هزليَّة ، أو لعبة ، أو لهوٌ .

وهي ليست كذلك قطعًا ؛ إذ الإنسان وجد لغاية ، وهو محاسبٌ ، يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون:١١٥].

ولقد جاءت الغالبيَّة العظمى من آيات القرآن الكريم وسوره تؤكِّد طلب الإيمان بالبعث ، وتطلب من المؤمنين العمل والاستعداد، وتستأصل شأفة الشُّبَه التي تستبعد تحقّقه وصدقه ووقوعه . بل ما من نبيٍّ

(١) ثمرات الإيمان بالله واليوم الآخر ، للشيخ الغزالي خليل عيد ، ص ٢٥٠ .

من الأنبياء ولا رسولٍ من الرُّسل، إلا وركَّز في دعوته على الإيمان بالله واليوم الآخر، وغير ذلك من أركان الإيمان .

وإنكار اليوم الآخر سببٌ في الاستهانة بالأوامر والنواهي ، والمرتاب في الثواب والعقاب ، والمنكر للجزاء والحساب على الأعمال يُقدِم على فعل الفواحش دون وازعٍ أو رادعٍ ؛ فلا نيران تدفعه ، ولا صراطَ يمنعه، ولا جحيم تُحجمه ، ولا جنَّة تُقدِمُه . فتراه منكبًّا على المعاصي ، غارقاً في الموبقات ، مسارعاً إلى ارتكاب المنهيات ؛ لأنَّ اليوم الذي سيُحاسب فيه لا وجود له في ضميره .

وإذا نسيَ العبد ، أو لم يؤمن –كما هو دين الباطنية– أنَّ وراء هذه الدنيا حياةً دائمةً، وأنَّ بعد هذه الأعمال جزاءً عادلاً ، فإنَّه ينساق وراء شياطين الإنس والجنّ ، ويستبيح هتك المحرَّمات ، ويحتكم إلى الأهواء والرغبات، وينطلق في دروب الشهوات والمنكرات ، ويعيش باغياً ، طاغياً، لا يعرف للضعيف حقًّا ولا مرحمة، ويحيا ذليلاً خانعاً، لا يعرف لنفسه عزًّا ولا كرامة . فحاله كحال الحيوانات، بل إنَّه أحطّ منها، ومجتمعه –إن كان على مثل رأيه– أشبه بغابة الوحوش، وشريعته التي يُطبّقها أقرب ما تكون إلى شريعة الغاب . إنَّ هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء أضرى من الحيوانات الكاسرة ، وأشرس من الكلاب المسعورة؛ يَلِغُون في الدماء، ويخوضون في الخبائث والأقذار، ويَرَوْنَ أنَّ هذه هي متعتهم التي إن فاتتهم فلن تُسْتَعَاض .

المبحث الثاني

التعريف بالباطنية وبيان ضررهم على الإسلام والمسلمين

وفيه مطالب :

المطلب الأول : معنى الباطنيَّة لغةً واصطلاحاً :

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعريف الباطنيَّة لغـةً :

الباطنيَّة في اللغة مأخوذة مـن البـاطن؛ وهـو داخـل كـلّ شيء ، وهـو عكس الظاهر . والبطن خـلاف الظَّهْـر . يُقـال: بَطَـنَ الشيـءُ بُطونـاً، إذا خَفِيَ. وبَطَنْتُ الأمرَ، إذا خَبَرْته وعرفت باطنه . وأنت أبْطَنُ بهـذا الأمـر: أي أكثر به خبرة، وأطول له عشرة. وهـو بطـانتي، وهـم بطـانتي، وأهـل بطانتي ؛ أي خاصَّتي[1] .

المسألة الثانية : تعريف الباطنيَّة اصطلاحاً :

الباطنيَّة اصـطلاحاً : طائفـة ذات آراء وأفكـار ، يجمعهـم القـول بـأنّ لظواهر النصوص؛ "من الكتـاب والسـنَّة" بـواطن ، تجـري في الظـواهر

---

(١) انظر من كتب اللغة : الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٧٩-٢٠٨٠ . وأساس البلاغـة للزمخشري ص ٤٣ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥٢٣-١٥٢٤ . والمعجم الوسيط لعدد من المؤلفين ص ٦٢ .

مجرى اللبّ من القشر ، وأنَّها بصورها توهم عند الجهَّال الأغبياء صوراً جليَّةً ، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معيَّنة[1] .

المطلب الثاني: سبب تسميتهم بالباطنيَّة :

"الباطنيَّة" لقبٌ عامٌّ تشترك فيه كلّ الفرق والطوائف التي تقول بأنّ لظواهر النصوص الشرعيَّة بواطن، يجب الأخذ بها، وترك الظواهر، ويقولون: إنّ من ارتقى إلى علم الباطن، انحطّ عنه التكليف، واستراح من أعبائه .

ويزعمون أنَّهم المرادون بقول الله ﷻ:﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ((وربَّما موَّهوا بالاستشهاد عليه بقولهم: إنَّ الجُهَّال المنكرين للباطن هم الذين أُريدوا بقوله تعالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝ ﴾ [الحديد : ١٣] . وغرضهم الأقصى: إبطالُ الشرائعِ ؛ فإنَّهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهرِ، قَدَروا على الحكم بدعوى الباطن، على حسب ما يُوجب الانسلاخ عن قواعد الدين؛ إذ سقطت الثقةُ بموجب الألفاظ الصريحة، فلا يبقى للشرع عِصامٌ يُرجَعُ إليه، ويُعَوَّلُ عليه))[2] .

---

(١) انظر فضائح الباطنيَّة لأبي حامد الغزالي ص ١١ .
(٢) فضائح الباطنيَّة للغزالي ص ١٢ .

والباطنيَّة إنَّما سُمُّوا بهذا الاسم لسبب. وعبارات العلماء تنوَّعت في بيان هذا السبب:

(١)- فقيل : إنَّما سُمُّوا باطنيَّة لقولهم إنَّ لنصوص الشريعة ظهراً وبطناً ، وأنَّ الخواصّ -يعنون أنفسهم- هم الذين ينظرون إلى بواطن النصوص، ويأخذون بها، أمّا الجهَّال الأغبياء -على حدّ تعبيرهم- فهم الذين يقتصرون على الظواهر، ويغفلون عن النظر في البواطن(١) .

(٢)- وقيل : إنَّما سُمُّوا باطنيَّة لكونهم يكتمون معتقداتهم عن النَّاس. فالباطنيُّ هو الذي يكتم اعتقاده ، فلا يُظهره إلاّ لمن يثق به(٢) .

(٣)- وزعم الباطنيَّة -أنفسهم- أنَّهم إنَّما سُمُّوا بهذا الاسم لكونهم المختصِّين بمعرفة أسرار الأشياء وخواصِّها، والفاهمين للإشارات والرموز التي تدلّ عليها النصوص(٣) .

والناظر في أسباب التسمية هذه ، يجد أنَّ السبب الثالث منها مجرّد دعوى من الباطنيَّة أنفسهم ، تفتقر إلى الحجَّة والبرهان :

والدعاوى إن لم يُقيموا عليها بيِّنات ، أبناؤها أدعياء

(١) المصدر نفسه .
(٢) انظر المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ٢/ ١٩٤ .
(٣) انظر : فضائح الباطنيَّة للغزالي ص ١١ . والمعجم الفلسفي لصليبا ٢/ ١٩٤ .

وكذا من نظر في السبب الثاني ، لم يُسلَّم بـه عـلى إطلاقـه؛ إذ الرافضـة يكتمون معتقداتهم ، ويُخفونها ، ولا يُبدونها إلاّ لمن يثقون فيه –وهـو ديـنٌ عندهم– ولا يُطلق عليهم باطنيَّة باتفاق علماء الفرق والمذاهب .

أمَّا السبب الأوَّل، فهو أولى هذه الأسباب بالصواب؛ إذ الباطنيَّة لقـبٌ عامٌّ مشتركٌ، يندرج تحته مـذاهب، واتجاهـات لطوائـف وفـرق مختلفـة ، القاسم المشترك فيما بينها، أو الصفة العامَّة التي تغلب عليها هـي: تأويـل النصّ الظاهر بالمعنى البـاطن تـأويلاً يـذهب مـذاهب شـتَّى، قـد يصـل بالمذاهب الباطنيَّة التي تُعمِل التأويلَ في النصِّ إلى حدِّ التناقض فيما بينهـا، بحيث تُصبح الفرق الباطنيَّة خارجة عن ملَّة الإسلام، بل فرقاً مـن فـرق الكفر . يقول عبد الرحمن؛ ابـن الجـوزي[1] رحمـه الله : ((وأمَّـا تسـميتهم بالباطنيَّة: فإنَّهم ادَّعوا أنَّ لظواهر القرآن والأخبار بواطن ، تجـري مجـرى اللبّ من القشر ، وأنَّهـا تُـوهم الأغبيـاء صـوراً ، وتُفهـم الفطنـاء رمـوزاً وإشارات إلى حقائق خفيَّـة ، وأنَّ مـن تقاعـد عـن الغـوص عـلى الخفايـا والبـواطن متعثـر ، ومـن ارتقـى إلى علـم البـاطن انحـطَّ عنـه التكليـف واستراح من أعبائه))[2] .

---

(١) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد، المعروف بابن الجـوزي. محـدّث حـافظ، ومفسّر، وواعـظ، وفقيه. ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ، وبها توفي سنة ٥٩٧هـ. لـه تصـانيف كثـيرة جـدًّا . (انظـر: البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٨. وشذرات الذهب لابن العماد ٤/ ٣٢٩. ومعجم المـؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/ ١٥٧) .

(٢) القرامطة لابن الجوزي ص ٣٦-٣٧ .

فالنصوص عند الباطنيَّة رموز وإشارات إلى حقائق خفيَّة، وأسرار مكتوبة ، يجب عليهم أن يَنْفَذُوا إلى معانيها المستورة ، التي هي من شأن العلم الحقّ عندهم ؛ أعني علم الباطن . أمَّا عامَّة النَّاس –عندهم– : فهم الذين يقفون أمام الظواهر والقشور ، ويقنعون بها[(١)] .

المطلب الثالث: ضرر الباطنيَّة على الإسلام والمسلمين :

الحديث عن ضرر الباطنيَّة على الإسلام والمسلمين يستلزم الاطلاع على بعض أهدافهم الخفيَّة أولاً، ومن ثمّ بيان خطرهم على المجتمع عامَّة، وعلى الدين الإسلامي وأهله على وجه الخصوص .

فالغرض من إقامة هذا المذهب :

هو هدم الإسلام، أو –على الأقلّ– زعزعة المعتقد في نفوس المسلمين، كي يتمكَّن أهل هذا المذهب من إظهار الإلحاد بدلاً من التوحيد ؛ عن طريق التأويلات الباطنيَّة للنصوص، لا سيّما ما يتعلَّق منها بالمعاد، والحلال والحرام ؛ وإشاعة الإباحيَّة ، ونشر الجريمة بين النَّاس بانتزاع فكرة العذاب الأُخروي من نفوسهم[(٢)] .

---

(١) انظر: مروج الذهب للمسعودي ٤/ ٦٦. وفضائح الباطنيَّة للغزالي ص ٥٦ . والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ٨١، ٨٢. وكتاب "الشيعة. المهدي. الدروز" للدكتور عبد المنعم النمرص١١٩-١٢٢. والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد ص٧٨

(٢) انظر : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة لعبد الله الأمين ص ٤٧ .

وقد أشار إلى هذا الهدف : فخر الدين الرازي[١] بقوله –مخبراً عن فرق الباطنيَّة – : ((ومقصودهم على الإطلاق: إبطال الشريعة بأسرها، ونفي الصانع))[٢] .

وإلى هذا الهدف أشار أيضاً الأستاذ محمود شاكر –في معرض حديثه عن القرامطة كواحدة من فرق الباطنية–، بقوله: ((تقوم حركة القرامطة على غاية أساسيَّة، وهي القضاء على الإسلام بعد تسلُّم الحكم والانتهاء من دولته..))[٣] .

وذكرت الأستاذة نظلة الجبوري أنَّ الغلاة –والباطنيَّة منهم– يهدفون ((إلى مقاومة الإسلام ومحاولة هدمه من الداخل، بعمل منظَّم ومرتَّب دقيق، تحت ستار التظاهر بالإسلام))[٤] .

ونقل عبد الحسين مهدي العسكري قولاً لأحدهم، يوضِّح من خلاله هدف الباطنيَّة الأساسيّ : ((إنِّي أضيق بدين محمَّد ، وليس عندي جيش

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي . أشعريّ المعتقد . ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ . (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٨١-٣٨٥ . وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٥٠٠-٥٠١) .

(٢) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٠٦ .

(٣) القرامطة للأستاذ محمود شاكر ص ٨ .

(٤) حركة الغلو لنظلة الجبوري ص ١٨ .

أُحارب أهله به ، وليس لديّ مال ، ولكنِّي في الحيلة طويل الباع ، بحيث إذا لقيتُ عوناً من أحدٍ قلبتُ دين محمَّد رأساً على عقب ..))[١] .

فالغرض من إنشاء المذهب الباطنيّ –إذاً– هو هدم الإسلام ، فإن لم يستطيعوا هدمه، فلا أقلّ من أن يزرعوا الشكّ والريب في عقول المسلمين.

من أجل ذلك اجتمعوا على تكوين مذهب يجمع كلّ ما في الفرق الأخرى من أباطيل، ورأوا أن يدخلوا إلى الإسلام من طريق التشيُّع؛ إذ التشيُّع باب واسع ، يدخل منه كلّ طامع في هدم الإسلام ؛ فتواصوا فيما بينهم على أن تكون أكثر مسالكهم مع النَّاس : التظاهر بالتشيُّع على مذهب الرافضة ، وإن كان هؤلاء الباطنيَّة يعتبرون الرافضة أيضاً على ضلال ، إلا أنَّهم رأوا أنَّهم أكثر قبولاً لما يُلقى إليهم من الروايات الواهية الكاذبة ؛ فتستروا بالانتساب إليهم ظاهراً ، فكان ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض ؛ كما نصّ على ذلك عددٌ من العلماء[٢] .

أمَّا عن خطر هذا المذهب على المجتمع ، فقد قدَّمت الحركات الباطنيَّة إلى المجتمع سموماً خطيرةً ، وفكراً هدَّاماً كان له الأثر الكبير في إثارة الشكوك ، وزلزلة المعتقدات في النُّفوس . ومن ذلك :

---

(١) العلويون أو النصيرية للعسكري ص ٢٢ .

(٢) انظر : فضائح الباطنيَّة لأبي حامد الغزالي ص ٣٧. والقرامطة لابن الجوزي ص ٥٧. ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ١٥٢ . والقرامطة لمحمود شاكر ص ٢٨-٣٨ .

١ – حين ادَّعى الباطنيَّة أنَّ لكلّ شيء ظاهراً وباطناً ، ولكلّ تنزيل تأويلاً ظاهره غير مراد : شكَّكوا النَّاس في ظواهر التنزيل .

٢ – قدَّموا للعقيدة مفهوماً مغايراً لمفهوم التوحيد الإسلاميّ ، فصدُّوا النَّاس عن اعتناق الدين الحقّ .

٣ – دعوا إلى إسقاط التكاليف الشرعيَّة ، والفروض الدينيَّة .

٤ – دعوا إلى إباحة شرب الخمر، وانتهاب اللذات، والانغماس في الشهوات، وإباحة نكاح البنات والأخوات .

٥ – قدَّموا نظرية الشيوعيَّة المطلقة في النساء والأموال،ونشروا الإباحيَّة –وغيرها من الشرور– بين النَّاس .

وضرر الباطنيَّة على الإسلام والمسلمين لا يخفى على ذوي الألباب، وقد تنبَّه له العلماء الأجلاَّء فكتبوا تحذيرات مدويَّة، طامعين في تنبيه الجميع إلى الخطر المحدق بهم من هذه الطائفة الضالَّة . وها أنذا أسوق مقتطفات من أقوالهم :

١ – فمنها قول عبد القاهر البغدادي[1] : ((إنَّ ضرر الباطنيَّة على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنَّصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم

(١) هو عبدالقاهر بن طاهر، أبو منصور البغدادي . أشعريّ، له تصانيف في النظر والعقليَّات، منها أصول الدين . توفي سنة ٤٢٩هـ . (انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٣٦–١٤٨ . وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٥٧٢–٥٧٣) .

من مضرَّة الدهريَّة وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجَّال الذي يظهر في آخر الزمان ؛ لأنَّ الذين ضلُّوا عن الدين بدعوة الباطنيَّة من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا ، أكثر من الذين يضلّون بالدجَّال في وقت ظهوره ؛ لأنَّ فتنة الدجَّال لا تزيد مدّتها عن أربعين يوماً، وفضائح الباطنيَّة أكثر من عدد الرمل والقطر))[1] .

٢- وقد أطلق الإمام أبو المظفَّر الاسفرايني[2] صيحة تحذيريّة مشابهة لصيحة البغدادي ، جاء فيها : ((الباطنيَّة وفتنتهم على المسلمين شرٌّ من فتنة الدجَّال ؛ فإنّ فتنة الدجَّال إنَّما تدوم أربعين يوماً ، وفتنة هؤلاء ظهرت في أيام المأمون ، وهي قائمة بعد))[3] .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٢ .

(٢) هو طاهر بن محمد، ويُقال: شهفور بن طاهر. ترجم له ابن عساكر في "تبيين كذب المفتري"، وعدَّه من رجال الطبقة الرابعة من الأشاعرة . وهو موافق لابن كلاب في معتقده. توفي بطوس سنة ٤٧١هـ. (انظر: طبقات الشافعيَّة للسبكي ٣/ ١٧٥. وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٧٦. والأعلام للزركلي ٣/ ١٧٩) .

(٣) التبصير في الدين للاسفرايني ص ١٢٣ .

وهذه مجازفة من عبدالقاهر البغدادي /، ومن أبي المظفّر الاسفرايني / ، ورجمٌ بالغيب . ففتنة الدجّال أعظم فتنة تمرّ على المسلمين. ولقد كان رسولنا خ يستعيذ بالله لأ من فتنة المسيح الدجّال ، ويأمر بذلك ؛ فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ قالت : كان رسول الله خ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ ». صحيح البخاري، ١/ ٢٦٨، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام،ح ٨٣٢، وصحيح مسلم ، ١/ ٤١١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح ٥٨٩. وسمّى خ فتنة الدجّال فتنةَ الدنيا ؛ كما في الحديث الذي أخرجه

وأبو المظفَّر رحمه الله (ت ٤٧١هـ) تكلَّم في زمانه –قبل نحو ألف سنة– ، فكيف لو علم أنَّ فتنتهم ستستمرّ بعد زمانه إلى يومنا هذا ؟! بل كيف إذا علم أنَّهم تمكَّنوا من رقاب المسلمين في بعض البلاد ، بل وتحكَّموا في أجسادهم ، وعملوا على توجيه أفكارهم ، وتشويه معتقداتهم من خلال ما يُدرِّسونه لأبنائهم ؟! نسأل الله السلامة والعافية .

وبنحو قول الإمامين المتقدّمين عن الباطنيَّة ، جاء قول فخر الدين الرازي ؛ الذي قال في معرض حديثه عن هذه الطائفة: ((اعلم أنَّ الفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفيّ أكثر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار. وهم عدّة فرق، ومقصودهم على الإطلاق: إبطال الشريعة بأسرها، ونفي الصانع. ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقبلة، إلاّ أنَّهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء، ولا بالآخرة))[1] .

البخاري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ، قال : كَانَ سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِي خ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » . صحيح البخاري، ٤/ ١٦٥، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، ح ٦٣٦٥ . وعلّق عليه الحافظ ابن حجر / بقوله: (وفي إطلاق الدنيا على الدجّال إشارة إلى أنّ فتنة الدجّال أعظم الفتن الواقعة في الدنيا) . (فتح الباري ١١/ ١٧٩).

(١) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٠٦ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] : عن فرق الباطنيَّة –ومنهم النصيريَّة–: ((هؤلاء القوم المسمُّون بالنصيريَّة ، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنيَّة أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثيرٍ من المشركين، وضررهم على أمَّة محمَّد ﷺ أعظم من ضرر الكفَّار المحاربين؛ مثل كفَّار التتار والفرنج وغيرهم؛ فإنَّ هؤلاء يتظاهرون عند جهَّال المسلمين بالتشيُّع وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ، ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمرٍ، ولا نهي ، ولا ثوابٍ، ولا عقابٍ، ولا بجنَّة، ولا نارٍ، ولا بأحدٍ من المرسلين قبل محمَّد ﷺ، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين، يتأوَّلونه على أمورٍ يفترونها ، يدَّعون أنَّها علم الباطن ..))[٢] ، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وهذه التحذيرات التي سطَّرها الأئمة بيراعهم لم تنطلق من فراغ ، أو تحامل على أولئك الطغمة ، وإنَّما قالوها عن علمٍ ومعرفة بحالهم ، وفهم وإدراك لمذهبهم ، واطلاع وسماع لأخبارهم ، ووقوف على بعض مخططاتهم .

---

(١) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن مجد الدين أبي البركات عبدالسلام ؛ ابن تيمية الحراني . شيخ الإسلام وعلم الأعلام . توفي سنة ٧٢٨هـ. (انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٨٩. والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ص ٣٨) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٤٩–١٥٠ .

والتاريخ يشهد بصحَّة ما قالوا، وهو يُخبرنا عن خطر أولئك الباطنيَّة، وعن الضرر الذي ألحقوه بالمسلمين خلال القرون الماضية ، فلماذا نذهب بعيداً ؟!

خذوا القرامطة[1] –وهي إحدى فرق الباطنيَّة- كمثال ، وتأمَّلوا ما فعلوه حين صارت لهم دولة في البحرين : كيف سفكوا الدم الحرام ، وأكلوا المال الحرام ، وقطعوا السبل، وأغاروا على الحجيج، فسلبوهم أرواحهم، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأتوا مكَّة المكرَّمة في أيام الحجّ، فقتلوا في صحن الكعبة قرابة مائة ألف حاج ، وجلس أميرهم النجس، الملقَّب بـ"أبي طاهر" ؛ سليمان بن أبي سعيد الجنَّابي ((على باب الكعبة، والرجال تُصرَع حوله في المسجد الحرام ، في الشهر الحرام ، ثمّ في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيَّام ، وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا   يخلُق الخلقَ وأُفنيهم أنا

(١) كانت شكلاً من أشكال الإسماعيليَّة في حقبة من الزمان . سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط الذي دخل في دعوة الإسماعيلية على يد عبدالله بن ميمون القدَّاح المجوسيّ –مؤسّس الدعوة الباطنية- . وقد قام حمدان بأمر الدعوة إلى الإسماعيلية في سواد العراق، واتخذ في سواد الكوفة قرية بنى حولها سورًا منيعًا، وجعلها دار هجرته، ونقل إليها أتباعه سنة ٢٧٧هـ، فتحصّنوا بها ، وسُمُّوا بالقرامطة . (انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٢. وفضائح الباطنية للغزالي ص ١٢-١٤ . والقرامطة لابن الجوزي ص ٣٨-٤٧. والبداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٣٧-٣٨) .

فكان النَّاس يفرّون، فيتعلَّقون بأستار الكعبة، فلا يُجدي ذلك عنهم شيئاً، بل يُقتلون وهم كذلك، ويطوفون ، فيُقتلون في الطواف ... ثمّ أمر القرمطي –لعنه الله– أن تُدفن القتلى ببئر زمزم... وهدم قُبَّة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة ، ونزع كسوتها عنها ، وشقَّقها بين أصحابه ... ثمّ أمر بأن يُقلع الحجر الأسود، وجاءه رجلٌ، فضرب الحجر بمُثَقَّلٍ في يده، وقال : أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجِّيل ؟ ثمّ قلع الحجر الأسود ...))[1] إلخ .

وهذا قليلٌ من كثيرٍ ممَّا فعله القرامطة الباطنيّون بالمسلمين ، وكتب التاريخ خير شاهدٍ على جرائمهم الشنيعة .

وبإلقاء نظرة فاحصة على تاريخ النصيريَّة –إحدى فرق الباطنيَّة– ، يتبيَّن عمق الصلة التي ربطتهم بأعداء المسلمين ؛ فقد كانوا مع كلّ عدوّ للإسلام ، في كلّ وقتٍ وحين ؛ فهم في أيَّام الحروب الصليبيَّة أعظم أعوان النصارى على المسلمين ، إذ لم يستول الصليبيُّون على السواحل الشاميَّة إلاّ من قبلهم .

ولم يدخل التتار بلاد المسلمين إلاّ بمعونة الباطنيَّة ، وتحريضهم .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٣٧–٣٨. وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٧ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/ ٢٠٣–٢٠٤ . وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٧٩ . ومقدمة محمد الصباغ على كتاب القرامطة لابن الجوزي ص ١٧–١٨ .

ولا مانع من إيراد قـول أحد الأئمة الثقات، وشيخ المشـايخ الأثبـات؛ شيخ الإسلام ابـن تيميـة ، الـذي كـان خبـيراً بمعتقـداتهم، مطلعـاً عـلى تاريخهم، واقفاً على كثير من مخازيهم وفضائحهم، ومـمَّا قاله عنهم: ((فـإذا كانت لهم مكنة ، سفكوا دماء المسلمين ؛ كما قتلوا مرة الحجاج ، وألقوهم في بئر زمزم ، وأخذوا مرَّة الحجر الأسود ، وبقي عندهم مدَّة ، وقتلوا مـن علماء المسـلمين ومشـايخهم مـا لا يحصيـ عـدده إلا الله تعـالى ... -إلى أن قـال:- ومـن المعلـوم عنـدنا أنَّ السـواحل الشـاميَّة إنَّـما اسـتولى عليهـا النصارى من جهتهم، وهـم دائـماً مـع كـلّ عـدو للمسـلمين ؛ فهـم مـع النصارى على المسلمين . ومن أعظـم المصـائب عنـدهم : فـتح المسـلمين للسواحل ، وانقهار النصارى ؛ بل ومن أعظم المصائب عندهم : انتصـار المسلمين على التتار . ومن أعظم أعيادهم إذا استولى -والعياذ بالله تعالى- النصارى على ثغور المسلمين ...ـ إلى أن قال: ـ ثمّ إنّ التتار ما دخلوا بلاد الإسـلام ، وقتلوا خليفة بغداد ، وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم ..))[١] .

فهم من أشـدّ الطوائـف عـداءً للإسـلام والمسـلمين ، ومـذهبهم مـن أخبث المذاهب، ولهم وقائع مشهورة في معـاداة الإسـلام وأهلـه، يضـيق المكان عن ذكرها ، ومحلّها كتب التواريخ التـي كانـت ولا زالـت شـاهدة على خطر الباطنيَّة على الأمة المحمَّدية.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٥٠-١٥٢ .

وهذا الذي أوردته غيضٌ من فيضٍ ممَّا ذُكِر في كتب التاريخ عن أولئك الباطنيَّة الطغام، وفضائحهم أخزاهم الله تعالى.

المطلب الرابع: أشهر فرق الباطنيَّة.

تقدَّم أن الباطنيَّة سُمُّوا بهذا الاسم لقولهم: إنَّ نصوص الشريعة لها ظهرٌ وبطنٌ، وأنَّهم يأخذون بباطن النصّ، بخلاف الآخرين الذين يقتصرون على الظواهر، ويغفلون عن النظر في البواطن.

ونتيجة مقولتهم هذه: أنكروا المعاد، والثواب والعقاب، والجنَّة والنَّار، وأوَّلوا التكاليف الشرعيَّة تأويلاً باطنياً موافقاً لأهوائهم، وأباحوا المحرَّمات، ودعوا إلى انتهاب اللذَّات، والانغماس في الشهوات.

وليست الباطنيَّة فرقة مستقلّة بذاتها، وإنَّما هي طائفة يندرج تحتها عددٌ من الفرق، يجمعها القول بالظاهر والباطن.

وهذه الفرق، وإن اتحدت في قولها: إنَّ لنصوص الشريعة ظاهراً وباطناً، وخَصَّت نفسها بعلم الباطن،إلاَّ أنَّها تختلف فيما بينها في مسائل كثيرة وهامَّة، تُعدّ من أُسِّ العقيدة. ولعلّ من أشهر فرق الباطنيَّة[1] :

١ - فرقة الإسماعيليَّة.

---

(١) سيأتي التعريف بكل فرقة من هذه الفرق عند الحديث عن موقفها من اليوم الآخر.

٢- فرقة النصيريَّة .

٣- فرقة الدروز .

٤- فرقة البابيَّة والبهائيّة .

وفي المباحث التالية –بحول الله– سأُلقي الضوء على معتقد هذه الفرق في اليوم الآخر . واللهَ أسأل أن يهـديني للصـواب ، وأن يُجنِّبنـي الزلـل في القول والعمل ، إنَّه خير مسؤول ، وأكرم مجيب .

المبحث الأول : موقف الإسماعيليَّة من اليوم الآخِر

الإسماعيلية واحدة من فرق الباطنيَّة ، إضافة إلى كونها إحدى فرق الشيعة الإماميَّة ؛ لأنَّ من معتقداتها أنَّ الإمامة في ذريَّة الحسين بن علي ابن أبي طالب- على نحو قول الشيعة الاثني عشرية - . لكنَّهم خالفوا الاثني عشرية في تسلسل الإمامة بعد جعفر الصادق؛ فزعم الإسماعيليَّة أنَّها صارت إلى إسماعيل بن جعفر، أو ولده محمَّد بن إسماعيل ، وادّعى الاثنا عشرية أنَّها انتقلت إلى موسى بن جعفر .

والإسماعيليَّة رافضة، لحملهم معتقد الرفض بما ينطوي عليه من أفكار خطيرة ، تتمثّل في الطعن بالصحابة وسبّهم والبراءة منهم .

فهم : رافضة ، وباطنيَّة ، وشيعة إماميَّة .

وسُمِّيت الإسماعيليَّة بهذا الاسم: لزعمهم أنَّ الإمامة انتقلت من جعفر بن محمّد الصادق -بعد موته- إلى ابنه إسماعيل بن جعفر، أو ولده محمَّد بن إسماعيل -على خلافٍ بينهم-[1] .

---

(١) انظر : فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٨-٨٩ . والمقالات والفرق لسعد القمي ص ٨٠-٨١. والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٦٢-٦٣. والتبصير في الدين للاسفرايني ص ٣٨ . وفضائح الباطنية للغزالي ص ١٦ . والقرامطة لابن الجوزي ص ٣٦ . والملل والنحل للشهرستاني ص ١٩١ . والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص ٨١ . واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٦٥ . وتاريخ الدعوة الإسماعيليَّة لمصطفى غالب ص ٧ ، ٨ ، ١٢٣ . وأصول الإسماعيليَّة والفاطمية والقرمطية لبرنارد لويس ص ٦٩

أَمَّا عن نظرة الإسماعيليَّة إلى اليوم الآخـر : فإنَّهم لـم يؤمنـوا بالمعـاد ، والحشر، والنشر، وعذاب القبر ونعيمه، والجنَّة، والنَّار، وغيرها من العقائد الغيبيَّة كما آمن بها المسلمون، بل جاءوا بمفاهيم تغاير تماماً تلك المفاهيم التي جاء بها الإسلام .

فمعتقدهم هو الإنكار الكامل والمخالفة التامّة لما أجمعت عليه الأمّة الإسلاميّة في معنى القيامة .

وقد استخدموا منهجهم الفاسد في التأويل بالباطن ، ليُعارضوا ما دعا الأنبياءُ النَّاسَ إليه .

يُخبر أبو حامد الغزالي[1] -رحمه الله- عن صنيعهم هذا بقوله: ((وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة، وأنَّ هذا النظام المشاهد في الدنيا؛ من تعاقب الليل والنَّهار، وحصول الإنسان من نطفة، والنطفة من إنسان، وتولُّد النبات، وتولُّد الحيوانات ، لا ينصرم أبد الدهر؛ وأنّ السموات والأرض لا يُتصوَّر انعدام أجسامهما. وأوَّلوا القيامة وقالوا: إنَّها رمزٌ إلى خروج الإمام، وقيام قائم الزمان؛ وهو السابع الناسخ للشرع، المغيِّر للأمر.. وأمَّا المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء، ولم يُثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنَّة والنَّار، ولكن قالوا: معنى المعاد عَوْدُ

(١) هو محمد بن محمد الطوسي . اشتغل بعلم الكلام والفلسفة ردحًا من الزمن، وكانت خاتمة أمره الإقبال على الحديث ومجالسة أهله . مات سنة خمس وخمسمائة. (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢١٦-٢١٩. وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٢٢-٣٤٦) .

كلّ شيء إلى أصله . والإنسان متركِّبٌ من العالم الروحانيّ والجسمانيّ . أمَّا الجسمانيّ منه؛ وهو جسده، فمتركب من الأخلاط الأربعة: الصفراء، والسوداء، والبلغم، والدم[1]؛ فينحلّ الجسد، ويعود كلّ خلطٍ إلى الطبيعة العالية؛ أمَّا الصفراء فتصير ناراً، وتصير السوداء تراباً، ويصير الدم هواءً، ويصير البلغم ماء ، وذلك هو معاد الجسد . وأمَّا الروحانيّ، وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان، فإنَّها إذا صفِّيَتْ بالمواظبة على العبادات، وزُكِّيَتْ بمجانبة الهوى والشهوات، وغُذِّيَتْ بغذاء العلوم والمعارف المتلقَّاة من الأئمَّة الهداة، اتّحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحانيّ الذي منه انفصالها[2]))[3].

فهم يُنكرون القيامة –وفق اعتقاد المسلمين- . ويقولون : إنَّ القيامة قيامتان : كبرى ، وصغرى.

وعن هاتين القيامتين يقول قائلهم :

ولي صورةٌ محصورةُ القدرِ ضبطُها   ظهوري لعيني عند لبسي بُردتي

---

(١) مذهب الفلاسفة أنّ في جوف الفلك جسمًا واحدًا، صار بعضه نارًا، وبعضه هواء، وبعضه ماء، وبعضه ترابًا. (انظر الصحائف الإلهية للسمرقندي ص ٦٨، ٤٠٠) .

(٢) الغزالي هنا يتكلّم عن معتقد الباطنيّة في أرواح موافقيهم –التي غُذّيت بعلوم الباطنية ومعارفهم المتلقاة عن أئمتهم-، وكيف تلحق بالنور الذي تولّدت منه . وهذا شبيهٌ بمعتقد الاتّحادية . (انظر الفتوحات المكية لابن عربي ١/ ٢٤) .

(٣) فضائح الباطنيَّة للغزالي ص ٤٤-٤٥ .

فأبـدوا بها صـورة بعـد صـورةٍ وآخـر مـا يتلـوه أوّلُ نشـأتي
قيـامتي الصغـرى بخلعـي وإنّمـا قيامتي الكبرى بتميم دورتي))[١]

فالكبرى : رمزٌ إلى خروج إمامهم ، وقيام قائم زمـانهم . فهـي ((قيـام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان ، وقيام الـدور ، وبـروز الـنفس الكليَّة لمحاسبة النفوس الجزئيَّة ...))[٢] .

وقيام الـدور ، وتتمـيم الـدورة : مـن صـلب معتقـدات الإسـماعيليَّة الذين يؤمنـون ((بوجـود دورات متعاقبـة لهـذا العـالم ، في كـلّ دور نبـيٌّ ناطق، ووصيّ ، وأئمَّة ستة . فإذا جاء السابع افتتح دورًا جديـدًا ، وصـار ناطقًا ..))[٣] . والأئمّة الستة هم: عليّ بن أبي طالب، والحسـين بـن عـليّ، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بـن عـليّ ، وجعفـر بـن محمَّـد ، وإسـماعيل بـن جعفر. ثمّ جاء السـابع وهـو محمَّـد بـن إسـماعيل.وبمجيئـه افتـتح دورًا جديدًا، بعد أن أتمّ الدور، فهو الملقّب عندهم بـ:"التامّ". وبالانتهاء إليـه قامت القيامة الكبرى[٤] .

---

(١) القصيدة التائيَّة لعامر البصري ص ٩٣ .

(٢) الدسـتور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي ص ٦٩ .

(٣)الحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد أحمد الخطيب ص ١١٢ .

(٤) انظر: مقدمة عارف تامر–الإسماعيلي– عـلى تحقيقـه لأربـع رسـائل إسـماعيليَّة ص ١٠-١٤ . ومطالع الشموس في معرفة النفوس لشـهاب الـدين أبي فـراس ص ٣٢-٣٣ . وأسـبوع دور الستر للكرماني ص ٦٣-٦٦ . والقصيدة التائية لعامر البصري ص ١٢١-١٢٣. وانظر أيضًا: الملل والنحل للشهرستاني ص ٩١٢. وفضائح الباطنية للغزالي ص ١٦ .

وهو عندهم نبيّ ناطق، أي ناسخ للشرائع السابقة .

والإسماعيليَّة –على هذا– يُنكرون أن يكون رسولُنا ﷺ خاتمَ الأنبياء والمرسلين ، ويزعمون –أيضاً– أن شريعته منسوخة بشريعة قائمهم محمّد ابن إسماعيل .

يقول عارف تامر –الإسماعيليّ المعاصر– مؤوِّلاً قوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]، تأويلاً باطنيّاً وفق اعتقاد أبناء طائفته: ((ففي التأويل الإسماعيليّ أنَّ السماء هي الشريعة العائدة للناطق ، وتأويل الآية أنَّه عند ظهور القائم السابع المنتظر ، ستُطوى جميعُ الشرائع، وعددهم عدد السموات ؛ أي ستّ شرائع ؛ وهي لآدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمَّد ، كما يُطوى السجلّ، ويُضيف إليهم الشريعة السابعة التي تُلغي جميع ما قبلها ، وعندئذ يبدأ عهد جديد))[1] .

فالناطق السابع، أو السابع من الرسل[2]، الذي ينسخ بشريعته شريعة الإسلام –عند الإسماعيليَّة– هو محمَّد بن إسماعيل، الناسخ لشريعة من

(١) مقدِّمة عارف تامر على تحقيقه لرسالة "جامعة الجامعة" لإخوان الصفا ص ٥٥ .
(٢) كما قال الحامدي –الإسماعيليّ– في كتابه : "كنز الولد" ص ٢١١ .

سبقه، والفاتح لعهد جديد، والقائم بأمر جديد؛ صاحب شريعةٍ عطَّلت بقيامها شريعةَ محمَّد ﷺ(١).

ووَصْفُه بالقائم مبنيّ على اعتقادهم أنّ ظهوره هو قيام القيامة ، ((وبظهوره ينتهي دور الستر الذي كان واقعًا على من سبقه من النطقاء ، ويبتدئ دور الكشف والظهور . فإذا ظهر أُلغيت الشرائع والتكاليف ، وبطلت الأعمال ، وانتهت دورة الحياة الاعتيادية . وبعد ذلك يتولّى القائم الحساب والجزاء في الدورة الجديدة))(٢) .

وممَّا لا شكّ فيه أنَّ هذا المعتقد –كسائر معتقدات الإسماعيليَّة الأخرى– من الاعتقادات التي يكفر قائلها؛ لأنَّه يُنكر عقيدة ثابتة عند المسلمين؛ وهي أنَّ الله ﷻ قد ختم النبوَّات بنبوَّة نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، فلا نبيّ بعده، وأنّ شريعته باقية إلى يوم القيامة(٣).

فمجيء محمّد بن إسماعيل ، وإتمام الدور : هو القيامة الكبرى .

وأمّا القيامة الصغرى : فهي خلاص النفس من الجسد بعد الموت ، وهي التي أشار إليها قائلهم في الأبيات المتقدّمة بقوله :

---

(١) انظر : إثبات النبوات للسجستاني –الإسماعيليّ– ص ١٧٩ . ومقدّمة مصطفى غالب –الإسماعيليّ المعاصر– على تحقيقه لكتاب راحة العقل للكرماني ص ٢٣ .
(٢) أصول الإسماعيلية ، للدكتور سليمان عبدالله السلومي ٢/ ٤١١ .
(٣) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ص ٩٩ .

فأبـدوا بهـا صــورة بعــد صــورةٍ وآخــر مـا يتلـوه أوّلُ نشــأتي
قـيـامتي الصغـرى بخلعي وإنّمــا قيــامتي الكـبرى بتتمـيم دورتي

فقوله : (قيامتي الصغرى بخلعي) : وهي خلع الروح عـن البـدن الـذي كانت تسكنه، وتعاقبها الأبدان في صور مختلفة، وهي العقيدة التي تُعـرف بتناسخ الأرواح . وغاية معتنقيها إنكار المعاد -كما ورد عن الأنبياء عليهم السلام -، وإنكار الحشر والنشر للأبـدان ، والجنَّـة والنَّـار، والقـول : إنَّ العود أو المعاد : هو رجوع كلّ شيء إلى أصله ؛ يعنـي رجـوع الجســم إلى الأخـلاط الأربعـة ؛ فـالمؤمنون –ويعنـون بهـم مـن كـانوا عـلى ديـنهم- يستحيل عنصرهم الـترابي وأجسـامهم بعـد مـوتهم إلى مـا يُجانسـها مـن التراب؛ فتبلى أجسامهم، وتلحق أرواحهم بالنور الذي تولّدت منـه ؛ أي بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها –على حدّ زعمهم[1]-.

أمَّا أرواح مخالفيهم: فإنَّها –وفق معتقداتهم- تتناسـخها الأبـدان، فـلا تزال تتعرَّض فيها للألم والأسقام؛ فلا تُفارق بـدناً، إلاَّ ويتلقَّاهـا آخـر[2]، ((فتدخل في أدوار متكـرّرة مـن العـذاب ، تـتقمّص في كـل دور سـبعين قميصًا ، أوّلها الرجس ، وهو قميص البشر الذين لا يصلحون للمخاطبـة .. وآخرها الوسخ ، وهو ظهوره في داخل المعدن والحجر))[3] .

---

(١) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي –الإسماعيلي- ص ٦٨ .

(٢) انظر : فضائح الباطنية للغزالي ص٤٦. والإفحـام لأفئـدة الباطنيَّـة الطغـام ليحيـى العلـوي ص٢١.

(٣) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي –الإسماعيلي- ص ٦٨-٦٩ .

يقول إبراهيم بن الحسين الحامدي –الإسماعيليّ– مقرِّراً ذلك : ((إنَّ النفس في عالم الكون والفساد كائنة في الأجساد؛ وهي الأرواح الهابطة للزلَّة التي كانت منها، والخطيئة التي جَنَتْها؛ فأُهبطت وأُبعدت من دار الكرامة، فبقيت معذَّبة مربوطة بالطبيعة الحسيَّة، والتكليفات اللازمة لها في الشرائع الناموسيَّة[1]، جزاء لها بما أسلفت... ـ إلى أن قال: ـ وأنَّ الهيولى والصورة[2] أعرافٌ عليها واقفون، وبرازخ لهم إلى يوم يُبعثون[3]، كلَّما بليت صورة بالفساد، كوّنت أخرى بالكون؛ فهم بين البلاء والنشوء متردّدون ما بين الهيولى الجسمانيَّة، والصورة التركيبيَّة))[4] .

فأرواح المخالفين للإسماعيليَّة –على حدّ زعمهم– محبوسة في الأبدان أبد الدهر. والبدن هو القبر؛ كما ورد في تأويلاتهم الباطنيَّة : ((والقبر : فهو الصورة الجسمانيَّة ، والهياكل الجرمانيَّة))[5] .

---

(١) يعني بها الشرائع الإلهيّة ؛ فهم يرون أنّها إصرٌ وأغلال وُضعت على الحمقى والمغفّلين . (انظر موقفهم من الشرائع، وطريقتهم في إسقاط التكاليف الشرعيّة واستحلال المحرّمات في : كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٢٣-٣١) .

(٢) الهيولى: كلمة معرّبة عن اليونانية ، وهي مادة أولى غير معيّنة أصلاً . وبها تشترك الأجسام في كونها أجسامًا . والصورة : هي المبدأ الذي يُعيّن الهيولى ويُعطيها ماهية خاصة، ويجعلها شيئًا واحدًا، وهي ما نتعقّله في الأجسام . ولتقريب معنى الهيولى والصورة ، نقول : إن الهيولى بمثابة الرخام أو الخشب قبل أن يُصنع منهما شيء، وإن الصورة بمثابة الشكل الخاص الذي يُعطَى للرخام أو الخشب . (أي مادة خام ، وأخرى مصنّعة) . (انظر الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية للدكتورين : محمد السيد نعيم، وعوض الله حجازي ص ٦٩) .

(٣) يعني يوم قيام قائمهم .

(٤) كنز الولد للحامدي ص ١١٢-١١٣ .

(٥) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي الإسماعيليّ ص ٩٣ .

وهي في هذا القبر تتعـرَّض للعـذاب ، وعـذابها انتقالهـا مـن بـدنٍ إلى آخر؛ على نحو تأويلهم لعذاب القبر بأنَّه : ((تأثُّر النَّفس بسبب ما يظـهر عليها من الصور الهيولانيَّة المخالفة للطبـاع ، وذلك على سبيل التغـيُّر ... وأمَّا إتيان منكر ونكير : فهو استيلاء القوَّة الشهوانيَّة والغضبيَّة الـداعيتين إلى الهلاك))[1] .

-وفق ما سطَّروه في كتبهم- .

فلا تُفارق أرواحُ المخالفين -لهم- أجسامَهم البتـة ، بـل تبقـى معاقَبـة فيها .

والجنَّة والنَّار-عندهم-تكون في الدنيا، وكذا الثواب والعقاب ؛ فنعيم الجنَّة ولذَّاتها إنَّما هي لذَّات معنويَّة لا حسيَّة ، والمراد بهـا لـذَّة الـتعلُّم مـن الإمام ، وما يأخذه المؤمن -منهم- من مراتب العلوم .

يقول السجستاني -الإسماعيليّ-: ((لَمَّا كان قصـارى الثـواب إنَّـما هـي اللذَّة، وكانت اللذة الحسيَّة منقطعة زائلـة، وجـب أن تكـون التـي ينالهـا المثاب أزليَّة غير فانية، باقية غير منقطعة. وليست لـذَّة بسـيطة باقيـة عـلى حالاتها غير لذَّة العلم))[2]. هذا عن الثواب .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الينابيع للسجستاني-الإسماعيلي- ص١٣٥ . وانظر: الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي ص ٧٠. وتاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمد الوليد ص ١٦٥-١٦٦ . -وكلاهما إسماعيلي-.

وأمَّا العقاب : فهو الآلام والأوجاع التي تراها الروح في تقلّبها في الأجسام والأقمصة المختلفة[١] ؛ فالإنسان إذا أنكر إمامَ زمانه ، أظلمت صورته، وصارت نفسه أكثف من جسمه . ولم تُفارق حينئذٍ جسمها ولا تعدوه ، وتتناوشها الآلام والأوجاع خلال تقلّبها في الأبدان[٢] .

ولا يزال الإسماعيليَّة المعاصرون متّبعين لمنهج أسلافهم في تأويل هذه الأمور الغيبيَّة تأويلاً قائماً على إنكار حقيقتها، والاستعاضة عنها بمعان باطنيَّة لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة، ولا تقرب من الصواب قيد أنملة ؛ فهم يقولون : ((إنَّ القول بالبعث مهزأة ... وإنّ المؤمن الحقيقيّ هو من يُؤوِّل الوحي الإلهيّ على طريقتهم . وأمَّا من يتّبع الشرائع المنزّلة وأحكامها على ظواهرها، فليس هو إلاَّ كافراً وحماراً))[٣] .

يقول مصطفى غالب –الإسماعيليّ المعاصر- : ((إنَّ الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي إلى ما يُجانسه من التراب ، وينتقل عنصره الروحي إلى الملأ الأعلى ؛ فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام، فهي تُحشر في زمرة الصالحين، وتصبح ملكاً مدبّراً، وإن كان شريراً عاصياً لإمامه، حشرت مع الأبالسة والشياطين؛ وهم أعداء الإمام))[٤] .

---

(١) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للطيبي –الإسماعيلي- ص ٧٠

(٢) انظر زهر بذر الحقائق للحامدي –الإسماعيلي- ص ١٧١-١٧٢ .

(٣) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام لبندلي جوزي ١/ ١٠٦ –نقلاً عن كتاب الإسماعيليّة المعاصرة لمحمد أحمد الجوير ص ٩٦- .

(٤) مقدِّمة مصطفى غالب على كتاب الينابيع للسجستاني –الإسماعيلي- ص ١٦ .

ويعني بالأشرار العصاة : المخالفين لهم في معتقداتهم ؛ فإنَّ هؤلاء -على حدّ قول مصطفى غالب- ((إذا ماتوا شاعت أنفسهم في أجسامهم، ولم تُفارقهم إلا الهوائيَّة))[1] .

فهذا هو معتقد الإسماعيليَّة القديم والمعاصر في اليوم الآخر .

ولأجله ، ولأجل غيره من معتقداتهم الباطلة كفَّرهم علماء المسلمين ؛ فـ((من أنكر وجحد شيئاً من أركان الإسلام، أو من واجبات الدين المعلومة بالضرورة، فهو كافرٌ ومارقٌ من دين الإسلام))[2] .

(١) قال ذلك أثناء تعليقه على كتاب كنز الولد للحامدي ، هامش ص ١١٣ .
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/ ٢٨١ .

المبحث الثاني :

موقف النصيريَّة من اليوم الآخر

النُّصَيْرِيَّة واحدةٌ من فرق الباطنيَّة . وقد كان مؤسِّسها –أوَّلاً– ينتسب إلى الشيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة ، لكنَّه ترك هذه الفرقة نتيجة خلافٍ حصل بينه وبين أتباعها، وأسَّس لنفسه فرقة ضمَّنها أسوأ ما في الفرق المعاصرة له من معتقدات؛ كالقول بأنَّ للنصوص الشرعيَّة ظاهراً وباطناً، وأنَّ الباطن غير مراد؛ وكسبّ الصحابة رضي الله عنهم، وشتمهم ، والقول بارتدادهم ؛ وكذا القول بالتناسخ ؛ والقول بالإباحيَّة، ونحو ذلك من المعتقدات الفاسدة .

وقد غَلَبَ اسم النصيريَّة على هذه الطائفة، نسبةً إلى مؤسِّسها وزعيمها: "محمَّد بن نُصَيْر النُّمَيريّ". وقيل سُمُّوا بهذا الاسم: نسبة إلى النَّصارى –مع التصغير–، وذلك لما بينهم وبينهم من قواسم مشتركة كثيرة؛ فالتثليث الموجود عند النَّصارى (الأب، الابن، روح القدس) يُقابله تثليث عند النُّصيرية (عليّ، محمَّد، سلمان) ؛ ومن الأعياد التي عند النصيرية : عيد الميلاد، والفصح، وهي أعياد للنصارى ؛ ولا زال

النصيرية إلى وقتنا الحاضر يتسمَّوْن ببعض الأسماء التي يتسمَّى بها النَّصارى؛ مثل: متَّى، يُوحنَّا، هيلانة، ونحو ذلك[(١)] .

والنُّصَيْرِيَّةُ يعترفون بأنّ هذا الاسم أُطلق عليهم نسبة إلى المؤسِّس الأوَّل لهذه الفرقة[(٢)] ، لكنَّهم –خلا نفراً يسيراً منهم– لا يُرحِّبون بهذه التسمية ، ويرون أنَّها أُطلقت عليهم بدافع العداوة المذهبيَّة ؛ كي يُتّخذ هذا الاسم ذريعة لاضطهادهم[(٣)] .

وربّما قبل بعضُ النُّصَيْرِيَّة بهذه التسمية على أنَّها نسبة إلى جبل النُّصَيْرة الذي تقطنه الغالبيَّة العظمى منهم –على حدّ زعمهم[(٤)] – .

وقد وُلِدَتْ النصيريَّة –إحدى حفيدات الباطنيَّة– بعدما أمدَّها ذلك الفارسيّ المدعو"محمَّد بن نُصَير" بما جعل لها ذلك الطابع الخاص، وسُمِّي من تابعه على معتقداته بـ"النُّصَيريَّة"[(٥)]. فابن نُصَير هذا ظهر في القرن

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٤/ ٢٦٥-٢٦٧. والعلويون في مواجهة التجني لأحمد علي حسن –النصيري– ص١٦٦-١٦٧، ١٨٣-١٨٩، ١٩٩. والنُّصيرية للدكتورة سهير الفيل ص٣٠-٣٢، ٥٤، ٦٠

(٢) انظر من كتبهم : تاريخ العلويين للطويل ص ١٩٣، ١٩٤. والباكورة السليمانيَّة لسليمان الأذني ص٢٦. والعلويُّون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ص ١٥٦ . والعلويون في مواجهة التجني لأحمد علي حسن ص ٢٠٥ .

(٣) انظر ما قاله هاشم عثمان في كتابه العلويون معترضاً على هذه التسمية ص ١٥٢.

(٤) انظر: تاريخ العلويين لمحمدأمين الطويل ص٤٤٥. والعلويون لهاشم عثمان ص١٤٧.

(٥) انظر:العلويون من هم؟وأين هم؟ لمنير الشريف ص٥٨.وطائفة النصيريَّة لسليمان الحلبيّ ص ٣٦.

الثالث الهجري ، وكان في أوَّل أمره على معتقد الشيعة الاثني عشريَّة. وقد أنقذ الشيعةَ من مأزقٍ خطير وقعوا فيه ، حين أوحى إليهم –والشياطين يُوحي بعضهم إلى بعض- بفكرة الإمام الثاني عشر–حين مات إمامهم الحادي عشر "الحسن العسكري" دون أن يوصي بالإمامة لأحدٍ بعده ؛ إذ كان عقيماً لا يُنجِب- ، لكن حصل خلافٌ بينه وبينهم على البابيَّة –من يكون الباب للقائم الثاني عشر؛ إذ لكلّ إمامٍ بابٌ كما ادّعوا[1]-، فانفصل عنهم، وكوَّن فرقته[2] .

وقد كان ادّعى أنَّه الباب إلى الإمام الثاني عشر المزعوم ، وأنَّ صفة "البابيَّة" بقيت معه بعد غيبته، فهو المرجع للشيعة. لكنّ الاثني عشريَّة لم يقروا له بهذه الصفة، ففارقهم، وادّعى النبوَّة، وغلا في حقّ الأئمَّة ؛ إذ نسبهم إلى الأُلوهيَّة ، وزعم أنَّ الله تعالى حلّ فيهم[3]، وقال بإباحة المحارم، وحلَّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، وزعم أنَّ ذلك من التواضع، وأنَّه أحد الطيِّبات المباحة، وأنّ الله لم يُحرِّم شيئاً من ذلك، وزاد إلى ذلك قوله بتناسخ الأرواح[4] .

---

(١) انظر تاريخ العلويين للطويل –النصيريّ–ص١٩٢–١٩٣. وطائفة النصيرية للحلبي ص٣٧–٣٩.

(٢) انظر العلويون في مواجهة التجني لأحمد علي حسن –النصيريّ– ص ١١٠ .

(٣) انظر : فرق الشيعة للنوبختي ص٧٨. والفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٩، ٢٥٢. والملل والنحل للشهرستاني ص١٨٨. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٩١ .

(٤) انظر : فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ . والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٢ . والملل والنحل للشهرستاني ص١٨٨. والحركات الباطنية للخطيب ص٣٢٣–٣٢٦

أمَّا عن نظرة النصيريَّة إلى اليوم الآخر : فإنَّهم –كسائر فرق الباطنيَّة– يُلغون المعاد وما يتصل به من ثوابٍ، وعقابٍ، وجنَّةٍ ، ونارٍ ، وحشرٍ ونشرٍ ، ويستعيضون عنه بمبدأ التناسخ الذي أوجدوه خصِّيصاً من أجل إلغاء هذا الركن الأصيل وهدمه[1] .

فقد قالوا : ((ليس قيامة، ولا آخرة، وإنَّما هي أرواح تتناسخ بالصور . فمن كان محسناً جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى جسدٍ لا يلحقه فيه ضررٌ ولا ألمٌ. ومن كان مسيئاً جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى أجساد يلحق الروحَ في كونه فيها الضرر والألم ، وليس شيء غير ذلك ، وأنّ الدنيا لا تزال أبداً هكذا))[2] .

فالنصيريَّة لا يؤمنون –كما يؤمن المسلمون– أنَّ هناك يوماً آخر يُبعث النَّاس فيه من قبورهم ، ويُحشرون للحساب ، ويُجازون على أفعالهم ؛ إمَّا بالجنَّة ، وإمَّا بالنَّار . بل لا دار –عندهم– إلاَّ الدنيا ، والقيامة هي خروج الروح من بدنٍ إلى بدنٍ آخر؛ فتكون الأبدان هي الجنَّات، أو هي النَّار[3] .

وهذه هي القيامة الصغرى . إذ هم يزعمون –كالإسماعيليَّة– أنَّ القيامة قيامتان :

---

(١) انظر حركة الغلوّ وأصولها الفارسيَّة لنظلة الجبوري ص ٢٣ .
(٢) مقالات الإسلاميّين لأبي الحسن الأشعريّ ١/ ١١٩ .
(٣) انظر فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٢ .

كبرى ؛ وهي الرجعة –وفق معتقد الروافض[١]؛ إذ هم في أصلهم منهم–.

وصغرى ؛ وهي انتقال الأرواح في الأجساد[٢] أو ما يُعرف بتناسخ الأرواح .

ويقولون : إنَّ المعاد : هو رجوع كلّ شيء إلى أصله؛ يعني رجوع الجسم إلى الأخلاط الأربعة[٣]، وعودة أرواح المؤمنين –منهم– إلى العالم الروحاني الذي منه انفصالها ، بعد أدوار تتردَّد فيها في الأجساد .

أمَّا أجساد الموتى من المخالفين للنصيريَّة –وقد رمزوا لها بالهياكل–: فإنّها تحلّ جميعًا محلاً واحدًا ((مع هياكل الشياطين والأبالسة والمردة والعفاريت وجند إبليس وقبيله، من ذكر وأنثى، وحرّ وعبد، وأبيض وأسود، وعربيّ وعجميّ، ورومي ونبطي، وهاشمي النسب ، وطالبيّ

(١) فكرة الرجعة عند الرافضة تقوم على أساس عودة الأرواح إلى الأجساد قبل يوم القيامة. وجلّ الأرواح التي تعود هي أرواح الصحابة ن، وفي مقدّمتهم أبو بكر وعمر وعثمان للاقتصاص منهم، جزاء ظلمهم لعليّ س وغيره من ذريّته. (انظر من كتب الرافضة: الأنوار النعمانية للجزائري ٢/ ٨٩. وإلزام الناصب للحائري ٢/ ٢٦٦. وحق اليقين لشبر ٢/ ١٠، ٢٥، ٢٨. والإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص ٢٥٦، ٣٤٢. والبرهان للبحراني ٣/ ٢٢٠. والصراط المستقيم للبياضي٢/ ٢٥٢.ومختصر بصائر الدرجات للحلي ص١٩١). وانظر من كتب النصيريَّة الهفت الشريف ص٦٦. لكنّ الاثني عشريَّة لا يُنكرون اليوم الآخر كما هو الحال عند النصيريَّة.

(٢) انظر دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة للأمين ص ١١٥ .

(٣) انظر الهفت الشريف ص١٥٩–١٦٠. فيعود كل خلط الأخلاط الأربعة إلى الطبيعة العالية : فتصير الصفراء نارًا، وتصير السوداء ترابًا، ويصير الدم هواء، ويصير البلغم ماء ، كما تقدّم.

الحسب ، تحلّ هذه الهياكل كلّها محلاً واحدًا)) [١] ، إلى أن يعود كل خلطٍ من أخلاطها الأربعة إلى أصله –على حدّ زعمهم [٢]–.

وأمَّا أرواح المخالفين للنصيريَّة: فهي تتناسخ، ولكن شتَّان بين تناسخ أرواح المؤمنين –منهم–، وبين تناسخ أرواح مخالفيهم؛ فأبناء طائفتهم لا يجري عليهم المسخ [٣] –وهو انتقال الروح من جسد آدميّ إلى جسد حيوان كما سيأتي–، وإنَّما يجري عليهم النسخ –انتقال الروح من جسد آدميّ إلى جسد آدميّ آخر– لعدَّة دورات تُطهَّر أرواحهم فيها تماماً، وتصير نوراً خالصاً، ثم تصعد إلى السماء لتتخذ من الكواكب والنجوم مستقرَّاً لها ؛ أي تلحق بالعالم النوراني الأكبر [٤]، فتكون بذلك قد عادت إلى مستقرّها الأصلي الحقيقي –على حدّ زعمهم [٥]– .

أمَّا المخالفون لهم –وهم الذين لا يؤمنون بألوهيَّة علي بن أبي طالب–: فيجري عليهم سائر أشكال التناسخ –عدا النسخ–؛ لأنَّ الواحد منهم لا يُركَّب في صورةٍ إنسانيَّة أصلاً، وإنَّما يُركَّب في الصورة البهيميَّة؛ كصورة السباع والوحوش، والطير، والحشرات، والزواحف، ونحو ذلك .

---

(١) كتاب الصراط "رواية المفضل الجعفي" ص ١٥٩ .

(٢) انظر الهفت الشريف "رواية المفضل الجعفي" ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) انظر الهفت الشريف "رواية المفضل الجعفي" ص ١٢٢ .

(٤) ويعنون به عالم الكواكب والنجوم والأجرام السماويّة ، كما يُفهم ذلك من السياق .

(٥) انظر من كتب النصيريَّة: الهفت الشريف "رواية المفضل الجعفي" ص٤٩–٥٠. وكتاب الصراط "رواية المفضل الجعفي" ص١١٣. وكتاب تعليم الديانة النصيريَّة –مخطوط– ق ١٦/ ب . والباكورة السليمانيَّة لسليمان الأذني ص ١٠٠.

ويُمكـن أن تنتقـل أرواحهـم إلى صـورة جامـدة؛ مـن معـدن، وحجـر، وحديـد، وغيره ؛ فتذوق بذلك حرّ الحديـد والحجر وبرده[1] . حتى يَـرِدَ –المخالف– في صورةٍ يستوحش منها. وهذا دأبه وديدنه، أبد الآبدين[2] ، ((حتى يُوفّى في المسوخيَّة مـا اسـتوفاه مـن البشرـيَّة ، شخصًـا بشـخص، وحالاً بحال، وأجلاً بأجل..))[3] .

وهذا هو تأويلهم للخلـود في العـذاب "الأصـغر" ؛ إذ العـذاب عنـد النصيريَّة نوعان ؛ أكبر ، وأصغر؛ فـالأكبر عنـد الرجعـة وقيـام قـائمهم ، وظهـور منتظـرهم ؛ في القيامـة الكـبرى ؛ والأصـغر هـو انتقـال أرواح المخالفين في المسوخيَّة .

إذًا : ليس انتقال أرواح المخالفين –عند النصيريّة– في الصور الحيوانيَّة فقط ، بل ((في كلِّ شيءٍ خالف الصورة الإنسانيَّة ، حتى إذا عـاد أحـدهم يُقتل ألف قتلة ، ويُذبح ألف ذبحة، ويموت ألف ميتة))[4]، وهذه العودة عند قيام قائمهم ، وهي التي يرمزون إليها بالقيامـة الكـبرى ، ويزعمـون أنَّ العذاب الأكبر يكون فيها[5] .

---

(١) انظر كتاب تعليم الديانة النصيريَّة –مخطوط– ق ١٧/ أ .

(٢) انظـر الهفـت الشرـيف ص ١٤٢، ١٤٥ ، ١٤٧ . وكتـاب الصرـاط ص ٩٤-٩٥ ، ٩٧ . وكلاهما من "رواية المفضل الجعفي" ، وهما من كتب النصيريَّة .

(٣) كتاب الصراط "من رواية المفضل الجعفي" ، ص ٩٧ .

(٤) الهفت الشريف "رواية المفضل الجعفي" ص ٦٦ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٣٠ .

وانتقال الروح –هذا– له عند النصيريَّة أربعة أشكال ، هي :

النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ(١) .

– فالنسخ : هو انتقال الروح من جسد آدميّ إلى جسد آدميّ آخر .

– والمسخ : هو انتقال الروح من جسد آدميّ إلى جسد حيوان ، أو طير.

– والفسخ : هوانتقال الروح من جسد آدميّ إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

– والرسخ : هو انتقال الروح من جسد آدميّ إلى شجرٍ ، أو نباتٍ ، أو جمادٍ .

ولا زال النصيريَّون إلى يومنا هذا يعتقدون بتناسخ الأرواح، ويُؤكِّدون في كلِّ مناسبةٍ إيمانَهم به، وإنكارهم للبعث والجزاء؛ فليس ثمَّة قيامة عندهم –كما هو معتقد المسلمين– وليس هناك ثوابٌ ولا عقابٌ ولا جنَّة ولا نارٌ،وإنَّما الإنكار لذلك كُلِّه.

فهذا هاشم عثمان –النصيريّ المعاصر– حين حاول أن يتبرَّأ من جميع ما نُسب إلى النصيريَّة من غلوّ ،–في محاولة منه للتقارب مع الشيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة– ، لم يستطع أن يتبرَّأ من معتقد تناسخ الأرواح

---

(١) انظر النصيرية لسهير الفيل ص ٧٥-٧٦ .

-وهو من علامات الغلوّ ، وديدن فرق الباطنيَّة- بل شرع يسوق المبرِّرات لهذا المعتقد ويُدلِّل عليه بما لا تؤيِّده حجَّة ، ولا يسعفه برهان[١].

وحين تعارض إثبات هذا المعتقد؛ "أعني معتقد تناسخ الأرواح" مع الإيمان باليوم الآخر، أنكر الأخيرَ مبرِّراً ذلك بأنَّ ((إنكار البعث شيءٌ طبيعيّ ، وهو كان ذائعاً في العصر العباسيّ قبل ظهور اصطلاح النصيريَّة))[٢] .

فذيوع هذا المعتقد في عصرٍ من العصور سوَّغ له إنكار معتقد البعث والنشور.

والحقيقة أنّ التناسخ من المعتقدات الدخيلة على الأمَّة الإسلاميَّة ودينها -لا كما زعم هذا النصيريّ-؛ فقد آمن بهذا المعتقد عددٌ من الأمم قبل الإسلام ؛ كالبوذيَّة، والهندوسيَّة، وفلاسفة اليونان ، بل إنَّ التناسخ عَلَمٌ على المعتقدات الهنديَّة القديمة ، كما قال البيروني : ((كما أنَّ الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانيَّة ، والإسبات علامة اليهوديَّة ، كذلك التناسخ عَلَم النحلة الهنديَّة ؛ فمن لم ينتحله ، لم يك منها ، ولم يُعدّ من جملتها))[٣] .

---

(١) انظر العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ص ٧٢-٧٣ .

(٢) العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ص ٧٧ . وانظر تأصُّل هذا المعتقد في نفوس المعاصرين من النصيريَّة في كتاب الجيل التالي لمحمد حسين ص ٣٠ .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني ص ٣٩ .

فهو معتقدٌ دخيلٌ على أمَّتنا الإسلاميَّة من المانويَّة المجوسيَّة، ومن الهندوسيَّة البرهميَّة، ومن فلاسفة اليونان، وغيرهم[(١)].

وعن هؤلاء أخذته الفرق الباطنيَّة ليُحاولوا هدم الدين من خلاله ؛ لأنَّ إنكار اليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء يصرف النَّاس عن أداء التكاليف الشرعيَّة .

وعلماء الإسلام قد أنكروا معتقد التناسخ ، وكفَّروا القائلين به ؛ لأنَّه يتضمَّن هدم أصلٍ أصيلٍ من أصول الدين؛ ألا وهو الإيمان باليوم الآخر.

وعدم الإيمان بالآخرة يُخرج الإنسان من دائرة الإسلام .

والحقيقة أنَّ التناسخ ((في حكم الإسلام عقيدة باطلة تُؤدِّي إلى الكفر ؛ لأنَّ الأخبار اليقينيَّة التي جاءت عن طريق القرآن والرسول ﷺ بيَّنت بُطلان هذا الاعتقاد، وأنَّ الإنسان بعد موته يُسأل في القبر))[(٢)] .

---

(١) انظر المقالات والفرق لسعد القميّ ص ٦١ . والملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٥ .
(٢) الحركات الباطنيَّة في العالم الإسلامي للخطيب ص ٢٤٤ .

المبحث الثالث :

موقف الدُّرُوز من اليوم الآخر

الدروز إحدى الفرق الباطنيَّة التي انشقت عن الإسماعيليَّة في عصرها العبيدي، واتخذت لها مبادئ مخالفة في ظاهرها لمبادئ الإسماعيليَّة، وإن كانت لم تُخالفها في جوهرها[١] .

وحالها شبيهٌ بحال سابقتها "النُّصيريَّة"؛ فكما تربَّت النصيريَّة في أحضان الاثني عشريَّة،ثمّ انشقت عنها؛ كذلك تربَّت طائفة الدروز في أحضان الإسماعيليَّة ، ثمّ خرجت عليها ببعض المعتقدات التي تُخالفها –ظاهراً– .

ولو فتّشنا في قواميس اللغة عن معنى كلمة ؛ "الدروز" ، لوجدنا "الدَّرْز" في اللغة يُطلق على عدَّة معان[٢] :

١ – يُطلق على القَمْل والصِئْبان اسم بنات الدُّروز .

٢ – ويُطلق على السَّفَلة من الناس اسم : أولاد دَرْزَة .

٣– ويُطلق على أصحاب الحرف الوضيعة؛ كالخياطين: أولاد دَرْزَة أيضاً.

---

(١) انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ١٩٩ .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري ٣/ ٨٧٨ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٥٧ . ولسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٤٨ .

٤- ويُطلق على ولد الزنـا؛ يـأتي مـن غـير أب ؛ كـأن تكـون أمُّـه أمَـةً تُساعي، فجاءت به من المساعاة –الزنا بأجر-، ولا يُعرف له أب .

فالتسمية في اللغة –كما لاحظنا- حقيرة المعنى؛ لذلك نجد هذه الفرقة لا يُسلِّمون بهذا الاسم، ولا يقبلون به، على الرغم مـن أنَّـه الاسـم الـذي عُرفوا به عبر التاريخ .

وإن أبت هذه الطائفة التسميةَ بهذا الاسم ، إلاَّ أنَّه لاصـقٌ بهـا ؛ إذ هـو يرتبط باثنين من كبار دعاتها ومؤسِّسيها ؛

= أحدهما : محمَّـد بـن إسـماعيل نوشـتكين الـدَّرَزيّ –بفـتح الـدال والراء- ؛ أحد الدعاة إلى تأليه الحاكم العبيدي . والدُّروز يأبون الانتساب إلى هذا الرجل ، ويرمونه بالإلحاد والكفر ؛ لأنَّـه تعجَّـل بإظهـار ألوهيَّـة الحاكم قبل الموعد المختار لذلك ، ويستنكرون أن ينسبهم أحدٌ إليه[١] .

= والثاني : منصور أنوشتكين الدُّرْزي –بضمّ الدال وسكون الراء-؛ أحد قـوَّاد الحـاكم العُبيـديّ . والنسـبة إلى هـذا الرجـل ((عسـكريَّة ، لا مذهبيَّة))[٢] ؛ إذ هو قائدٌ من قوَّاد الحاكم ، وليس من الـدعاة إلى تأليهـه ، كما هو حال الأوَّل .

---

(١) انظر: طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص٨. وعقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيـب ص١٢. والأعلام للزركلي ٦/ ٢٥٩.

(٢) الدروز – وجودهم – ومذهبهم – وتوطّنهم لسليم أبو إسماعيل ص ٦٤-٦٥ .

أمَّا عن موقف الدّروز من اليوم الآخر : فهو شبيهٌ بموقف من تقدَّم من فرق الباطنيَّة: الإنكار التامّ لهذا المعتقد؛ فالدروز لا يؤمنون باليوم الآخر، كما نعتقد نحن المسلمون. بل هم يُلغون المعاد وما يتصل به من حساب وثوابٍ وعقابٍ، وجنَّةٍ ونارٍ، وحشرٍ ونشرٍ، ويقولون: لاتموت الأرواح لتُبعث؛ إذ ليس ثمة موت ولا قيامة ولا بعث[1] . ويستعيضون عن ذلك بالتناسخ أو "التقمُّص" -كما يحلو لهم أن يُسمُّوه-، ومعناه عندهم: انتقال الروح من جسم بشريّ إلى جسم بشري آخر، استناداً إلى اعتقادهم في الروح أنَّها لا تموت ، وإنما يموت قميصها ؛ فتنتقل إلى قميص آخر .

وهم بهذا المعنى يُخالفون النصيرية في معنى التناسخ؛ إذ يقصر هؤلاء -أعني الدروز-التناسخ على الأجسام البشرية فقط[2]. بينما لا ينحصر التناسخ عند النصيرية بالأجسام البشرية، بل يكون في غيرها أيضاً -كما مرّ-.

فالدروز -إذاً- لا يؤمنون بالتناسخ على طريقة النصيرية ، لهذا كرهوا هذا اللفظ "التناسخ"، واستبدلوه بلفظ آخر "التقمص" .

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد ، لعبدالله النجار -الدرزي- ص ٨١ .

(٢) انظر: الموحدون الدروز وأصولهم لأمين محمَّد طليع ص٩٩-١٠٠ . وطائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص١٢٤-١٢٥ . والحركات الباطنيَّة للخطيب ص٣٣٩ . وعقيدة الدروز له ص ١٤٢ .

ورأوا أنّ القـول بالتناسـخ بـين عامـة المخلوقـات -كـما هـو معتقـد النصيرية- لا يجوز للأسباب الآتية[1] :

(١)- إنّ انتقال الروح إلى جسم حيوان غير بشريّ ظلمٌ لهـذا الحيـوان لعدم تعلّق الثواب والعقاب على غير النفس العاقلة .

(٢)- إنّ وقوع العقاب على النفس لا يصحّ إلا بعد مرورها في أجسام بشريَّة على مدى دهر طويل، بحيـث يمنحهـا ذلـك فرصـة الاكتسـاب ، والتطوّر ، والامتحان ، والتبدُّل ، لكي تحاسب حساباً عادلاً عـلى مجمـوع ما اكتسبت .

أمَّا عن معنى العذاب والثواب عند الدروز :

فهم يرون أنَّ العذاب انتقال الإنسان من درجة عالية إلى درجة دونها ، ويستمرّ تنقله من جسدٍ إلى جسدٍ آخر، حتـى يصـل إلى أقـلّ الـدرجات، وهو في أثناء ذلك تقلّ منـزلته ، ويُعذّب في كل درجة بأنواعٍ من العذاب؛ كعذاب الضمير، والندم على ما فات، وقلَّة معيشته، وعمـى قلبـه في دينـه ودنياه، ونحو ذلك[2]. ويزعمون أنَّ مصابَ ذوي العاهات ؛ كـالأعمى،

(١) انظر : مذهب الدروز والتوحيد لعبد الله النجَّـار –الـدرزي المعـاصر- ص ٦٢ . والحركـات الباطنيَّة للخطيب ص ٢٣٩ . وعقيدة الدروز له ص ١٤٣ .

(٢)انظـر : مـذهب الـدروز والتوحيـد لعبـد الله النجَّـار –الـدرزي المعـاصر- ص ٦١-٦٢ . والحركـات الباطنيَّة في الإسـلام لمصطفى غالـب –الإسـماعيليّ المعـاصر- ص٢٦٣. وانظـر أيضًا : طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ١٢٥ . وعقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب ص ١٦٨ .

والأعرج، والأكمه، والأبـرص، إنَّـما هـو قصـاص عـن ذنـوبهم في مـدَّة حياتهم السابقة[١] .

والثواب عند الدروز يكون بتنقل الإنسـان بـين الأجسـاد ، وارتفاعـه أثناء ذلك من درجة إلى درجة أخرى[٢] .

أمّا الجنّة والنّار –وفق معتقد المسلمين- : فالدروز يُنكرون وجودهما . ولا يكتفون بهذا ، بـل يسـخرون مـن القـائلين بهـما . ولهـما معنـى بـاطن يصيرون إليه .

فالجنّـة في البـاطن رمـزٌ لإمـامهم ومـوالاتـه ؛ فهـي إشـارة إلى ((قـائم الزمان، إمام المتقين ، القائم بالحقّ ، ومجرّد سـيف التوحيـد، ومفنـي كـلّ جبار عنيد))[٣] .

والنّار في تأويلهم الباطن نوعان ؛ نوع محمود، وآخر مذموم .

فالمحمود منها رمزٌ لإمامهم ومعاداته ؛ فالنار الموقدة التـي تطّلـع عـلى الأفئدة هـي الإمـام المطّلـع عـلى سرائـر العـالم ، العـارف بخبايـا قلـوب الخلائق، وما تُخفي صدورهم تجاهه .

---

(١) انظر من كتبهم : الدروز والثورة السورية لكريم ثابت ص٤٨ .وانظر أيضاً: الفصـل في الملـل والأهواء والنحل لابن حزم ص١/ ٩٣ . والحركات الباطنية لمحمد أحمد الخطيب ص٢٤٢ .
(٢) انظـر الحركـات الباطنيَّـة في الإسـلام لمصـطفى غالـب –الإسـماعيليّ المعـاصر- ص٢٦٣ . والحركات الباطنيَّة في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ٢٤٠ .
(٣) رسالة الزناد للتميمي الدرزي ، نقلاً عن عقيدة الدروز لمحمد أحمد الخطيب ص ١٦٨ .

والمذموم منها رمزٌ لشريعة المسلمين الذين غَوَوْا ، ولحقهم العذاب بسبب اعتناقها –على حدّ زعمهم[(١)]– .

وهكذا تذهب عقيدة الدروز في اليوم الآخر بعيدًا جدًّا عن معتقد المسلمين .

هل التقمص خاص بأبناء الطائفة الدرزية، أو هو عام لكلّ البشر :

يزعم الدروز أنّ التقمص عام لكلّ البشر، لكنَّهم يرون أنَّ الروح في كلّ انتقال لها تحلّ في مولود جديد يحمل نفس مذهب الشخص السابق الذي فارقته؛ فنفس الموحِّد تنتقل إلى موحِّد، ونفس المشرك تنتقل إلى مشرك، ولا تتغيَّر الأنفس، ولكنَّها تُغيِّر قمصانها .

ويتضمَّن التقمُّص عند الدروز أيضاً تمييزاً جنسيًّا ؛ فالذكر حين يموت يُولد ذكراً ، والأنثى أنثى[(٢)] .

وعدد سكَّان العالم –عند الدروز– غير قابل للزيادة ولا النقصان منذ بدء الخليقة ، وسيبقى كذلك إلى الأبد ؛ لأنَّ العالم قد خُلِق دفعة واحدة ، والبشر خُلِقوا سويَّة ، وليسوا بمتناسلين من أب واحدٍ، والذي يموت من البشر تنتقل روحه إلى جسدٍ يُولد جديداً ، ويكون عدد الموتى مساوياً

(١) لاحظ المصدر نفسه .

(٢) انظر : أضواء على مسلك التوحيد لسامي مكارم –الدرزي المعاصر– ص ١٢١–١٢٢ . والحركات الباطنية في العالم الإسلامي للخطيب ص ٢٤٢ .

لعدد المواليد ، حتى يظلّ عدد سكان العالم دون زيادة أو نقصان–على حدّ زعمهم–[١] .

ومن هنا نعرف السرّ الذي لأجله لا يقبل الدروز دخول غيرهم في مذهبهم ، ولا يعترفون بخروج أي واحد منهم عنه ، ولو كان تركه وهو حي طائعًا مختارًا ؛ لأنَّهم يزعمون أنَّ روح الدرزي في نقلتها أو تقمصها الجديد ستحلّ في جسد مولود يحمل نفس المعتقد، وعلى نفس المذهب.

فلا فائدة –على هذا– من دخول الآخرين في مذهبهم ؛ لأنّ أرواح الآخرين سترجع إلى مذاهبهم القديمة ثانية إذا ماتوا[٢] .

اعتقاد الدروز بـ" النُّطق " :

وبجانب اعتقاد الدروز بالتقمص ، نراهم أيضاً يعتقدون بالنطق ، وهو يعني أنَّ الروح حين تنتقل من جسدٍ إلى جسدٍ آخر ، تحمل معلومات عن دورها في الجسد السابق ؛ أي في الجسم الذي كانت تتقمّصه قبل قميصها الحالي .

وفي هذه الحالة تتحدَّث أو تنطق بما تذكره من وقائع عن حياتها السابقة[٣] .

---

(١) انظر: الدروز والثورة السورية لكريم ثابت –الدرزي– ص٣٤. وطائفة الدروز لمحمد حسين ص١٠٩–١١٠. والحركات الباطنيَّة للخطيب ص٢٤٠ .

(٢) انظر : الدروز والثورة السورية لكريم ثابت ص ٤٧ . ومخطوطة في تعليم الديانة الدرزية – جواب السؤال ٢٠– نقلاً عن الحركات الباطنية للخطيب ص ٢٤١ .

(٣) انظر : إسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة ص ٢٨٠ . والحركات الباطنيَّة في العالم الإسلامي للخطيب ص ٢٤١ . وعقيدة الدروز له ص ١٤٧ .

ومعتقد النطق هذا متأصِّلٌ في نفوس الدروز المعاصرين، وهم يُؤلِّفـون الكتب، ويتناقلون كثيراً من القصص الخرافيَّة التي يُحـاولون مـن خلالهـا تدعيم هذا المعتقد.

والناطق باسـم مشـيخة عقل الدروز لا يتردّد في تأييـد هـذا المعتقـد ؛ فيقول : ((ويُمكننا القول أنَّ منطق عمليَّة التقمُّص لا يتعارض مع تـذكُّر الماضي، خاصَّة عنـدما نُـدرك أنَّ نزعـات الفكـر اللطيفـة حسـب عقيـدة التوحيد تنطوي عند الموت في أعماق النفس المنتقلة مـن جسـدٍ إلى جسـدٍ. وهذه النـزعات والأفكار اللطيفة كبذور انطلاقة الحياة التالية، هـي التـي تُحدِّد وضع التقمّص المقبل؛ فلا بُدّ لـبعض الأذهـان إذا صـادفت بعـض الحالات المناسبة أن تتذكَّر الماضي المباشر الذي كانت تعيش فيه))[1] .

القيامة عند الدروز نوعان : صغرى : هي مـا يحصـل لـلأرواح مـن تقمّـص (تناسـخ) ، وكـبرى : عنـد ظهـور معبـودهم الحـاكم في صـورة ناسوتيَّة؛ إذ لهم يوم يؤمنون بقدسيّته وأهميته ، ويصفونه بأنَّه يوم القيامـة ؛ قيامة معبودهم وإلههم الحاكم مرة أخرى في صورة الإنسان ؛ حيث يخـرج من بلاد الصين وحوله يأجوج ومأجوج ، فيأتي الكعبة فيهدمها ، ويفتـك بالمسلمين والنصارى في جميع الأرض[2] .

---

(١) أضواء على مسلك التوحيد لسامي مكارم –درزي معاصر– ص ١٢٧ .

(٢) انظر : طائفـة الدروز لمحمد كامـل حسـين ص ١٢٤–١٢٥ . والحركـات الباطنيـة في العـالم الإسلامي للخطيب ص ٢٣٥–٢٣٦ .

يقول أحد الدروز مخبراً عمَّا يجري بعد ظهور الحاكم : ((.. يهدم الموحِّدون(١) الكعبة ، ويسحقون المسلمين والنَّصارى في جميع أنحاء الأرض، ويملكون العالم إلى الأبد ، ويبسطون سلطانهم على سائر الأمم ، ويفترق النَّاس عندئذٍ إلى أربع فرق: الأولى : الموحِّدون ، والثانية : أهل الظاهر ؛ وهم المسلمون واليهود ، والثالثة : أهل الباطن ؛ وهم النصارى والشيعة ، والرابعة : المرتدُّون ؛ وهم الجُهَّال الجهلاء . ويعمد حمزة(٢) إلى أتباع كلّ طائفة غير الموحِّدين فيدمغهم في الجبين واليد بما يُميِّزهم من غيرهم، ويفرض عليهم الجزية وغيرها من فروض الذلَّة والطاعة. وأمَّا

(١) وهو الاسم الذي يُحبّه الدروز ، ويتسمّون به، ويزعمون أنَّه الاسم الذي عُرفوا به من قديم الزمن ؛ قبل الإسلام ، لا بل قبل التاريخ المعروف أيضاً . (انظر طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص ٨) .

(٢) ابن علي بن أحمد الزَّوزني : من الطلبة الإسماعيليِّين الذين وفدوا إلى مصر لتلقي العلوم الباطنيَّة في ظلّ الدولة العبيديَّة سنة ٤٠٥هـ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون إلى دار الحكمة؛ لحضور مجالس الحكمة التأويليَّة . وما عتم أن أصبح ممثلاً لدعاة الفرس ، وهمزة وصلٍ بينهم وبين الحاكم بأمر الله ، الذي ضمَّه إلى حاشيته ، وأسكنه في قصره. وفي بعض الوثائق الإسماعيليَّة السريَّة ما يُشير إلى أنَّه أصبح من الدعاة الذين يكونون دائماً في معيَّة الإمام، ولا يُفارقون مقرّ قيادته أبداً . وسُرعان ما أصبحت له حظوة عند الحاكم، بعدما أظهره من إخلاص، وما بذله من جهدٍ في تقوية أواصر الدعوة وتركيز دعائمها في فارس . كما أنَّه ساهم مساهمةً فعَّالةً في خوضِ غمار الجدلِ الدينيّ، وفلسفة المذهب الذي يُبشِّر به، واستطاع أن يُجمِّع حوله بعض الدعاة ، ويتفقوا سِرَّاً للدعوة إلى تأليه الحاكم بأمر الله، معتمداً في دعوته هذه على أصول وأحكام جديدة استنبطها من صميم الأصول والأحكام الإسماعيليَّة.(انظر: الحركات الباطنيَّة في الإسلام لمصطفى غالب–إسماعيلي– ص٢٤١. وعقيدة الدروز للخطيب ص٣١-٣٢. ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة للأمين ص١٥٩. والشيعة–المهدي–الدروز للنمر ص٢٣٧) .

أصحابه : فالعقلاء منهم يُصبحون أرباب السلطة، والمال، والجاه في سائر أنحاء الأرض))[١] .

وهذا اليوم –يوم القيامة الكبرى عند الدروز– مذكورٌ في مصحف الدروز –الموسوم بالمصحف المنفرد بذاته– ، وعنه يقول معبودهم الحاكم أبو علي العبيدي[٢] : ((حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصةٌ أبصارهم أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنَّا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين. لقد نسي هؤلاء هذا اليوم وقد وقع لهم ووقعوا فيه وهم لا يشعرون. وكبكبوا على وجوه قبلتهم حتى غشيتهم الغاشية. أولم ير هؤلاء كيف مدّ لهم مولانا الحاكم الحياة أمداً الآن حصحص الحق))[٣] .

---

(١) نقل ذلك عنهم: محمد عبد الله عنان في كتابه: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص١٤٧-١٤٨. وانظر: الحركات الباطنية للخطيب ص٢٣٥-٢٣٦، ٢٤٨-٢٥٠. وعقيدة الدروز له ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله العبيدي القرمطي الإسماعيلي ، معبود الدروز ، الذي لقّب نفسه بالحاكم بأمر الله . ولد في القاهرة سنة ٣٧٥هـ ، وتولى الملك بعد موت أبيه سنة ٣٨٦هـ. وهو سادس الملوك العبيديّين. كان مهزوز الشخصيَّة، ضعيف العقل ، مختلّ التفكير ، تُشبه أفعاله وتصرفاته تصرفات المجانين أو المهوسين. أسرف في سفك الدماء وإرهاب الناس. وقد ادّعى له أتباعه الألوهية وكانت نهايته القتل على يد أخته سنة ٤١١هـ. (انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٤/ ١٧٦-١٧٧، ١٨٦ . وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ٦٠١ . ومذاهب الإسلاميّين لعبدالرحمن بدوي ٢/ ٦٠٩ . وطائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص٤٠-٤١. وعقيدة الدروز للخطيب ص ٤١-٤٢. والحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لعبدالله عنان ص ٦٢-٦٣، ٦٦) .

(٣) المصحف المنفرد بذاته – من كلام الحاكم– ، ص ٨٥ .

فالحاكم عند ظهوره مرة أخرى في صورة ناسوتيَّة –على حدّ زعم الدروز– يهدم الكعبة ويقتل المسلمين ، وينتقم من جميع المخالفين .

والدروز يذكرون لهذا اليوم علامات تسبق مجيئه ، وتدلّ عليه ، منها(١):

(١)– عندما يتسلَّط اليهود والنصارى على البلاد .

(٢)– عندما يتملَّك اليهود بيت المقدس .

(٣)– عندما يستسلم النَّاس إلى الآثام والشهوات، ويأخذون بالآراء الضالَّة

فعند ظهور هذه العلامات، يظهر إلههم ومعبودهم –الحاكم– في صورته الناسوتيَّة. وهذه هي القيامة الكبرى –عندهم– .

إذًا : هذا هو اليوم الآخر عند الدروز ، ومنه يتّضح موقفهم من نصوص الكتاب والسنَّة ؛ الإلغاء التامّ لنصوص المعاد والقيامة والحساب والثواب والعقاب وحشر الأبدان بمعناها الحقيقيّ ، والاستعاضة عن ذلك بعقائد زعموا أنّ معنى النصوص في الباطن يؤيّدها .

---

(١) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص١٢٤ .وعقيدة الدروز للخطيب ص١٦٥ .

المبحث الرابع :

موقف البابيَّة والبهائية من اليوم الآخِر

البابيَّة من الفرق الباطنيَّة التي ظهرت في العصر الحديث ، وأَلْقَتْ بثقلها في المجتمع الإسلاميّ –مدعومةً من أعداء الإسلام– ، هادفة إلى إخراج المسلمين من عقيدتهم الإسلاميَّة ، وتشكيكهم في رسالة نبيِّهم محمَّد ﷺ ، وأنَّه خاتم المرسلين .

وهي إحدى فرق الباطنيَّة التي نشأت وتربَّتْ في أحضان الشيعة الاثني عشريَّة، ثمّ انشقت عنها ، وأتت بمعتقدات فاسدة ؛ أشهرها زعمهم أنَّ روح المهدي المنتظر قد حلَّت في أئمَّة البابيَّة –بنوع من التناسخ– ، وأنَّ الشريعة البابيَّة قد نَسَخَتْ بمجيئها شريعة الدين الخاتم ؛ الإسلام .

وسُمِّيَت البابيَّة بهذا الاسم لدعوى مؤسِّسها[1] أنَّ روح المهدي المنتظر –القائم، صاحب الزمان، الإمام المنتظر؛ كما يحلو لهم أن يسمُّوه– قد حلَّت فيه، فصار وكيله، والسفير بينه وبين الخلق، والباب الموصل إليه[2].

---

(١) مؤسّس البابية هو علي بن محمد رضا الشيرازي.ولد في بلدة شيراز سنة ١٢٣٥هـ.وتولّى زعامة البابية سنة ١٢٦٠هـ زعم قبل أن يُقتل سنة ١٢٦٥هـ أنَّه المظهر الإلهي ، وأنَّ الحقيقة الإلهيَّة حلّت فيه أتمَّ حلول. (انظر: البابية للحموي ص ١٢–١٤. والبابية لإحسان ص ٥٦، ١٥٨–١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٨–١٧٠) .

(٢) انظر : البابية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦، ١٦١ . والمذاهب المعاصرة لعبدالرحمن عميرة ص ٢٥٣ . والتآلف بين الفرق لمحمَّد حمزة ص ١٨٣–١٨٤ .

وتُعدُّ البابيَّـة الحركـةَ الأمّ التـي وضـعت الأسـس ، ومهَّـدت السـبل لظهور البهائيَّة؛ إذ تعود أُصول أغلـب التعـاليم والمعتقـدات البهائيَّـة إلى البابيَّة التي سلكت طريقاً يُعدّ استكمالاً لما بدأته الفرق الباطنيَّة .

وتُعـرَّف البهـائيَّة : بأنَّها فرقةٌ من فـرق الباطنيَّـة، قامـت عـلى أنقـاض البابيَّـة، وتبنَّـت أغلـب معتقـداتها ، وزادت عليهـا عـددًا مـن العقائـد الإلحاديَّة.

وهي –أي البهائيَّة– تهدف إلى إكمال فصول المسرحيَّة التي بـدأت مـع بداية البابيَّة.

وقد سُمِّيَت بهذا الاسم لدعوى مؤسِّسها "حسين عـلي المازنـدراني"[(١)] أنَّه المُمَثِّل الوحيد لبهاء الله ﷻ؛ فالله قد حلّ فيه بنوره ، وظهـر فيـه–عـلى حدّ زعمه[(٢)]– .

---

(١) ولد في قرية "نور" من إقليم مازندران –من بلاد فارس– سنة ١٢٣٣هـ. وبعد مـوت البـاب ادّعى أنَّه الخليفة الحقيقي له. ثمّ ادّعى أنَّه الممثّل الوحيد لبهاء الله ؛ فالله قد حلّ فيه ، وظهر فيه على حدّ زعمه . توفي سنة ١٣٠٩هـ، ودفن قرية "البهجة" بجوار عكا –في فلسطين– ، وقـبره هو القبلة الجديدة للبهائية . (انظر : البهائية والقاديانية للسحمراني ص ٧٦. والبهائية لإحسان ص ٤٢-٤٤ ، ٨٩) .

(٢) انظر : البهائيَّة لإحسان إلهي ظهير ص ٨٩ .

أمَّا عن معتقد البابيَّة في اليوم الآخـر :

فلم يؤمـن البابيَّة بالمعاد، وحشر الأجسـاد، والنشرـ، وعـذاب القـبر، ونعيمه، والجنَّة، والنَّار، وغيرها من العقائد الغيبيَّة كما آمن بها المسـلمون، بل جاءوا بمفاهيم تغاير تماماً تلك المفاهيم التي جـاء بها الإسلام .

وقد استخدموا منهجهم الفاسد في التأويل بالباطن ، ليُعارضوا ما دعا الأنبياءُ النَّاسَ إلى الإيمان به[١] .

فقالوا عن القيامة: إنَّها قيامة الروح الإلهيَّة في مظهرٍ بشريّ جديد[٢] .

أمَّا البعث : فهو الإيمان بأُلوهيَّة هذا المظهر .

ولقاء الله يوم القيامة هو لقاء الباب؛ لأنَّه هو مظهر الله—كما زعموا–

والجنَّة هي الفـرح الروحـي الـذي يشـعر بـه مـن يـؤمن بهـذا المظهـر الإلهيّ[٣]

والنَّار هي: الحرمان الذي يجده من لم يعرف الله في مظهره البشريّ[٤]

---

(١) انظر تأويلاتهم الباطنيَّة لليوم الآخـر في : البابيَّـة للحمـوي ص ٢٨-٢٩ . والنحلـة اللقيطـة للنمر ص ٦٢-٦٣ ، ١٣٣-١٣٤ . والبابيَّة لإحسان ص ١٩٦-٢٠٤ .

(٢) انظر الإيقان للمازندراني ص ١٤٤ ، نقلاً عن البابيَّة لإحسان ص ١٩٦ .

(٣) انظر : بهاء الله والعصر الجديد لداعية البهائيَّة أسلمنت ص ٢٩ . وانظر البابيَّـة لإحسـان ص ٢٠٠ .

(٤) انظر المرجع نفسه .

أمَّا الحساب ، والميزان : فيزعم البابيَّـة أنَّـه في هـذه الـدار ، لا في الـدار الآخرة ، كما هو معتقد المسلمين . يقول البـاب الشـيرازي:((أتحسـبون أنَّ الحساب والميزان في غير هذا العالم؟ قل سبحان الله عمَّا يظنّون))[1] .

فهذه أمور الآخرة، مُسخت عند البابيَّة ، وغايرت معتقد المسلمين، بل ومعتقدات سائر الأمم والملل ؛ مسخوها بقصد تشكيك النَّاس فيها ؛ كي يتشجعوا على فعـل المحرَّمـات لانتفـاء المؤاخـذة –بـزعمهم-، وبطـلان البعث، والحشر ، والنشر ، والميزان ، والحساب ، والجنَّة ، والنَّار .

ولا يبعد موقف البهائيَّة من اليوم الآخـر عن البابية كثيرًا :

فالبهائيَّون يدّعون أنَّ القيامة التي يؤمن بها المسلمون ما هي إلاّ وهـم، وحديث خرافة . ويسلكون مع النصوص المتعلقة باليوم الآخر –كديـدن من هم على شاكلتهم-مسـلك التأويـل البـاطنيّ ؛ فيزعمـون أنَّ مشـاهد الجنَّة والنَّار ما هي إلاَّ رموزٌ وإشارات[2] .

فيـوم القيامة –عندهم- هو لقاء البهاء ؛ كما أخبر بذلك البهـاء نفســه بقوله : ((هذا اللقاء لا يتيسَّر لأحدٍ إلا في القيامة ؛ التي هي قيام نفـس الله

(١) البيان للشيرازي، نقلاً عن البابيَّة لإحسان ص١٩٩ . والنحلة اللقيطة للنمر ص٦٣ .
(٢) انظر : البهائيَّـة للحمـد ص ٨ . وحقيقـة البابيَّـة والبهائيَّـة لمحسـن عبـد الحميـد ص ١٤٩ . والبهائيَّة للحموي ص ٣٤-٣٥ . والبهائيَّة لإحسان ص ١٨١-١٨٢ .

بمظهره الكلِّي . وهذا هو معنى القيامة المذكورة والمسطورة في كلّ الكتب، والتي بها وُعِد جميعُ النَّاس ، وبُشِّروا بذلك اليوم ..))[(١)] .

أمَّا حقيقة الجنَّة –عندهم–، فهي: راحة النفوس، وفرحتها بالإيمان بالبهاء[(٢)].

وحقيقة النَّار : عذاب النُّفوس، وسعيرها ، وانكسارها بسبب كفرها بالبهاء[(٣)] ؛ ((فسرور الجنَّة ونعيمها روحانيّ، وآلام الجحيم عبارة عن الحرمان من هذا النعيم))[(٤)].

ويزعمون أنَّ الحشر ما هو إلاّ ما هم فيه بعد قيامة الظهور البهائي[(٥)] .

فلا يؤمنون بشيء ممَّا يُؤمن به المسلمون من مشاهد يوم القيامة ، فضلاً عن الإيمان باليوم نفسه . وهذا من أسباب ودواعي حكم المسلمين عليهم بالكفر.

وهذا هو ديدن فرق الباطنية جميعًا : إنكار اليوم الآخر ، وعدم الإيمان به ، وزعمهم أنَّ للشريعة ظاهرًا وباطنًا .

---

(١) الإيقان للمازندراني ص ١١٢ ، نقلاً عن البهائية والقاديانية للسحمراني ص ٩٨ .
(٢) انظر النحلة اللقيطة للنمر ص ١٤٣ .
(٣) انظر النحلة اللقيطة للنمر ص ١٤٣ .
(٤) بهاء الله والعصر الجديد لأسلمنت –أحد دعاة البهائيَّة– ص ١٨٦ .
(٥) انظر النحلة اللقيطة للنمر ص ١٤٣ .

((وأمَّا قولهم بأنّ للشريعة ظاهراً وباطناً، وتأويل الفرائض الإسلاميَّة على هذا الأساس: فهو هدف الباطنيَّة والغلاة عموماً ؛ ابتداء من الإسماعيليَّة، ومروراً بالدروز، وانتهاء بالنصيريَّة، لمسخ الشريعة، وهدم الدين))[1] .

(١) الحركات الباطنية في الإسلام للخطيب ص ٤١٧ .

الخاتمة

وفيها مقارنة ، وأهمّ النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، وعلى الآل والأصحاب والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد : فهذه مجموعةٌ من النتائج التي جالت في خاطري أثناء كتابة هذا البحث، أوجزها فيما يأتي :

١- لوحظ التشابه الكبير بين معتقدات فرق الباطنية في "القيامة الصغرى" ؛ فهي عندهم خلعُ الروح للبدن الذي كانت تسكنه، وتعاقبها في الأبدان بصورٍ مختلفة . وإن كانت النصيريّة ترى أنّ هذا التناسخ يأخذ أشكالاً أربعة (النسخ-المسخ-الفسخ-الرسخ) . وخالف الدروز في التسمية التي تُطلق على ذلك ؛ فرأوا أنّ اسم "التقمّص" أصوب ؛ لأنّ الروح تُشبه قميصًا خُلع عن بدن ، ليلبس بدنًا آخر .

٢-ولوحظ أيضًا أنّ معنى "القيامة الكبرى" عند كلّ فرقة من فرق الباطنية مرتبطٌ بإمام تلك الفرقة ؛ فالإسماعيليّة يرون خروجَ إمامهم وقيام قائم زمانهم هو القيامة الكبرى . وقول الدروز لا يبعد عن ذلك كثيرًا ؛ فالقيامة الكبرى عندهم : ظهور معبودهم "الحاكم" في صورة ناسوتيّة –بشريّة– . والبابيّة والبهائيّة نحَوْا المنحى نفسه ؛ حين زعموا أنّ القيامة الكبرى هي قيام الروح الإلهيّة في مظهر بشريّ جديد . بينما وافقت

النصيريّة –البنت– الشيعةَ الاثني عشريّة –الأمّ– في معتقد الرجعة ، وزعمت أنّه رمزٌ للقيامة الكبرى .

٣–ولوحظ أنّ الجنّة والنّار عند فرق الباطنيّة جميعًا رمزٌ لإمامهم ؛ فبقدر موالاته والإيمان به تتحقّق اللذّة الأزليّة الباقية غير المنقطعة ، وبقدر إنكاره ومعاداته تتعرّض الروحُ للآلام والأوجاع والأوصاب التي لا تنفكّ عنها، ولا مطمع في رفعها، ولو تركت بدنًا لتحلّ بدنًا آخر .

٤ – مِمّا قرّره علماءُ الفرق والمذاهب : أنّ كلّ باطنيّ رافضيّ ، وليس كلّ رافضيّ باطنيًّا .

٥ – معتقد الباطنيَّة يعني أنّ لظواهر النصوص –من الكتاب والسنَّة– بواطن تجري في الظواهر مجرى اللبّ من القشر ، وأنّها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جليّة ، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة .

٦ – فرق الباطنيَّة جميعها ترى أنّ ديانتهم سرّ مصون لا يجوز نشره، ولا يسمح لأحدٍ بإذاعته .

٧– فرق الباطنيّة جميعها تُشكِّك في القرآن الكريم،وتزعم أنّ لها كتبًا ناسخة أفضل منه.

٨– فرق الباطنية جميعها، كان أصحابها في أول أمرهم على مذهب الرفض، وتربّوا في أحضان الرافضة، ثمّ انشقوا عنهم، وزادوا على

معتقـداتهم الفاسـدة معتقدات كثيرة غالية، وينطبق عليهم قول الغـزالي: ((ظاهرهم الرفض ، وباطنهم الكفر المحض)).

٩- فرق الباطنية جميعها لا تؤمن بالمعاد وحشر الأجساد ، ولا بعـذاب القبر ونعيمه ، ولا الجنة والنار ، ولا غيرها من أمور الآخرة كما يؤمن بهـا المسلمون. بل مفاهيمهم التي أتوا بها تُغاير تمامًا تلك المفـاهيم التـي جـاء بها الإسلام .

١٠- الذين وضعوا أسس دين الباطنية كانوا من أعـداء الإسـلام مـن اليهود والمجوس والصابئة والهندوس والفلاسفة وغـيرهم، مِمَّـن جمعهـم الحقد على الإسلام والعداء لأهله.وكان غرضهم من إقامة هذا المـذهب: هدم الإسلام وإبطال الشريعة بأسرها، ونفي الصانع .

١١- حـين ادّعـى الباطنيـة أنَّ لكـل شيء ظـاهرًا وباطنًـا ، وأنّ لكـلّ تنـزيل تأويلاً ظـاهره غـير مـراد ، شـكَّكوا النـاس في ظـواهر التنـــزيل ، وقدّموا للعقيدة مفهومًا مُغـايرًا لمفهـوم التوحيـد الإسـلامي، ودعـوا إلى إسقاط التكاليف الشرعيَّة والفروض الدينيَّة .

١٢- ضرر الباطنيَّة على الإسلام والمسـلمين أعظـم مـن ضرر اليهـود والنصارى والمجوس وسائر أعداء الدين .

نسأل الله تعالى أن يقيَ المسلمين شرورَ أعدائهم بمنِّه وكرمه إنّه سـميعٌ مجيبٌ .

والحمد لله أولاً وآخرًا .

<١>- فهرس المصادر العامة

(١)- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : لعبدالقادر شيبة الحمد . من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢)- أساس البلاغة : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

(٣)- إسلام بلا مذاهب : لمصطفى الشكعة . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط٥ ، ١٣٩٦هـ .

(٤)- الإسلام بين المذاهب والأديان : لأسعد السحمراني . دار النفائس، بيروت ، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٥)- الإسماعيلية المعاصرة : الأصول-المعتقدات-المظاهر الدينيَّة والاجتماعيَّة : لمحمد ابن أحمد الجوير . (د . ن) ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

(٦)- أصول الإسماعيلية : دراسة- تحليل- نقد : لسليمان عبدالله السلومي . دار الفضيلة ، الرياض ، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

(٧)- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية : لبرنارد لويس "مستشرق فرنسي" . دار الحداثة ، ط١ ، ١٩٨٠م .

(٨)- أصول الدين : لعبدالقاهر البغدادي . طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ط١: ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

(٩)- أضـواء عـلى العقيـدة الدرزيَّـة : لأحمـد الفـوزان . (د . ن) ، ط١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

(١٠)- أضواء على النصيريَّة المعاصرة : لرشدي عليَّان . ضمن محـاضرات ندوة كليَّة الشريعة بالعراق ، سنة ١٩٨٥ .

(١١)- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : لفخر الدين محمـد بـن عمـر الرازي. تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي. ط دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(١٢)- الأعلام : للزركلي. ط دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنـان . ط٦ ، ١٩٨٤ م .

(١٣)- الإفحام لأفئدة الباطنيَّة الطغام : ليحيى بن حمزة العلـويّ . تحقيـق فيصل عون ، وعلي سامي النشار . منشأة المعارف بالاسكندرية .

(١٤)- البابيَّة : عرض ونقد : لإحسان إلهـي ظهـير. إدارة ترجمـان السـنة، لاهور-باكستان ، ط٣ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

(١٥)- البابيَّة : لعبدالله صالح الحموي. مكتبة السروات، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

(١٦)- البداية والنهاية: لابـن كثـير الدمشـقي . تصـوير مكتبـة المعـارف ببيروت ـ لبنان ، ١٩٧٧م .

(١٧)- البرهـان في معرفـة عقائـد أهـل الأديـان : لعبـاس بـن منصـور السكسكي . تحقيق الدكتور بسام العموش ط مكتبة المنار، الأردن ، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(١٨)- البهائيَّة: نقد وتحليلي : لإحسان إلهي ظهير . إدارة ترجمـان السـنة ، لاهور- باكستان ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

(١٩)- البهائيَّة : لعبدالله صالح الحموي. مكتبة السروات، الريـاض، ط١ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

(٢٠)- البهائيَّة : لمحب الدين الخطيب . المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م .

(٢١)- البهائيَّة : لمحمد إبراهيم الحمد. دار القاسم للنشر، الرياض، ط١ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

(٢٢)- البهائيَّة والقاديانيَّة : لأسعد السحمراني . دار النفـائس ، بـيروت ، ط٢ ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م .

(٢٣)- بيان مذهب الباطنيَّة وبطلانه"منقول من كتاب قواعد آل محمـد": لمحمد بن الحسن الـديلمي.عنـي بتصـحيحه : ر-شروطـمان. نشرـ إدارة ترجمان السنة ، لاهور-باكستان ، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

(٢٤)- تاريخ الإسلام السياسي والـديني والثقـافي والاجتماعـي : لحسـن إبراهيم حسن . ط٨ ، ١٩٧٤م .

(٢٥)- تاريخ ابن خلدون : لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون . منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ م .

(٢٦)- تاريخ الدولة الفاطمية : لحسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة، ط٢، ١٩٥٨م ،، ط٣ ، ١٩٦٤م .

(٢٧)- تاريخ المذاهب الإسلاميَّة في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيَّة: لمحمد أبو زهرة. ط دار الفكر العربي، القاهرة، (د . ت) .

(٢٨)- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين : لأبي المظفر الاسفرايني . تحقيق كمال يوسف الحوت . ط عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(٢٩)- تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة : لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني . ط عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(٣٠)- جامع الترمذي. مطبعة البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٩٧٧م . تحقيق أحمد محمد شاكر .

(٣١)- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية : للحسيني عبد الله . دار الاعتصام ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

(٣٢)- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطميَّة : لمحمد عبدالله عنان. ط٢، ١٣٧٩هـ .

(٣٣)- الحركات الباطنيَّة في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها: لمحمد أحمد الخطيب . مكتبة الأقصى، عمَّان-الأردن،،عالم الكتب، الرياض-السعوديَّة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٣٤)- حركات الشيعة المتطرّفين ، وأثرهم في الحياة الاجتماعيَّة والأدبيَّة : لمحمد جابر عبدالعال .

(٣٥)- حركة الغلوّ وأصولها الفارسيَّة : لنظلة الجبوري .

(٣٦)- حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة : لجلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي . المطبعة الشرفية ، ١٣٢٧هـ .

(٣٧)- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: لعبدالله الأمين. ط دار الحقيقة، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(٣٨)- دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة : لعرفان عبدالحميد . ط مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٣٩)- دراسات في الفرق "الشيعة ، النصيرية، الباطنية، الصوفية ، الخوارج" : لصابر طعيمة . نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

(٤٠)- سنن أبي داود. الناشر: حمص ـ سوريا . ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م. تحقيق عزت عبيد الدعاس .

(٤١)- سنن ابن ماجه . ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ـ مصر ـ . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٤٢)- سنن النسائي . نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ـ سوريا، مصورة عن ط١ المصرية،سنة ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م ط أولى مفهرسة.

(٤٣)- سير أعلام النبلاء : لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٤٤)- السنة: لابن أبي عاصم. ط المكتب الإسلامي . ط١ ، ١٤٠٠هـ . تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

(٤٥)- الشيعة – المهدي – الدروز "تاريخ ووثائق" : لعبدالمنعم النمر . ط٣ ، ١٤٠٨هـ .

(٤٦)- الصحاح : للجوهري . ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م . تحقيق أحمد عبدالغفور عطار .

(٤٧)- الصحائف الإلهية: لشمس الدين السمرقندي . حققه وعلق عليه: الدكتور أحمد عبدالرحمن الشريف. مكتبة الفلاح، الكويت . ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٤٨)- صحيح البخاري . تصوير عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان . ط٢ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م . مصورة عن الطبعة المصرية المنيرية .

(٤٩)- صحيح مسلم . ط دار إحياء التراث العربي . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٥٠)- طائفة الإسماعيليَّة ، تاريخها ، نظمها ، عقائدها : لمحمد كامل حسين . ط مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٩م .

(٥١)- طائفة الدروز : لمحمد كامل حسين. دار المعارف، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨م .

(٥٢)- طائفة النصيريَّة : تاريخها وعقائدها : لسليمان الحلبي . نشر الدار السلفيّة، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٥٣)- طبقات الشافعية: لعبدالوهاب بن علي السبكي. طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة-مصر. (د.ت) .

(٥٤)- عقيدة الدروز: عرض ونقد: لمحمد أحمد الخطيب. مكتبة الأقصى، عمان-الأردن ، ط١ ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

(٥٥)- العقيدة والشريعة في الإسلام : لجولد تسيهر "مستشرق يهودي نمساوي". دار الكتب الحديثة ، مصر،، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط٢ .

(٥٦)- العلويّون أو النصيرية: لمجاهد الأمين . المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان .

(٥٧)- العلويّون : من هم ؟ وأين هم ؟ لمنير الشريف .

(٥٨)- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء .

(٥٩)- الفرق بين الفرق: لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط دار المعرفة، بيروت، (د.ت) .

(٦٠)- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ؛ ابن حزم . دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ .

(٦١)- فضائح الباطنية: لأبي حامد الغزالي. حققه وقدم له: عبدالرحمن بدوي.ط مؤسسة دار الكتب الثقافيَّة،الكويت-حولي. (د . ت).

(٦٢)- الفلسفة الإسلامية، وصلتها بالفلسفة اليونانية: محمد السيد نعيم، وعوض الله حجازي. دار الطباعة المحمدية، القاهرة-مصر، ط٢ (د . ت) .

(٦٣) ـ القاموس المحيط: للفيروزابادي. منشورات عالم الكتب، بيروت .

(٦٤)- القرامطة : لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٤هـ .

(٦٥)- القرامطة : لمحمود شاكر . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٦٦) ـ الكامل في التاريخ : لابن الأثير . ط دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

(٦٧) ـ الكشاف: للزمخشري. ط مصطفى البابي الحلبي، مصر. تحقيق محمد الصادق قمحاوي .

(٦٨)- كشف أسرار الباطنيَّة وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم: لمحمد بن مالك ابن أبي الفضائل الحمادي اليماني. مكتبة ابن سينا، القاهرة، (د . ت).

(٦٩) ـ لسان العرب : لابن منظور الأفريقي . ط دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٨٨هـ .

(٧٠) ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: للسفاريني. مطابع دار الأصفهاني وشركاه، جدة ـ السعودية، ١٣٨٠هـ.

(٧١) ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم الحنبلي .

(٧٢)- مذاهب الإسلاميِّين : لعبد الرحمن بدوي . دار العلم ، بيروت- لبنان ، ط١ ، ١٩٧١م .

(٧٣) ـ المستدرك على الصحيحين : للحاكم النيسابوري . نشر ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ـ سوريا .

(٧٤) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل . ط الحلبي ، القاهرة ، ١٣١٣هـ نشر ـ دار صادر ، بيروت ـ لبنان .

(٧٥) ـ مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار: ليحيى بن حمزة العلوي. ط الدار اليمنية للنشر والتوزيع، اليمن ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ .

(٧٦) ـ المعجم الوسيط : لمجموعة من الأساتذة. طبع مطابع دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

(٧٧) ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : لأبي الحسن الأشعري . تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. نشر مكتبة النهضة المصرية. ط٢، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٧٨) ـ الملل والنحل : لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني. تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل. ط دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، (د . ت) .

(٧٩)- من تاريخ الحركات الفكريَّة في الإسلام : لبندلي جوزي .

(٨٠)- ميزان الاعتدال: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. طبعة دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط١: ١٣٨٢هـ .

(٨١)- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لأبي المحاسن جمال الدين يوسف؛ ابن تغري بردي. نشر المؤسسة المصرية للتأليف،(د . ت).

(٨٢)- النحلة اللقيطة "البابية والبهائية" : تاريخ ووثائق : لعبدالمنعم النمر . مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، (د . ت) .

(٨٣)- النصيريَّة : لسهير محمد علي الفيل . دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

<٢>- فهرس مصادر الرافضة والباطنيَّة

(٨٤)- إثبات الإمامة : لأحمد بن إبراهيم النيسابوري "الإسماعيلي" . تحقيق مصطفى غالب . ط دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

(٨٥)- إثبات النبوات: لأبي يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني "الإسماعيلي". تحقيق: عارف تامر . دار المشرق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م.

(٨٦)- أربع رسائل إسماعيليَّة. تحقيق : عارف تامر . نشر دار الكشاف ، بيروت ، ط١، ١٩٥٣م. وطبعة أخرى: دار مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٧٨م .

(٨٧)- أساس التأويل : للقاضي النعمان "الإسماعيلي". تحقيق عارف تامر. دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠م .

(٨٨)- أسبوع دور الستر: لأحمد حميد الدين الكرماني"الإسماعيلي". مطبوع ضمن أربع رسائل إسماعيلية. تحقيق: عارف تامر. نشر دار الكشاف، بيروت، ط١، ١٩٥٣م.

(٨٩)ـ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب : لعلي اليزدي الحائري مؤسسة مطبوعاتي حق بين ، قم ـ إيران . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان ، ط٤ ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

(٩٠)- الإمامة وقائم القيامة: لمصطفى غالب "الإسماعيلي" . منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٩٨١م .

(٩١) ـ الأنوار النعمانية : لنعمة الله الجزائري الموسوي . مطبعة شركة جاب ، تبريز ـ إيران .

(٩٢) ـ الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة : للحر العاملي. انتشارات نويد، إيران ، ١٣٦٢هـ . صححه هاشم الرسولي المحلاتي .

(٩٣)- الباكورة السليمانيَّة في كشف أسرار الديانة النصيريَّة "العلويّة": لسليمان أفندي الأذني "نصيري". دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٩٤) ـ البرهان في تفسير القرآن : لهاشم بن سليمان الحسيني البحراني المطبعة العلمية، قم ـ إيران، ط٢، و ط٣، ١٣٩٣هـ ، يقع في أربعة مجلدات .

(٩٥)- بهاء الله والعصر الجديد : لداعية البهائيَّة "أسلمنت" .

(٩٦)- تاج العقائد ومعدن الفوائد : لعلي بن محمد الوليد "الإسماعيلي" . تحقيق عارف تامر . مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م .

(٩٧)- تاريخ الدعوة الإسماعيلية : لمصطفى غالب "الإسماعيلي". نشر- دار الأندلس، بيروت-لبنان ، ط٣، ١٩٧٩م .

(٩٨)- تاريخ العلويين : لمحمد أمين غالب الطويل "النصيري" . دار الأندلس، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م .

(٩٩)- تاريخ العلويين "نقد وتقريظ" : لعبدالرحمن الخير. مكتبة الشرق الجديد، دمشق، ط٤ ، ١٩٩٦م .

(١٠٠)- تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي : لسامي مكارم "درزي" ، وعباس أبو صالح . منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء .

(١٠١)ـ تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب. دار صادر، بيروت لبنان .

(١٠٢)- تأويل الدعائم : للقاضي النعمان المغربي "الإسماعيلي". تحقيق آصف علي فيض. دار المعارف ، مصر .

(١٠٣)- تعليم الديانة الدرزيَّة = رسالة تعليم دين التوحيد (المعروف بدين الدرزية) : لمؤلف مجهول . مخطوط .

(١٠٤)- تعليم الديانة النصيريَّة . مخطوط . يوجد في المكتبة الأهلية بباريس ، رقم ٦١٨٢ عربي .

(١٠٥)ـ التنبيه والإشراف : للمسعودي. من منشورات المكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق.

(١٠٦)- الجيل التالي : لمحمد حسين. دار العقيدة للتأليف والتحقيق والطباعة والترجمة . ط٣ ، ١٩٨٥م .

(١٠٧)- الحركات الباطنيَّة في الإسلام : لمصطفى غالب "الإسماعيلي" . دار الكاتب العربي ، بيروت .

(١٠٨)ـ حق اليقين في معرفة أصول الدين: لعبدالله شبّر. دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م . مجلدان .

(١٠٩)- الدروز والثورة السوريَّة وسيرة سلطان باشا الأطرش : لكريم ثابت "درزي" .

(١١٠)- الدروز : وجودهم ، ومذهبهم، وتوطنهم : لسليم أبو إسماعيل .

(١١١)- الدستور ودعوة المؤمنين للحضور: لشمس الدين بن أحمد الطيبي "الإسماعيلي" نشرت ضمن أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيق عارف تامر . نشر دار الكشاف ، بيروت ، ط١ .

(١١٢)- دعائم الإسلام : للقاضي النعمان بن محمد المغربي "الإسماعيلي". دار المعارف، القاهرة .

(١١٣)- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة: لهبة الله بن موسى بن داود "الإسماعيلي" . تحقيق وتقديم محمد كامل حسين. دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.

(١١٤)- راحة العقل : لحميد الدين أحمد بن عبدالله الكرماني "الإسماعيلي". تحقيق وتقديم: مصطفى غالب . نشر دار الأندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧م .

(١١٥)- زهر بذر الحقائق : لإبراهيم بن الحسين الحامدي "الإسماعيلي" . طبع ضمن منتخبات إسماعيلية. جمع: عادل العوا. دمشق-سوريا ، ١٣٧٨هـ .

(١١٦)ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: لأبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي. مطبعة الحيدري. نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، ط١ ، ١٣٨٤هـ . صححه وعلق عليه : محمد الباقر البهبوتي .

(١١٧)- عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين" : لعبدالرحمن الخير. توزيع مكتبة الشرق الجديد ، دمشق ، ط٩ ، ١٩٩٦م .

(١١٨)- العلويُّون أو النُّصيريَّة:لعبدالحسين مهدي العسكري. (د . ن)، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

(١١٩)- العلويُّون بين الأسطورة والحقيقة : لهاشم عثمان . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت-لبنان ، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

(١٢٠)- العلويُّون في مواجهة التجنّي = المسلمون العلويون في مواجهة التجني.

(١٢١)- الفتوحات المكية : لابن عربي الطائي الحاتمي؛ محمد بن علي . ط دار صادر، بيروت-لبنان . (د . ت) .

(١٢٢) ـ فرق الشيعة: لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي . المطبعة الحيدرية، النجف ـ العراق . علق عليه : محمد صادق آل بحر العلوم .

(١٢٣)- القصيدة التائيَّة : لعامر البصري "الإسماعيلي" . ضمن أربع رسائل إسماعيلية. تحقيق: عارف تامر . نشر دار الكشاف ، بيروت ، ط١، ١٩٥٣م. وطبعة أخرى: دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨م .

(١٢٤)- كتاب الصراط . المنسوب إلى المفضّل بن عمر الجعفي -وهو من كتب النصيرية- . تحقيق المنصف بن عبدالجليل. دار المدار الإسلامي، بيروت ، لبنان . نشر وتوزيع دار أويا ، طرابلس ، ليبيا . ط١، ٢٠٠٥م .

(١٢٥)- كنز الولد : لإبراهيم بن الحسين الحامدي "الإسماعيلي" . تحقيق مصطفى غالب . المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت ، ١٩٧١م .

(١٢٦) ـ مختصر بصائر الدرجات : لحسن بـن سـليمان الحـلي : انتشـارات الرسول المصـطفى، قـم ـ خيابـان ، أرم باسـاز قـدس. منشـورات المطبعة الحيدرية في النجف، العراق، ط ١، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

(١٢٧)- مـذهب الـدروز والتوحيـد : لعبـدالله النجّـار "درزي" . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

(١٢٨) ـ مروج الذهب: للمسعودي. دار الكتب العلمية، بـيروت لبنـان، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

(١٢٩)- المسلمون العلويون في مواجهة التجني : لأحمد علي حسن . الدار العالمية للطباعة والنشر . ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(١٣٠)- المصحف المنفرد بذاته (مصـحف الـدروز) . مخطـوط . وتوجـد صورة منه في مكتبتي .

(١٣١)- مطالع الشموس في معرفة النفوس : لشهاب الدين بن نصر؛ أبي فراس "الإسماعيلي" . نشرت ضمن أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيـق عارف تامر . نشر دار الكشاف ، بيروت ، ط١ .

(١٣٢) ـ المقالات والفرق : لسعد بـن عبـد الله القمـي . مطبعـة حيـدري طهران ـ إيران ، ١٩٦٣ م . صححه وقدم له وعلق عليه : الـدكتور محمد جواد مشكور .

(١٣٣)- الموحدون الدروز وأصولهم = أصل الموحدين الدروز وأصولهم: لأمين محمد طليع . دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦١م .

(١٣٤)- الهداية الكبرى : للحسين بن حمدان الخصيبي "نصيري" . مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

(١٣٥)- الهفت الشريف : "من رواية المفضل بن عمر الجعفي" : "مصدر نصيري" . تحقيق مصطفى غالب . دار الأندلس ، ط٣ ، ١٩٨٠م .

(١٣٦)- الينابيع : لأبي يعقوب إسحاق بن أحمد السجستاني "الإسماعيلي". تقديم وتحقيق مصطفى غالب . المكتب التجاري للطباعة، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥م

فهرس الموضوعات (الترقيم خاطئ)

تَفنِيْدُ نصُوْصِ التّثليْثِ في

العَهْدِ الجَدِيْد

دراسة نَقْديّة لوصيَّة متَّى وفَاصلَة يوحَنّا

في ضَوْء المَصَادر الغَرْبيّة

إعداد الدكتور

تامر محمد متولي

الأستاذ المساعد بجامعة حائل

مقدمة

إن أصدق و أطيب و أفضل وخير كلمة قالها الإنسان هي كلمة التوحيد : **لا إله إلا الله** ، وإن أخبث و أسوأ وشر وأكذب كلمة قالها الإنسان هي كلمة الشرك : الآب والابن والروح القدس .

قال الله تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾** ﴾ آل عمران: ١٨ .

و قال الله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾** ﴾ المائدة: ٧٣ – ٧٤

وقد اتفقت كلمة الرسل جميعاً على وحدانية الله تعالى، وأنه تعالى وحده في السماء إله وفي الأرض إله ، وعلى الكلمة التي تدل عليها ؛ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) . ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾** ﴾ الأنبياء: ٢٥.

و هذا الإجماع لا ينقض، فلو جاء شخص في زمن إمكان بعثة الرسل، وادعى وجود ثلاثة آلهة في السماء، أو ثلاثة آلهة في الأرض، عُلِمَ كذبه

لمخالفته إجماع الأنبياء، وكان قوله دليل كذبه [(١)]، كما قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾** ﴾ [آل عمران: ٧٩].

و في ضوء الكتب المقدسة قبل الإسلام، فإن عقيدة التثليث لم يأت بها نبي من عهد آدم إلى عهد عيسى، و نصوص الشرك شاذة، وموضوعة، ومزورة.

إن كتب العهد القديم تصرّح بوضوح بأن اللهّ واحدٌ في السماء وفي الأرض، والشرك ذنب عظيم، وجزاؤه القتل .

١- فالإصحاح الرابع من سفر التثنية – العدد ٣٥ ، يقول: (لتعلم أن الرب هو اللهّ وليس غيره) .

٢- وفي العدد ٣٩ : (فاعلم اليوم، واقبل بقلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت، وليس غيره). [(٢)]

---

(١) لزيادة بسط لهذه المسألة؛ انظر: ابن تيمية، شرح الأصفهانية، تحقيق محمد حسين مخلوف، ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢) وأيضاً: الإصحاح السادس من السفر نفسه: العدد ٤-٥، و الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج العدد ٢.

وهــذا يصدقه القرآن الكريم، في مواطن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٤]. وفي الإصحاح الخامس والأربعين من سفر أشعيا العدد ٥: (أنا هو الرب، وليس غيري، وليس دوني إله شددتك، ولم تعرفني) ٦ (ليعلم الذين هم من مشرق الشمس، والذين هم من المغرب أنه ليس غيري، أنا الرب وليس آخر) . وهذا يصـدقـه قوله تعالى : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧]. فالواجب على أهل المشرق والمغرب، بل المشارق والمغارب، أن يعلموا أنه لا إله إلا اللهّ وحده، لا أن يعلموا أن اللهّ ثالث ثلاثة.

و في العهد القديم عبادة غير اللهّ حرام، وعقوبتها القتل؛ وهذا الحكم ذكر في مواضع شتى في هذا الكتاب.(١)

ولم يشذ العهد الجديد عن القديم، بل إن النصوص في العهد الجديد تصرح بنفس الحقيقة التي حسمتها الكتب السابقة، واللاحقة:

---

(١) الإصحاح الثالث عشر العدد ١ من سفر التثنية : أنه لو دعـا نبـي أو مـن يـدعي الإلهـام إلى عبادة غير اللهّ، فإنه يقتل هذا الداعي، وإن كان جاء بمعجزات عظيمة. و الإصـحاح السـابع عشر من سفر العدد ٢–٧ : أنه لو ثبتت على أحد عبادة غير اللهّ يُرْجَم، رجلاً كان أو امرأة.

١- ففي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقص ٢٨: (فجاء واحد من الكتبة، وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسناً، سأله: أية وصية هي أول الكل) ٢٩: (فأجابه يسوع: أن أول كلّ الوصايا: اسمع يا إسرائيل! الرب إلهنا رب واحد). وهو في هذا يصدّق نصوص العهد القديم. فلم يصحح عيسى كلام السائل، ويقول له: إن أول الوصايا أن هناك ثلاثة آلهة: الآب والابن والروح القدس.

٢- في العدد الثالث من الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام مخاطباً ربه وإلهه : (وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) ؛ فبين عيسى عليه السلام أنّ الحياة الأبدية هي أن يعرف الناس أن اللهّ واحد، وأن عيسى عليه السلام رسوله . وليست الحياة الأبدية أن يعرفوا أن الله ثلاثة: الآب والابن والروح القدس. فلو كان اعتقاد التثليث هو الحياة الأبدية والخلاص، لبيَّنه المسيح، وإذ ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي للهّ، واعتقاد الرسالة للمسيح، فضدهما يكون موتاً أبدياً، وضلالاً أبدياً.

مشكلة البحث:

رغم وجود النصوص السابقة في العهد الجديد، والتي تؤيد وتؤكد الحقيقة الأزلية والخالدة لوحدانية الله تعالى، إلا أن هناك نصّين في العهد الجديد يحتويان على عبارة شركية مثيرة للجدل؛ العبارة التي تشير إلى

وجود ثلاثة آلهة، هذه العبارة في كتاب ينسب إلى الله تعالى، ورسوله عيسى بن مريم، وتناقض جميع نصوص الأنبياء، بمن فيهم عيسى نفسه.

فمشكلة هذا البحث: ما هي حقيقة وأصالة هاتين العبارتين؟

الأولى: وصية متى الكبرى، وهي الفقرة ١٩ من الإصحاح ٢٨، في الإنجيل المنسوب لمتى :" ١٩فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ ٢٠وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ! ».

الثانية: فاصلة يوحنا، وهي الفقرة ٧ من الإصحاح الخامس، من الرسالة الأولى ليوحنا، ونصها: " ٧فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. ٨وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ.

هل ناقض العهد الجديد نفسه، وشذَّ عن العهد القديم، بل عن كل العهود والمواثيق التي أخذها الله تعالى على عباده، وانفرد ببيان أن في العالم ثلاثة آلهة؟ أم أن هذه النصوص ليست أصلية، و مضافة لهذا الكتاب؟

و هذا هو تساؤل هذا البحث.

أهمية البحث:

ألخص أهمية هذا البحث في ثلاث نقاط، هي:

١- أن دحض نصوص التثليث في العهد الجديد هو تأييد لأكبر قضية عرضت لها الكتب المقدسة، وهي قضية توحيد الله، أو كما هو تعبير الكتب المقدسة عند المسيحيين : أول وأعظم الوصايا.

٢- أن في دحض نصوص التثليث تبرئة للنبيّ الذي ينتسب إليه المسيحيون (المسيح عليه السلام) ، من تهمة مخالفة جميع الأنبياء؛ تلك التهمة التي لو سلمت لكانت طعناً في نبوته ﷺ. وهو قد نفى عن نفسه تلك التهمة بوضوح وقوة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المائدة: ١١٦ – ١١٧].

٣- أن دحض نصوص التثليث هو إزالة لأكبر عقبة في طريق الحوار بين أصحاب الديانات قديماً وحديثا، تلك العقبة التي نص الله تعالى عليها في كتابه الكريم، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: ٦٤] .

مصادر البحث:

إن المصادر الأساسية لهذا البحث هي مصادر غربية؛ باللغة الإنجليزية، لأن أهل كل بلد أدرى بشعابها ودروبها، وإن المعلومات التي وقفت عليها في هذه المصادر ليست موجودة في مصادرنا العربية، إلا من نقل عن الغربيين، كرحمة الله الهندي -رحمه الله-. ومع ذلك فإنني رجعت إلى المصادر العربية عند الاقتضاء.

بالإضافة إلى المصادر التي أثبتها في الحواشي ورتبتها في ثبت المصادر، فإن الأعمال الآتية هي أهم هذه المصادر:

١- كتاب "نص العهد الجديد" أو " The Text of The New Testament" للأب الدكتور بروس متزجر Bruce M. Metzger ، المؤلف هو عميدُ نقدِ نصوص العهد الجديد لأكثر مِنْ ثلاثين سنة؛ ذو معرفة موسوعية، وقلم سيال، وله العديد من المؤلفات. و هذا الكتاب يتعلق بعلم نقد النصوص، وتاريخ النقد ومناهجه حتى العصر الحديث، كما يحتوي على وصف علمي لأهم وثائق العهد الجديد الموجودة اليوم.

٢- مؤلفات د. بارت أرمان. Bart D. Ehrman أستاذ كرسي قسمِ الدراسات الدينيةِ في جامعة كارولينا الشّمالية في تشابل هيل بالولايات المتحدة الأمريكية، نَشرَ العديد من الكُتُب والمقالات في نصوص وتأريخ المسيحية المبكّرةِ، منها:

- المسيحية المفقودة.

- مقدمة مختصرة للعهد الجديد.
- العهد الجديد والكتابات المسيحية الأولى.

٣- كتاب "تطور الإنجيل" للدكتور إينوك باول J. Enoch Powell.: هذا الكتاب هو دراسة أكاديمية جادة ورصينة، يبحث فيه المؤلف تاريخ إنجيل متى ومضامينه، في ضوء أصول النقد النصي، متتبعاً مواطن النقل من الإنجيل وإليه، مع ترجمة كامل الإنجيل والتعليق عليه. وقد توصل إلى عدة حقائق هامة، لخصتها في موضعها المناسب من هذا البحث.

والمؤلف هو أستاذ اللغة اليونانية، وأكاديمي بارز في الجامعات الغربية.

٤- دراسات في الروح القدسWord Studies on the Holy Spirit: للمؤلف إ. و. بيلنجر E. W. Bullinger (1837-1913): كان أستاذاً في كلية الملك بلندن، وله العديد من الدراسات والتعليقات على الكتاب المقدس.

٥- التحريفات العقائدية لنص العهد الجديد : مقالة علمية للدكتور Fred. C. Conybeare نشرت في مجلة " *THE HIBBERT JOURNAL* . و الكاتب زميل الكليَّة الجامعيةِ، أكسفورد، وأستاذ العقيدة في جامعةِ أكسفورد. له العديد من المؤلفات في تاريخ ولغة الكتاب المقدس.

منهج البحث:

لقد اتبع الباحث المنهج العلمي في نقد النصوص، مستخدماً أدوات النقد؛ كالأدلة الخارجية والداخلية أو الموضوعية. غير أنني قدمت دراسة فاصلة يوحنا على وصية متى على خلاف ترتيب الكتاب المقدس، لأن وجود فاصلة يوحنا في الوثائق ضعيف، وحصل الإجماع على زيفها، وحذفت من جميع الطبعات النقدية الحديثة. و لما لم يكن الأمر كذلك في وصية متى؛ أردت أن تكون دراسة فاصلة يوحنا كالمدخل لدراسة وصية متى، وتمهيداً لدحضها وإيذاناً بحذفها، كما حذفت صاحبتها.

الدراسات السابقة:

لا أعلم أن أحدًا من الغربيين أو الشرقيين بحث بشكل مستقل نصوص التثليث في العهد الجديد، إلا مقالات متفرقة، وإشارات سريعة متناثرة، في مناسبات متعددة، وأماكن متباعدة، وبغير لسان العرب. فأردت جمع ما تفرّق في مكان واحد، وقياس الغائب على الشاهد، وما اختُلِف فيه على ما أُجمِع عليه، بلسان عربي؛ غيرة على توحيد الله تعالى، ودفاعاً عن رسله، وإحقاقاً للحق، ودحضاً للباطل، وقربة إلى الله تعالى.

تمهيد

المطلب الأول

تعريف العهد الجديد

المسألة الأولى: التعريف اللغوي:

العهد: هو الميثاق والوصية.[١] والجديد: هو الحديث مقابل القديم[٢]، وذلك تمييزاً بين الكتاب الذي يؤمن به المسيحيون أيضاً، ويؤمن به اليهود، ويسميه المسيحيون العهد القديم، وبين الكتب التي جمعوها تحت هذا الاسم.

المسألة الثانية: التعريف الاصطلاحي: في تعريف العهد الجديد هناك تعريفان، أحدهما مختصر؛ وهو أن العهد الجديد هو الجزء الثاني من الكتاب المقدس عند المسيحيين، والجزء الأول هو العهد القديم؛ الكتاب الوحيد المقدس عند اليهود.

والتعريف الآخر المطوَّل هو: أن العهد الجديد هو مجموعة من المؤلفات، عددها سبعة وعشرون كتاباً، كتبها باللغة اليونانية خمسة عشرَ

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة عهد.

(٢) انظر: المصدر السابق: جدد.

أو ستّة عشرَ مُؤلِّفاً مختلفاً، كَانوا يُخاطبونَ بها الأفرادَ أَو المجموعات المسيحيةَ بين سنتَيْ ٥٠ و١٢٠م . وتنقسم هذه الكتب إلى عدّة أقسام:

القسم الأول: هو الكُتُب الأربعة الأولى، أو ما يسمونه: "الأناجيل، " التعبير الذي يعني بشكل حرفي "الأخبار السارة." هذه الكُتُب تُنْسَبُ إلى متى، ومرقص، ولوقا، و يوحنا. يدّعي المسيحيون بدءًا من القرن الثاني أنّ اثنين مِنْ هؤلاء المُؤلفين كَانوا من تلاميذ المسيح، هما: متى، المذكور في الإنجيلِ الأولِ (متى ٩:٩)، ويوحنا المذكور في الإنجيل الرابعِ (يوحنا ١٩:٢٦) . والإنجيلان الآخران كتبهما على ما يقال تلاميذ الحواريين المشهورَينِ: مرقص، مساعد بطرس، ولوقا، رفيق بولس. ودعوى المسيحيين هذه لا تستند إلى الأناجيلِ نفسها؛ لأن العناوين الموجودة على غلاف الكتاب المقدس (مثل "الإنجيل طبقاً لمتى") لا تُوْجَدْ في النصوصِ الأصليةِ لهذه الكُتُبِ. هل نسيَ مُؤلفو هذه الكتب أو تعمّدوا أَنْ لا يذكروا أسماءهم؟ [1]

القسم الثاني في العهد الجديدِ: هو سفر أعمال الرُسل، الذي كَتبَه نفس مُؤلفِ الإنجيل الثالث (الذي ما زال العلماء المعاصرون يسمونه لوقا، بالرغم من أنَّ هذا ليس مؤكداً). هذا الكتاب تكملة للأناجيلِ في كونه

---

(١) انظر:

Ehrman: A Brief Introduction To The New Testament, p. 3.

يصِفُ تاريخَ المسيحيةِ المبكّرةِ، بدءًا بالأحداثِ التي وقعت بعد المسيح مباشرة، ويهتم كذلك ببيان كَيفية انتشار الدينِ المسيحي في كافة أجزاءِ الإمبراطورية الرومانيةِ، سواء بين الوثنيين أو بين اليهود، بسببِ بولس وتلاميذه. فبينما يصوّر الإنجيل بدايات المسيحيةِ (من خلال حياةِ المسيح)، يُصوّرُ سفر أعمال الرسل انتشارَ المسيحيةِ (من خلال حياة تلاميذه).

القسم الثالث من العهد الجديدِ يتضمن "إحدى وعشرين رسالة، "ثلاث عشرة من هذه "الرسائل"؛ يقال إنَّ من كتبها هو بولس، وتسمى رسائل بولس، ويسمى الباقي منها : الرسائل العامة، أو الكاثوليكية. وإذا كانت الأناجيل تصف بِدايات المسيحيةِ، و يصف سفر أعمال الرسل انتشارها، فإن الرسائل تُرَكّز أكثر على الاعتقاداتِ و العبادات والأخلاق التي يجب على المسيحيين التمسّك بها .

القسم الأخير من العهد الجديد هو سفر الرؤيا، الرؤيا الوحيدة المعترف بها من الرؤى المسيحية. هذا الكتاب كتبَه شخص اسمه يوحنا، يَصِفُ سير الأحداثِ المستقبليةِ، حتى دمارِ هذا العالمِ، وظهورِ العالمِ الجديد؛ أي أنه يصف نهاية المسيحية [1].

---

(١) انظر:

Ehrman: A Brief Introduction To The New Testament, pp. 4-5.

المسألة الثالثة: تأليف العهد الجديد:

متى وكيف أصبح العهد الجديد على هذه الصورة ؟

لا يختلف أي كاتب مسيحي على أن هذا المجموع من الكتب المرتبة على هذه الصورة كان نتيجة لرسالة كتبها في سَنَةِ ٣٦٧ ميلادية، وبعث بها؛ أثناسيوس Athanasius أسقف الإسكندرية القوي [١]. قبل ذلك الوقت لم تكن مسألة الكتب المقدسة قد حسمت؛ أي أن النِقاش في هذه المسألة دامَ أكثر من ثلاثمائة سنة.

المسألة الرابعة: الوثائق التي تثبت نص العهد الجديد:

يوجد ثلاثة أنواع مِنْ الوثائق تستعمل لتَحْقيق نَصِّ العهد الجديدِ؛ هي:

١- مخطوطات العهد الجديد: بالنسبة للمخطوطات، لا يوجد شيء من مخطوطات العهد الجديد تؤرخ قبل القرن الرابعِ، وليس لدينا مخطوطات أصلية، ولا مخطوطات نسخت من نسخ أصلية، ولا مخطوطات باللغة الأصلية. أقدم مخطوطات العهد الجديد تؤرّخ في القرن الرابعِ، وهما المخطوطتان المتميزتان؛ الفاتيكانية Vaticanus اللاتينية ، والسينائية Sinaiticus السريانية.[٢] وكُلّ المخطوطات الأخرى تاريخها

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٢) انظر لمزيد من التفصيل حول هاتين المخطوطتين:

Metzger, Bruce, the text of the new testament ,p 62, p 67.

مِنْ القرن الخامسِ فصاعداً . هذا الواقع أحدث فجوة كبيرة سعتها ثلاثة قرون ، لا نجد فيها مخطوطة كاملة للعهد الجديد، بدءًا مِن القرن الأولِ، حتى القرنين الرابع والخامس.

٢- الترجمات القديمة إلى اللغاتِ الأخرى: إن الترجمات القديمة للعهد الجديدِ، هي الترجمات التي أعدها المبشّرون لنشر الدين المسيحيِ بين الشعوب التي كَانَت تتحدث اللغات الأخرى؛ كالسريانيَة، أو اللاتينية، أَو القبطية . هذه الترجمات لا تقل أهمية عن المخطوطات بالنسبة إلى ناقدِ النصّوص، نظرًا لأنها ترجمات قديمة، كانت في القرنين الثاني والثالث؛ أي أنها أقدم من أية مخطوطة نملكها اليوم.

٣- اقتباسات الكتاب المتقدمين مِن العهد الجديدِ : أهمية كتاباتِ "آباء الكنيسةِ الأوائِلِ" تَكْمنُ في أنّ مُؤلفيها اطّلعوا على المخطوطاتِ المفقودةِ خلال الفترة التاريخية المظلمة للعهد الجديد، وأنهم اقتبسوا منها كثيراً ، إضافة إلى كونها أقدم من جميع المخطوطات التي نملكها اليوم للعهد الجديد.[١]

---

(١)لمعرفةٍ تفصيلية عن هذه الأنواع من الوثائق، انظر: المصدر السابق ص: ٥٢-١٢٦ .

المسألة الخامسة: البيئة الخلافية المبكرة للعهد الجديد:

عرف العالم المسيحي في قرونه الأولى العديد من الفرق والعقائد، التي اختلفت بشدة حول قضايا أساسية في العقيدة، ربما لا يتصوّرها مسيحيو اليوم.

فقد كانت المسيحية في قرونها الأولى في حالة تعدُّد واختلاف شديدين.

كان هناك المسيحيون الذين يؤمنون بالإله الواحدِ الأحد. لكن كان هناك مسيحيون آخرون ادعوا أن هناك إلهين . وآخرون يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة. اعتقد بَعْض المسيحيين بأنّ المسيح كَانَ – بطريقةٍ ما– إنساناً وإلهاً في آن واحد، وقال آخرون بأنّه كَانَ إنساناً فقط ولَيس إلهاً، وقال آخرون بأنّه كَانَ إلهاً فقط، و لَيس إنساناً، و قال بعضهم بأنّ المسيح كَانَ إنساناً اتّحد أو حلّ به اللهَّ . واعتقد بعض المسيحيين أنّ موتَ المسيح كان سبباً لخلاص العالم، وادعى آخرون أنّ موتَه لم يكن له علاقة بخلاص العالم، و زعم آخرون أنّه لم يمت أبداً.

و قد أَثّرتْ هذه الخلافات على عملية نسخ وترجمة العهد الجديد .

إن النزاعاتِ العقائدية، والتي كانت بشكل مُحدّد نزاعات حول طبيعة المسيح "المسيحيات" [١] Christology، هي التي حملت الكتّابَ المسيحيين على تحريف كلماتِ الكتاب المقدّسِ، لكي تُستَخدم في الخلافات العقـائدية.[٢] وإن فاصلة يوحنا ووصية متى الكبرى؛ هما أحد مظاهر أثر الخلافات العقائدية على نص العهد الجديد. فحتى منتصفِ القرن التاسع عشر، كان نَصّ الشهودِ الثلاثة، فاصلة يوحنا، يتعاون مع نص متى ٢٨:١٩ في المهمّة الثقيلة، كدليل كتابي للثالوثِ الشركي.

---

(١) هذه الترجمة العربية التي اخترتها لكلمة أو بالأحرى لعدة كلمات (Christology)، وتعني بشكل حرفي : علم طبيعة المسيح، وهو ما عبرت عنه بـ (المسيحيات) ؛ أي المسائل المتعلقة بعيسى وطبيعته، من ولادته وحتى نهايته .

(٢) للوقوف على تفصيل تعدد الفرق والصراعات العقائدية ووسائلها في القرون المسـيحية الأولى ، انظر: البحث الرائع: "أثر الخلافات المسيحية على نص العهد الجديد" .

Bart D. Ehrman, The Orthodox Corruption o f Scripture: The effect of Early Christological Controversies on the Text of the New Testament, Oxford University Press, New York.

ورائعته الأخرى: " المسيحية المفقودة":

Lost Christianities, The Battles For Scripture And The Faiths We Never Knew, Oxford University Press 2003

المبحث الأول

"فاصلة يوحنا" Comma Johanneum

المطلب الأول: تعريف فاصلة يوحنا: Comma Johanneum أو *Johannine Comma* : كلمة "فاصلة" comma في اللغة الإنجليزية أخذت من الكلمة اليونانية κ□μμα وتعني جزءاً مقطوعاً من شيء، أو جزءاً من جملة (١) . وهو يشبه بعض الاستعمال العربي لهذه الكلمة "فاصلة" حيث الفاصلة هي جزء من بيت من الشعر وتكون كبرى وصغرى، والفاصلة جزء مقتطع من المال، وله شاهد من الحديث النبوي. (٢)

ويقصد بالفاصلة هنا جزء من فقرة. و هذا هو المسمى التاريخي الذي أطلقه النقاد على هذا الجزء من نص الرسالة الأولى ليوحنا، الفقرة ٧ من الإصحاح الخامس؛ ويسميه بعض النقاد "نص شهود السماء الثلاثة"، ونصها : "٧ فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. ٨ وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ

---

(١) انظر :

Langenscheidt, Standard Dictionary, English- Greek, Greek – English, Edited by George A. MAGAZIS. P 81, comma

(٢) انظر لسان العرب، مادة فصل.

ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدِ " [١]والفاصلة هي الملونة باللون الأحمر.

إنّ فاصلة يوحنا فيها تصريح بالثالوثِ: الأبِّ والابنِ وروحِ القدس، ولهذا السبب فإن المسيحيين يتخذونها دليلاً على مذهبهم بوجود ثلاثة آلهة. رغم هذا، فقد أزالَت كُلّ الطبعات الحديثة النقدية للكتاب المقدس تقريباً هذه الفقرة، لأنها لا توجد في المخطوطات، ولا في الترجمات اليونانيةِ المتقدمة للرسالة، ولَيسَت موجودة في اقتباسات آباء الكنيسة للشاهد.

وبيان ذلك تفصيلاً فيما يلي.

المطلب الثاني: وثائق فاصلة يوحنا:

المسألة الأولى: فاصلة يوحنا في المخطوطات اليونانية:

بين آلافِ المخطوطاتِ والوثائق اليونانيةِ للعهد الجديدِ، اللغة الأم الثانية، توجد هذه الجملة الشركية في ثمان منها؛ في أربعة فقط من هذه الثمانية، توجد الفاصلة في المتن؛ وفي الأربعة الأخرى، توجد الفاصلة كإضافة هامشية أضيفت بجوار النص الأصلي بخط مغاير في الحاشية.

---

(١) انظر:

Bruce M.metzger: The Text of The New Testament, P.146, not 21

والمواضع الثمانية هي التالية، مرتبة طبقاً لإحصاء "جريجوري ألاند"[1] مشفوعة برقمها، واسمها، وتاريخها، و مكان حفظها، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول الوثائق اليونانية لفاصلة يوحنا					
م	اسم المخطوطة *	رقمها	تاريخها	مكانها	ملاحظات
١	*Ottobonianus*	629	ق 14-15	الفاتيكان	نص لاتيني بجوار نص يوناني، نقح ليوافق النص اللاتيني. الفاصلة ترجمت ونسخت من النسخة اللاتينية إلى النسخة اليونانية.
٢	*Montfortianus*	61	سنة ١٥٢٠	دبلن	الأصل الذي نسخت منه يخلو من العبارة الشركية.

(١)لمعرفة تفاصيل عن طريقة جورجي ألاند في العدد، انظر:

M.metzger, The text of the New Testament , P 52.

٣		9 18	ق16	الأندلس	
٤		2 318	ق١٨	بوخارست	**متأثرة بفوجاتا كلمنت Vulgate.**
٥		2 21	ق١٠	بودلين– أكسفورد	**إضافة هامشية أضيفت في القرن ١٦ أو ١٥**
٦	*Regis*	8 $8^{v.r.}$	ق١١	نابولي	**إضافة هامشية أضيفت في القرن ١٦**
٧	*Wolfenbüttel*	4 29	ق١٤	ألمانيا	**إضافة هامشية أضيفت في القرن ١٦.**
٨		6 36	ق١٦	نابولي	**إضافة هامشية أضيفت في القرن ١٦ :**

۞ بعض الوثائق لها اسم ورقم وبعضها له رقم فقط.

يتبين من الجدول:

١– أن المخطوطة٦١. Montfortianus : (الثانية في الجدول) هي أول مخطوطة يونانية يحتوي متنها على الشاهد الشركي المزور، الذي يتحدث عن شهودِ السماء الثلاثة، أو "فاصلة يوحنا". لقد كَانَت هذه هي الوثيقة الوحيدة، التي أُدخلَ هذا الشاهد المزوّر على أساسها إلى النَصِّ المطبوع للرسالة الأولى ليوحنا.[١] إنّ المخطوطةَ حديثة وواضحة جداً في كافة أنحائها (ماعدا الصفحتين اللتين تَحويانِ نص الإصحاح ٥ من الرسالة الأولى ليوحنا، والتي أفسدها كثرة الفحص)، و تدل حالتها هذه بكل وضوح على أنها صنعت خصيصاً بهدف دسّ هذه العبارة كما سيأتي تفصيله. هذه المخطوطة المكتوبة في أول القرن السادس عشر، نُسِخَت مِنْ مخطوطة القرن العاشرِ في كليَّةِ لينكولن بأكسفورد، وهذه المخطوطة الأصل لا تحتوي على هذا الشاهد.![٢]

٢– أن أقدم وجود يعرف للفاصلة هو إضافتها إلى هامش نص مخطوطة القرن العاشرِ (الخامسة في الجدول)، الموجودة الآن في مكتبةِ

---

(١) انظر:

Metzger, : The Text of The New Testament : p. 88., p146

(٢) المصدر السابق نفسه.

بودليان Bodleian[١] بأكسفورد. إن التأريخ الدقيق للإضافةِ لَيسَ معروفَاً. وفي هذه المخطوطةِ، الفاصلةُ عبارة عن نص مضاف باعتباره نصاً أو ترجمة بديلة في الحاشية، بخط مغاير بجوار النَصِّ الأساسي.

٣- تُؤرّخُ المصادرُ الأخرى في القرن السادس عشر وما بعده، وفي أربعة مواضع، كتبت الفاصلة في هوامشِ المخطوطات.

٤- في أحد هذه المخطوطات؛ وهي مخطوطة مترجَمَة إلى اليونانية مِنْ فولجاتا Vulgate اللاتينية، العبارة: "وهؤلاء الثلاثة هم واحد" لَيست موجودة.[٢]

المسألة الثانية: الفاصلة في الترجمات القديمة: ولا توجد الفاصلة في أي مخطوطات باللغة السريانية، ووجودها في بَعْض كُتب العهد الجديد السريانيةِ المطبوعةِ، إنما هو ناشئ عن الترجمة مِنْ فولجاتا Vulgate اللاتينية.كما أنها لا توجد في الترجمات القبطية والأثيوبية أيضاً.[٣]

---

(١) هي مكتبة كبيرة شاسعة تملكها جامعة أكسفورد؛ بمدينة أكسفورد، بالمملكة المتحدة، وتضمّ بين كتبها نسخة عن كلّ كتاب تمّ إصداره في هذا العصر.

(٢) انظر:

Metzger, Bruce : The text of the New Testament :p 146-147

(٣) المصدر السابق نفسه.

صورة رقم (١) الفصل الخامس من رسالة يوحنا الأولى في أقدم مخطوطات العهد الجديد؛ المخطوطة السينائية

Sinaiticus ، لغتها سريانية، و الفقرة ٧ لونت الفقرة باللون الأحمر، وهي خالية من العبارة الشركية.

المسألة الثالثة: فاصلة يوحنا في اقتباسات آباء الكنيسة:

الفاصلة لا توجد في اقتباسات آباء الكنيسة للفقرة، مع توفر الدواعي و الأسباب الكافية لاقتِباسهم لها، لاسيما في النِقاشِ حول التثليث مع معارضيه؛ (مَع الآريين [١]على سبيل المثال).

المسألة الرابعة: الفاصلة في المخطوطات اللاتينية:

إنّ أقدم اقتباس معروف للفاصلةِ في اللغة اللاتينية، هو في كتاب مواعظ لاتيني من القرن الرابعِ، عنوانه: (كتاب القصص) Liber apologeticus [٢]. ويفسر النقاد ذلك- أي وجود الفاصلة باللغة اللاتينية دون اليونانية وهي اللغة الأم الثانية بعد الآرامية- بأن الفاصلة

---

(١) نسبة إلى أريوس ARIUS (باليونانية: Ἄρειος)، ٢٥٦ م– ٣٣٦ م)، السكندري؛ صاحب مذهب مسيحي ظهر في القرن الرابع. كان يرى أن المسيح كائنٌ فانٍ ليس إلهياً بأي معنى، وليس بأي معنى شيئاً آخر سوى معلّم يُوحى إليه، غير أن آريوس لم يخرج ببدعة جديدة في هذا التوجّه الذي يصرّ على بشريّة المسيح ، فقد سبقه إلى ذلك بطريرك أنطاكية بولس السّميساطي. ولقد عُرفت مدرسة أنطاكية التي أسّسها لوقيانوس الأنطاكي بميولها النّقدية التي نظرت إلى المسيح لا باعتباره إلهاً، بل مخلوقاً أُنعم عليه بقوى إلهية. وكانت هذه المدرسة هي الأساس الفكري والعقائدي الذي استمدّ منه آريوس أفكاره. وللوقوف على تفاصيل هذا الخلاف: انظر:
The Eusebians: The Polemic of Athanasius of Alexandria and the Construction of the `Arian Controversy' by David M. Gwynn, Oxford University Press

(٢) Liber Apologeticus، اسم لاتيني والكتاب كتبه ربما Priscillian؟ vila (ماتَ ٣٨٥)، أَو تابعه اللصيق الأسقف Instantius.

ربما كانت حاشية لتفسيرِ الشهودِ الثلاثة في الأرض (الثلاثة الشهودِ في الأرض: الروح، و الماء، والدمّ) [١]، التفسير الذي لَرُبَما كُتِبَ أولاً كمُلاحظة هامشية، ثم وَجَدَ طريقَه بعد ذلك إلى المتن، و رُبَما كُتِبتْ باعتبارها معنى هامشياً في مخطوطة لاتينية لرسالة يوحنا الأولى، و من هنا تسربت إلى نَصِّ الكتاب المقدس اللاتيني القديم في القرن الخامسِ. ومنه إلى المخطوطات اليونانية المتأخرة.

الفاصلة لا توجد في نسخ فولجاتا Vulgate اللاتينية [٢] قبل سَنَةِ ٨٠٠؛ قبل ذلك لا توجد الفقرة في نسخ فولجاتا Vulgate ، بل أضيفت لها بعد ذلك التاريخ، ومنها تُرجِمَت إلى اليونانية. ونظراً لإدراجِها في طبعةِ كليمنت للفولجاتاْ Vulgate اللاتينية سنة ١٥٩٢، فإنه في سنة ١٨٩٧

(١) وفيما يتعلق بالقضايا النصية المتعلقة بهذا النص أيضا، لأنها خارج حدود هذا البحث الموضوعية، انظر:

Ehrman, the orthodox corruption, pp 61-62

(٢) كتبت نسخة فولجاتا اللاتينية سنة ٣٨٢، عندما طلب البابا دامسيوس Damasus من أكفأ علماء الكتاب المقدس آنذاك، القديس سوفرنيوس يوسبيوس هيرمنيوس الذي عرف بعد ذلك بالقديس جيروم، أن يقوم بمراجعة الكتاب المقدس في اللغة اللاتينية. انظر القصة الكاملة لفولجاتا جيروم اللاتينية عند:

Metzger, : The text of the New Testament : pp 105-106

أصدرت محكمة التفتيش في روما تصريحاً بأنه ليس مأموناً إنْكار أن هذه الفقرة تمثل جزءاً أصيلاً مِنْ رسالةِ القدّيس يوحنا.(١)

المسألة الخامسة: موقف المجامع والكنائس والباباوات من الفاصلة:

عرّفَ مجمع ترينتي الكنسي في سنة ١٥٤٦ الكتاب المقدس القانوني للكنيسةِ الكاثوليكية الرومانيةِ، بأنه كُلّ الكُتُب القانونية؛ أي المُلهَمة؛ وهي "جميع وكامل الكُتُبِ ، التي كَانتْ تُقْرَأ في الكنيسةِ الكاثوليكيةِ، وتضمنتها فولجاتاVulgate اللاتينيةِ".(٢)ومع أن نسخة Vulgate المُرَاجَعة تحتوي على الفاصلة، فإن النسخ الأولى لفولجاتا Vulgate خالية من الفاصلة وبناءً على ذلك فإن مراسيم المجلس لَمْ تعتبر فاصلةَ يوحنا قانونية.

في ١٣ يناير/كانون الثّاني ١٨٩٧، أَصدرت محكمة التفتيش –كما أشرت قبل قليل– تهديداً بأنّه ليس "بالأمانِ" أن يُنكر أَو يشك في أصالة الفاصلة. ولقد صادق البابا ليو Leo الثّالث عشر على هذا القرارِ بَعْدَ

(١) انظر: Metzger, : The text of the New Testament, p 148

(٢) عقد هذا المجمع لمناقشة البدع اللوثرية، لمعرفة أسباب انعقاد هذا المجمع وجلساته وقراراته، انظر:

The Oxford Dictionary of the Christian Church (Oxford University Press 2005, article *Trent, Council of Trent, Catechism* of the council of trent, Saint Benedict press classics, by John A. Machugh., Canons and Decrees of the Council of Trent, by C. Trent, Tan books, January 2009

أيام. مع ذلك لم تكن موافقته في صيغة حاسمة [forma specifica] ؛ أي أن ليو Leo الثّالث عشر لَمْ يستغل سلطتَه البابويةَ الكاملةَ في المسألةِ، تاركاً المرسومَ بالقرار العادي الذي تصدره محكمة التفتيش. بعد ثلاثة عقود، وتحديداً في يونيو/ حزيران ١٩٢٧، أمر البابا بيوس Pius الحادي عشر بأن يفتح النقاش في الفاصلة. وبناءً على ذلك أعلنتْ محكمة التفتيش في (يونيو/ حزيران ١٩٢٧) بأنّ مرسومَها السابق لَمْ ينوِ إعاقة العلماءِ الكاثوليك كليًّاً من تَحَرّي ومناقشة المسألةِ، ومِنْ اعتقاد رأي ضدّ أصالة الفقرة، بشرط أن يعترفوا بوقوفهم مع قرار الكنيسةِ.[(١)]

المسألة السادسة: فاصلة يوحنا في طبعات العهد الجديد:

رغم أن أكثر الكنائسِ اليوم توافق على أنّ العقيدة المسيحية تحتوي على معنى الفاصلةِ، إلا أنها تقرّ بأن هذه الفاصلةَ لَيستْ جزءاً أصلياً مِنْ رسالةِ يوحنا الأولى . وقد انعكس ذلك في طبعات العهد الجديد، على التفصيل التالي.

---

(١) انظر:

Metzger, : The text of the New Testament, p 148 not 26.

أولاً: الطبعة الأولى للعهد الجديد باللغة اليونانية:

أول طبعة للعهد الجديد تنشر في اللغة اليونانية كَانَت هي الطبعة التي أعدها العالم الهولندي المشهور إراسموس Erasmus، الكاهن في كنيسة روتردام (١٤٦٩-١٥٣٦).

بَدأتْ الطِباعَة في أكتوبر/ تشرين الأول ١٥١٥، وفي مدَّة قصيرة جداً (مارس/ آذار ١٥١٦)، فرغ منها تماماً.

استقبالُ طبعة إراسموس Erasmus؛ أول نشرة يونانية للعهد الجديد اليوناني كان مختلفاً؛ فمن ناحية، راجت طبعته في كافة أنحاء أوروبا. وفي خلال ثلاث سَنَواتِ احتيج إلى طبعة ثانية، وبَلغَ العدد الكليّ للنسخِ مِنْ طبعات الـ١٥١٦ و الـ١٥١٩ (٣,٣٠٠) نسخة، وأصبحتْ الطبعةُ الثانيةُ أساساً لترجمةِ لوثر الألمانية.[١]

ومن ناحية أخرى، فقد هاجم كثيرون إراسموس Erasmus ، لأسباب متعددة،[٢]منها أنّ النَصّ الذي أصدره افتقرَ إلى جزءٍ من الفصلِ الأخير للرسالة الأولى ليوحنا، وهي فاصلة يوحنا التي تتحدث عن

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٦.

(٢) لمعرفة الانتقادات تفصيلا: انظر: Metzger,: The text of the New Testament, pp 142-143

شهود السماء الثلاثة: "الأب، والابن، وروح القدس". وقد أجاب إراسموس منتقديه بأنّه لمَ يَجد أيّة مخطوطة يونانية تحتوي على هذه الكلماتِ، على الرغم من فَحصه عِدّة مخطوطات أخرى في ذلك الوقت، إضافةً إلى تلك التي اعتمدَها عندما كان يحقق نَصَّ الطبعة الأولى. لكن تعهَّد إراسموس بأنَّه سيضيف الفاصلة في الطبعات القادمة، إذا وجد مخطوطة يونانية واحدة تحتوي على الفاصلة. والمفاجأة: أن هذا المخطوطة وُجِدتْ لاحقاً، أَو بصراحة كتبت لهذا الغرض! هذه المخطوطة اليونانية كُتِبتْ في أكسفورد حوالي سنة ١٥٢٠؛ كتبها راهب فرانسيسكاني، يسَمّى فروي Froy (أَو روي)، اقتبس الفاصلة محل النزاع مِنْ فولجاتا Vulgate اللاتينية. وبناءً على ذلك أدخلَ إراسموس الفقرة في طبعتِه الثالثةِ (١٥٢٢)، لكنه في حاشية طويلة أعلنَ شكّه في أن المخطوطة كَانتْ قَدْ أُعدت بشكل واضح لدَحْضه.[1]

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص:١٤٧.

صورة (٢) أول نشرة للعهد الجديد اليوناني ، الفقرة ٥/٧ من رسالة يوحنا الأولى. وقد خلت من العبارة الشركية.

αἱ ἐντολαὶ αὐτοῦ βαρεῖαι οὐκ εἰσίν. ὅτι πᾶν τὸ γεγεννημένον
ἐκ τοῦ θεοῦ, νικᾷ τὸν κόσμον, καὶ αὕτη ἐστὶν ἡ νίκη, ἡ νικήσασα
τὸν κόσμον, ἡ πίστις ἡμῶν. τίς ἐστιν ὁ νικῶν τὸν κόσμον, εἰ μὴ
ὁ πιστεύων, ὅτι Ἰησοῦς ἐστιν ὁ υἱὸς τοῦ θεοῦ; οὗτός ἐστιν ὁ ἐλθὼν
δι' ὕδατος καὶ αἵματος Ἰησοῦς Χριστός, οὐκ ἐν τῷ ὕδατι
μόνον, ἀλλ' ἐν τῷ ὕδατι καὶ τῷ αἵματι. καὶ τὸ πνεῦμά ἐστι *
τὸ μαρτυροῦν, ὅτι τὸ πνεῦμά ἐστιν ἡ ἀλήθεια. * ὅτι τρεῖς εἰσιν
οἱ μαρτυροῦντες τὸ πνεῦμα, καὶ τὸ ὕδωρ, καὶ τὸ αἷμα, καὶ οἱ
τρεῖς εἰς τὸ ἕν εἰσιν. εἰ τὴν μαρτυρίαν τῶν ἀνθρώπων λαμβάνο-
μεν, μαρτυρία τοῦ θεοῦ μείζων ἐστίν, ὅτι αὕτη ἡ μαρτυρία τοῦ
θεοῦ, ἣν μεμαρτύρηκε περὶ τοῦ υἱοῦ αὐτοῦ. ὁ πιστεύων εἰς τὸν υἱὸν
τοῦ θεοῦ, ἔχει τὴν μαρτυρίαν ἐν ἑαυτῷ, ὁ μὴ πιστεύων τῷ θεῷ,
ψεύστην πεποίηκεν αὐτόν, ὅτι οὐ πεπίστευκεν εἰς τὴν μαρτυ-

ثانياً: طبعتي الملك جيمس [١٦١١] ، وإمبليفيد Amplified :

اعتمدت طبعة الملك جيمس على النص المقبول، أو ما يعرف باللاتينية Textus Receptus . وهو نص حظي بالقبول العام من كافة الطوائف المسيحية ، واعتمدت عليه الطبعات التالية.

وقد وضعت العبارة الشركية "فاصلة يوحنا" في طبعة الملك جيمس ، كما وضعت العبارة الشركية في طبعة Amplified ، وكلاهما اعتمد على نص Textus Receptus ، (انظر: صورة رقم٣).

I John 4 and 5 — NEW TESTAMENT

King James

21 And this commandment have we from him, That he who loveth God love his brother also.

CHAPTER 5

WHOSOEVER believeth that Jesus is the Christ is born of God: and every one that loveth him that begat loveth him also that is begotten of him.

2 By this we know that we love the children of God, when we love God, and keep his commandments.

3 For this is the love of God, that we keep his commandments: and his commandments are not grievous.

4 For whatsoever is born of God overcometh the world: and this is the victory that overcometh the world, *even* our faith.

5 Who is he that overcometh the world, but he that believeth that Jesus is the Son of God?

6 This is he that came by water and blood, *even* Jesus Christ; not by water only, but by water and blood. And it is the Spirit that beareth witness, because the Spirit is truth.

[7 For there are three that bear record in heaven, the Father, the Word, and the Holy Ghost: and these three are one.

8 And there are three that bear witness in earth, the Spirit, and the water, and the blood: and these three agree in one.

9 If we receive the witness of men, the witness of God is greater: for this is the witness of God which he hath testified of his Son.

10 He that believeth on the Son of God hath the witness in himself: he that believeth not God hath made him a liar; because he believeth not the record that God gave of his Son.

11 And this is the record, that God hath given to us eternal life, and this life is in his Son.

12 He that hath the Son hath life; *and* he that hath not the Son of God hath not life.

13 These things have I written unto you that believe on the name of the Son of God; that ye may know that ye have eternal life, and that ye may believe on the name of the Son of God.

Amplified

21 And this command (charge, order, injunction) we have from Him, that he who loves God shall love his brother [[a]believer] also.

CHAPTER 5

EVERY one who believes—adheres to, trusts in and relies [on the fact]—that Jesus is the Christ, the Messiah, is a born-again child of God; and every one who loves the Father also loves the one born of Him—His offspring.

2 By this we come to know (recognize and understand) that we love the children of God: when we love God and obey His commands—orders, charges; when we keep His ordinances and are mindful of His precepts and His teaching.

3 For the [true] love of God is this, that we do His commands—keep His ordinances and are mindful of His precepts and teaching. And these orders of His are not irksome—burdensome, oppressive or grievous.

4 For whatever is born of God is victorious over the world; and this is the victory that conquers the world, even our faith.

5 Who is it that is victorious over (that conquers) the world but he who believes that Jesus is the Son of God—who adheres to, trusts in and relies [on that fact]?

6 This is He Who came by (with) water and blood [[b]His baptism and His death], Jesus Christ, the Messiah; not by (in) the water only but by (in) the water and the blood.

7 And it is the (Holy) Spirit Who bears witness, because the (Holy) Spirit is the Truth.

8 So there are three witnesses *in heaven, the Father, the Word and the Holy Spirit, and these three are One; and there are three witnesses on the earth,* the Spirit, the water and the blood; and these three agree—are in unison, their testimony coincides.]

9 If we accept [as we do] the testimony of men (if we are willing to take human authority), the testimony of God is greater (stronger authority), for this is the testimony of God; even the witness which He has borne regarding His Son.

10 He who believes in the Son of God—who adheres to and trusts in and relies on Him, possesses this divine attestation—has the testimony within himself. He who does not believe God (in this way) has made Him out to be *and* represented Him as a liar, because he has not believed—put his faith in and adhered to and relied on the testimony—the evidence that God has borne regarding His Son.

11 And this is that testimony—that evidence: God gave us eternal life, and this life is in His Son.

12 He who possesses the Son has that life; he who does not possess the Son of God does not have that life.

13 I write this to you who believe in (adhere to, trust in and rely on) the name of the Son of God—that is, in [c]the peculiar services and blessings conferred by Him on men—so that you may know (with settled and absolute knowledge) that you [already] have life, [d]yes, eternal life.

a) Thayer.
b) Vincent.
c) Thayer.
d) Westcott in Speaker's Commentary.

874

[صورة رقم٣] وفيها الفصل الخامس من رسالة يوحنا الأولى الفقرة السابعة في طبعتي الملك جيمس وابمبلفيد amplified . وقد أدرجت فيهما فاصلة يوحنا.

بعد عصر التنوير وظهور منهج النقد الحديث وخروج طبعات نقدية قام بها نقاد أكفاء، سقط نص Textus Receptus وما بني عليه من طبعات ، و ظهرت الطبعات النقدية المحققة تحقيقاً علمياً، خالية من فاصلة يوحنا الشركية.[1]

ثالثاً: فاصلة يوحنا في طبعات العهد الجديد النقدية الحديثة:

بعد فترة النقد الحديث، وظهور محاولات لنشر طبعات محققة للعهد الجديد، ظهرت طبعات تعرف بالطبعات النقدية المحققة، وقد حذفت هذه الطبعات ما لم تجده في المخطوطات الأصلية. وبناءً على ذلك حذفت فاصلة يوحنا من الطبعات التالية:

١ – الطبعات الأربع ثنائية اللغة:

اعترف العلماء الكاثوليك الرومان المعاصرون بأنّ العبارة الشركية لا تَعُودُ إلى العهد الجديد اليوناني؛ على سبيل المثال، الطبعات الثنائية اللغة

---

(١)لمعرفة تفصيلات عن ظهور وسقوط نص Textus Receptus ، أو النص المتفق عليه؛ انظر:

Metzger, : The text of the New Testament : pp 170-175

للعهد الجديدِ التي نشرها بوفر Bover، ومارك Merk، ونيلو Nolli، وفوجلز Vogels ، توجد فيها الفاصلة كجزء مِنْ نَصِّ فولجاتا Vulgate اللاتيني المصدّقة من مجمع ترينتي الكنسي، لكنها تحذف مِن النَصِّ اليونانيِ المُواجه للنص اللاتيني على الصفحةِ المقابلة.

٢- طبعة فولجاتا الجديدة Nova Vulgata ، التي نشرَت في سنة ١٩٧٩ ، بعد مجمع الفاتيكان الثاني، ولا تَتضمّنُ الفاصلةَ.

٣- طبعة كمبردج للكتاب المقدس التي نشرَت في سنة ١٨٧٣، وَضعت الفاصلةَ بحرف مائلٍ، مشيرة إلى الشك فيها.

٤- ترجمات الكتاب المقدس الحديثةِ مثل NIV، NASB، ESV، NRSV و غيرها؛ إمّا تحذف الفاصلةَ كليَّاً؛ أَو تلقيها في الهوامشِ.

٥- طبعة كرباخ Griesbach النقدية للعهد الجديدِ، تُوضّحُ في الهامشِ الأسباب النقدية لرفضِ فاصلةِ يوحنا.[1]

٦- كلا من طبعة: (Novum Testamentum Graece) NA 27)) وطبعة مجمع التوراةِ المتّحدةِ (UBS 4) تقدم ثلاث صيغ مختلفة للفقرة، مع الإشارة إلى الوثائق التي أثبتت كلا منها باستخدام الرموز، مبينة أسباب اعتبارها الفاصلة مدرجة.[2]

---

(١)لمعرفة تفصيلات عن هذه الطبعة ومحققيها، انظر:

Metzger, : The text of the New Testament : p 156.

(٢) لمعرفة تفصيلات عن هذه الطبعات النقدية من كرباخ إلى العصر الحديث، انظر:

Metzger, : The text of the New Testament : pp 164-195

٧– حذفت الفاصلة من طبعات Living New Testament والطبعة القياسية المنقحة REVISED STANDARD ، كما هو في الصورة رقم٤.

٨– حذفت الفاصلة من طبعة : New American Bible (صورة ٥).

NEW TESTAMENT

Living New Testament

21 And God Himself has said that one must not only love God, but his brother too.

CHAPTER 5

If you believe that Jesus is the Christ—that He is God's Son and your Savior—then you are a child of God. And all who love the Father love His children too.

2 So you can find out how much you love God's children—your brothers and sisters in the Lord—by how much you love and obey God.

3 Loving God means doing what He tells us to do, and really, that isn't hard at all;

4 For every child of God can obey Him, defeating sin and evil pleasure by trusting Christ to help him.

5 But who could possibly fight and win this battle except by believing that Jesus is truly the Son of God?

6, 7, 8 And we know He is, because God said so with a voice from heaven when Jesus was baptized, and again as He was facing death[1]—yes, not only at His baptism but also as He faced death.[2] And the Holy Spirit, forever truthful, says it too. So we have these three witnesses: the voice of the Holy Spirit in our hearts, the voice from heaven at Christ's baptism, and the voice before He died.[3] And they all say the same thing: that Jesus Christ is the Son of God.[4]

9 We believe men who witness in our courts, and so surely we can believe whatever God declares. And God declares that Jesus is His Son. .

10 All who believe this know in their hearts that it is true. If anyone doesn't believe this, he is actually calling God a liar, because he doesn't believe what God has said about His Son.

11 And what is it that God has said? That He has given us eternal life, and that this life is in His Son.

12 So whoever has God's Son has life; whoever does not have His Son, does not have life.

13 I have written this to you who believe in the Son of God so that you may know you have eternal life.

Revised Standard

not seen. [21]And this commandment we have from him, that he who loves God should love his brother also.

Victory through faith

5 Every one who believes that Jesus is the Christ is a child of God, and every one who loves the parent loves the child. [2]By this we know that we love the children of God, when we love God and obey his commandments. [3]For this is the love of God, that we keep his commandments. And his commandments are not burdensome. [4]For whatever is born of God overcomes the world; and this is the victory that overcomes the world, our faith. [5]Who is it that overcomes the world but he who believes that Jesus is the Son of God?

Faith through the Son

6 This is he who came by water and blood, Jesus Christ, not with the water only but with the water and the blood. [7]And the Spirit is the witness, because the Spirit is the truth. [8]There are three witnesses, the Spirit, the water, and the blood; and these three agree. [9]If we receive the testimony of men, the testimony of God is greater; for this is the testimony of God that he has borne witness to his Son. [10]He who believes in the Son of God has the testimony in himself. He who does not believe God has made him a liar, because he has not believed in the testimony that God has borne to his Son. [11]And this is the testimony, that God gave us eternal life, and this life is in his Son. [12]He who has the Son has life; he who has not the Son of God has not life.

The certainties of faith

13 I write this to you who believe in the name of the Son of God, that you may know

[1] Literally, "This is He who came by water and blood." See Matthew 3:16, 17; Luke 9:31, 35; John 12:27, 28, 32, 33. Other interpretations of this verse are equally possible.
[2] Literally, "not by water only, but by water and blood."
[3] Literally, "the Spirit, and the water, and the blood."
[4] Implied.

875

[صورة رقم٤]فاصلة يوحنا محذوفة من طبعتي LIVING NEW TESTAMENT ، ومحذوفة كذلك من الطبعة القياسية المنقحة REVISED STANDARD

NEW TESTAMENT

Living New Testament

21 And God Himself has said that one must not only love God, but his brother too.

CHAPTER 5

If you believe that Jesus is the Christ—that He is God's Son and your Savior—then you are a child of God. And all who love the Father love His children too.

2 So you can find out how much you love God's children—your brothers and sisters in the Lord—by how much you love and obey God.

3 Loving God means doing what He tells us to do, and really, that isn't hard at all;

4 For every child of God can obey Him, defeating sin and evil pleasure by trusting Christ to help him.

5 But who could possibly fight and win this battle except by believing that Jesus is truly the Son of God?

6, 7, 8 And we know He is, because God said so with a voice from heaven when Jesus was baptized, and again as He was facing death[1]—yes, not only at His baptism but also as He faced death.[2] And the Holy Spirit, forever truthful, says it too. So we have these three witnesses: the voice of the Holy Spirit in our hearts, the voice from heaven at Christ's baptism, and the voice before He died.[3] And they all say the same thing: that Jesus Christ is the Son of God.[4]

9 We believe men who witness in our courts, and so surely we can believe whatever God declares. And God declares that Jesus is His Son.

10 All who believe this know in their hearts that it is true. If anyone doesn't believe this, he is actually calling God a liar, because he doesn't believe what God has said about His Son.

11 And what is it that God has said? That He has given us eternal life, and that this life is in His Son.

12 So whoever has God's Son has life; whoever does not have His Son, does not have life.

13 I have written this to you who believe in the Son of God so that you may know you have eternal life.

Revised Standard

not seen. 21 And this commandment we have from him, that he who loves God should love his brother also.

Victory through faith

5 Every one who believes that Jesus is the Christ is a child of God, and every one who loves the parent loves the child. 2 By this we know that we love the children of God, when we love God and obey his commandments. 3 For this is the love of God, that we keep his commandments. And his commandments are not burdensome. 4 For whatever is born of God overcomes the world; and this is the victory that overcomes the world, our faith. 5 Who is it that overcomes the world but he who believes that Jesus is the Son of God?

Faith through the Son

6 This is he who came by water and blood, Jesus Christ, not with the water only but with the water and the blood. 7 And the Spirit is the witness, because the Spirit is the truth. 8 There are three witnesses, the Spirit, the water, and the blood; and these three agree. 9 If we receive the testimony of men, the testimony of God is greater; for this is the testimony of God that he has borne witness to his Son. 10 He who believes in the Son of God has the testimony in himself. He who does not believe God has made him a liar, because he has not believed in the testimony that God has borne to his Son. 11 And this is the testimony, that God gave us eternal life, and this life is in his Son. 12 He who has the Son has life; he who has not the Son of God has not life.

The certainties of faith

13 I write this to you who believe in the name of the Son of God, that you may know

[1] Literally, "This is He who came by water and blood." See Matthew 3:16, 17; Luke 9:31, 35; John 12:27, 28, 32, 33. Other interpretations of this verse are equally possible.
[2] Literally, "not by water only, but by water and blood."
[3] Literally, "the Spirit, and the water, and the blood."
[4] Implied.

875

[صورة رقم٥] فاصلة يوحنا محذوفة في طبعة: NEW AMERICAN BIBLE

testify that the Father sent his Son as savior of the world. [15] Whoever acknowledges that Jesus is the Son of God, God remains in him and he in God. [16] We have come to know and to believe in the love God has for us.

God is love, and whoever remains in love remains in God and God in him. [17] In this is love brought to perfection among us, that we have confidence on the day of judgment because as he is, so are we in this world.[b] [18] There is no fear in love, but perfect love drives out fear because fear has to do with punishment, and so one who fears is not yet perfect in love. [19] We love because he first loved us. [20] If anyone says, "I love God," but hates his brother, he is a liar; for whoever does not love a brother whom he has seen cannot love God* whom he has not seen.[c] [21] This is the commandment we have from him: whoever loves God must also love his brother.[d]

CHAPTER 5

Faith is Victory over the World. [1] * Everyone who believes that Jesus is the Christ is begotten by God, and everyone who loves the father loves [also] the one begotten by him.[e] [2] In this way we know that we love the children of God when we love God and obey his commandments. [3] For the love of God is this, that we keep his commandments. And his commandments are not burdensome,[f] [4] for whoever is begotten by God conquers the world. And the victory that conquers the world is our faith.[g] [5] Who [indeed] is the victor over the world but the one who believes that Jesus is the Son of God?[h]

[6] This is the one who came through water and blood,* Jesus Christ, not by water alone, but by water and blood. The Spirit is the one that testifies, and the Spirit is truth.[i] [7] So there are three that testify, [8] the Spirit, the water, and the blood, and the three are of one accord.[j] [9] If we accept human testimony, the testimony of God is surely greater. Now the testimony of God is this, that he has testified on behalf of his Son.[k] [10] Whoever believes in the Son of God has this testimony within himself. Whoever does not believe God has made him a liar by not believing the testimony God has given about his Son.[l] [11] And this is the testimony: God gave us eternal life, and this life is in his Son.[m] [12] Whoever possesses the Son has life; whoever does not possess the Son of God does not have life.

IV. EPILOGUE*

Prayer for Sinners. [13] I write these things to you so that you may know that you have eternal life, you who believe in the name of the Son of God.[n] [14] And we have this confidence in him, that if we ask anything according to his will, he hears us.[o] [15] And if we know that he hears us in regard to whatever we ask, we know that what we have asked him for is ours. [16] If anyone sees his brother sinning, if the sin is not deadly, he should pray to God and he will give him life. This is only for those whose sin is not deadly. There is such a thing as deadly sin, about which I do not say that you should pray.[p] [17] All wrongdoing is sin, but there is sin that is not deadly.

[18] We know that no one begotten by God sins; but the one begotten by God he protects, and the evil one cannot touch him.

b 1 Jn 2, 28.—c 1 Jn 2, 4.—d Jn 13, 34; 14, 15.21; 15, 17.—e Jn 8, 42; 1 Pt 1, 23.—f Jn 14, 15.—g Jn 16, 33.—h 1 Cor 15, 57.—i Jn 15, 26; 19, 34.—j Jn 5, 32.36; 15, 26.—k Jn 5, 32.37.—l 1 Jn 3, 33.—m 1 Jn 1, 2; Jn 1, 4; 5, 21.26; 17, 3.—n Jn 1, 12; 20, 31.—o 1 Jn 3, 21-22; Mt 7, 7; Jn 14, 13-14.—p Mt 12, 31.

4, 20: *Cannot love God:* some ancient manuscripts read "how can he love . . . ?"

5, 1-5: Children of God are identified not only by their love for others (1 Jn 4, 7-9) and for God (1 Jn 5, 1-2) but by their belief in the divine sonship of Jesus Christ. Faith, the acceptance of Jesus in his true character and the obedience in love to God's commands (3), is the source of the Christian's power in the world and conquers the world of evil (4-5), even as Christ overcame the world (Jn 16, 33).

5, 6-12: *Water and blood* (6) refers to Christ's baptism (Mt 3, 16-17) and to the shedding of his blood on the cross (Jn 19, 34). *The Spirit* was present at the baptism (Mt 3, 16; Mk 1, 10; Lk 3, 22; Jn 1, 32.34). *The testimony* to Christ as the Son of God is confirmed by divine witness (7-9), greater by far than the two legally required human witnesses (Dt 17, 6). To deny this is to deny God's truth; cf Jn 8, 17-18. The gist of the divine witness or *testimony* is that *eternal life* (11-12) is given in Christ and nowhere else. To *possess the Son* is not acceptance of a doctrine but of a person who lives now and provides life.

5, 13-21: As children of God we have confidence in prayer because of our intimate relationship with him (14-15). In love, we pray (16-17) for those who are in *sin,* but not in *deadly sin* (literally, "sin unto death"), probably referring to apostasy or activities brought on under the antichrist; cf Mk 3, 29; Heb 6, 4-6; 10, 26-31. Even in the latter case, however, prayer, while not enjoined, is not forbidden. The letter concludes with a summary of the themes of the letter (18-20). There is a sharp antithesis between the children of God and those belonging to the world and to the evil one. The Son reveals the God of truth; Christians dwell in the true God, *in his Son,* and have eternal life. The final verse (21) voices a perennial warning about *idols,* any type of rival to God.

المبحث الثاني

وصية متى الكبرى

نتيجة لسقوط فاصلة يوحنّا من الطبعات النقدية الحديثة ، أصبح كامل ثقل إثْبات الثالوثِ يعتمد أخيراً على "وصية متى الكبرى"، وهي نص متى ١٩:٢٨.

"وصية متى الكبرى" : هي نَصٌّ يستشهد به المثلثون المسيحيون للاستدلال على اعتقادِهم بوجود ثلاثة آلهة . وصية متى الكبرى، هي الفقرة ١٩ من الإصحاح ٢٨ في الإنجيل المنسوب لمتى، ونصّها :" ١٩فَاذْهَبُوا وَعلِّموا كل الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ؛ ٢٠وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْتِهَاءِ الزَّمَانِ! » .

لقد آمن المسيحيون بكلمات الوصية الكبرى حرفياً، باعتبار أنها مِن كلام المسيح.وكذلك فعلت كنيسة ما بَعْدَ الإصلاح الديني، حتى جاء عصر التنويرِ، الذي أوجد منهجَ النقدِ التأريخي، وفي ضوئه أعيد النظر في الكتاب المقدس.

المطلب الأول: وصية متى في المخطوطات:

وصية متى موجودة في المخطوطات، بدءاً من القرن الخامس. لكن رغم ذلك، هناك صعوبات عظيمة، وعقبات كأداء في سبيل قبولها.(١)

في أقدم المخطوطاتِ التي كان من المفترض أنها تحفظ نصاً أقدمَ للعهد الجديد، أعني المخطوطة السينائية Sinaiticus السريانية، والمخطوطة الفاتيكانية اللاتينية، الصفحات التي فيها نهاية متى غير موجودة. ولَيْسَ لَدينا مخطوطة أقدم مِنْ سَنَةِ ٤٠٠. وقبل فترة طويلة من هذا التاريخ، كان الخلاف حول إدراجِ روحِ القدس بدرجة متساوية في الثالوثِ المقدس، محلّ نزاع . و نصّ الوصية الذي يعد شيئاً ثميناً جداً لحزبِ المثلثين الذين انتصروا في النزاع؛ لا يمكن إلا أَنْ يَجِدَ طريقه إلى كُلّ مخطوطة، بغض النظر عن أصالتهِ.(٢) لذلك فإن وجود وصية متى في كُلّ المخطوطات، سواء في المخطوطات اليونانية أو اللاتينية، ليس غريباً.

---

(١) انظر:

Word Studies on the Holy Spirit, By *E. W. Bullinger Kregel Academic & Professional (June 30, 1979).* pp 47, 48،

(٢) انظر:

Fred. C. Contbeare, A Doctrinal Modification Of A Text OF The Gospel, Oxford, The Hebert Journal, Vol. I. No. 1 OCTOBER 1902, PAGES 102-108.

المطلب الثاني: وصية متى عند "أعداء الروح القدس":

لقد قامت صراعات عقائدية في القرون الأولى في تاريخ المسيحية. وكان أحد أهمّ الأسلحة في هذه المعارك العقائدية هو "النص" . فمن كان يملك نصاً كان له الغلبة في النزاع. وبناء على ذلك قامت صراعات حول النصوص، ومن لم يجد نصاً صريحاً يستعمله في النزاع، كان يبحث عن نص يؤوّله لصالحه؛ فيقوم النص المؤول محل النص المأمول في تأييد عقيدة معينة.

ومن النزاعات التي قامت في هذا الوقت : نزاعات حول عدد الآلهة؛ هل هناك إله واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر؟ وفيما يتعلق بنص الوصية –موضع البحث–، فقد كان هناك نزاع حول حقيقة الروح القدس. وغدا ما كان يجب أن يضاف إلى قائمة الآلهة بدرجة متساوية مع الآب والابن، أو لا يجب ذلك.

و في النِصْف الأخير من القرن الرابعِ، كان نَصّ الوصية الشركي "باسم الأبّ والابنِ وروحِ القدس" أحد الأسلحة التي استعملت في هذه المعركة بين المثلِّثِين وأتباعِ Macedonius، الذين سموا pneumao machi "أعداء الروحِ القدس"، نظراً لأنهم رَفضوا تَضْمين الروح القدس في الثالوث، باعتباره من نفس جوهر الآب والابن، وباعتباره قديماً وأزلياً مَعهما. وأنكر "أعداء الروح القدس" هؤلاء وجود أيّ نَصّ من العهد الجديد يؤيد مثل هذا الاعتقاد؛ فيضع الروح مَع الأب والابن

في نسق ودرجة واحدة، هي درجة أو مرتبة "الألوهية". من هنا نَستنتجُ أنّ النصوصَ التي كانت في أيدي "أعداء الروح القدس" هؤلاء لم يكن فيها هذا النص؛ أعني الدليل على وجود ثلاثة آلهة. فتكون نصوصهم خالية من وصية متى. وبذلك تكون نصوص هؤلاء وافقتْ تلك النصوص التي نجدها عند من يُعرفوا بآباء الكنيسة؛ مثل المؤرخ الكنسي يوسبيوس Eusebius، وآباء الكنيسة الآخرين. وهو ما أعرضه تفصيلاً فيما يأتي.

المطلب الثالث: "وصية متى" في كتابات آباء الكنيسة:

ماذا تقول كتابات "آباءِ الكنيسةِ الأوائِلِ" الذين اطّلعوا على المخطوطاتِ الأقدمِ من كل المخطوطات التي بين أيدينا اليوم؟ كيف كان النص في مخطوطاتهم؟ وكيف اقتبسوا "وصية متى"؟

لقد وجدت ثلاث صيغ لنص "وصية متى" عند آباء الكنيسة، على النحو التالي:

المسألة الأولى: صيغة وصية متى عند يوسبيوس القيصري:

ينطوي اقتباس يوسبيوس للنص على أهمية بالغة؛ نظراً لأنه عاشَ في أعظمِ مكتبة مسيحية في ذلك الوقت، تلك المكتبة التي جمعها أورجن السكندري Origen [254 – 185)]، وبامفيلوس Pamphilus القيصري [النصف الأخير من القرن الثالث]. و ليس مبالغة أن نقول إنه مِنْ هذه المجموعةِ من المخطوطاتِ في القيصرية Caesarea يشتقُّ الجزء

الأكبر الباقي من مؤلفات ما قبل مجمع نيقيا Nicene. إذن لابد أن يوسبيوس Eusebius استعمل هذه المخطوطات الأقدم بحوالي مائتي سنة مِنْ أسبقِ مخطوطة يونانية توجد الآن في مكتباتنا.

كما أن يوسبيوس كان مشهوراً أيضاً بتفسيرِ كلمات أورجن Origen ، و كليمنت السكندري، وبانتنيوس Pantaenus، والعديد مِن المفسرين القدماء للكتاب المقدس، الذين لم تصل إلينا أعمالهم، إلا في ترجمات لاتينية مجهولة . لكل هذا فإن اقتباسات يوسبيوس لها أهمية بالغة في موضوعنا.

عند يوسبيوس يوجد صيغتان لنص وصية متى: صيغة ما قبل مجمع نيقيا، وصيغة ما بعد مجمع نيقيا!

لقد استشهد يوسبيوس بالفقرة مراراً وتكراراً في أعمالِه التي كَتبَها بين سنتي ٣٠٠ و٣٣٦م، قبل مجمع نيقيا؛ في تعليقاتِه الطويلةِ على المزاميرِ، و على سفر أشعيا، و في كتابه المسمى "برهان الإنجيل" أو " Demonstratio Evangelica،" و كتابه " التجلي" eophany ، الموجود فقط في ترجمة سريانية قديمة في مخطوطة في المتحفِ البريطانيِ وقد كَتبَه في سنة ٤١١، و في تأريخِه المشهورِ للكنيسةِ، وفي مدحِه للإمبراطور قسطنطين .

بعد بحث معقول في أعمالِ يوسبيوس Eusebius هذه، وجدت ثمانية عشرَ اقتباساً لوصية متى ، وكلها كانت في الصيغة التالية:

" ١٩فَاذْهَبُوا إِذَنْ، وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِي ٢٠وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ."

ولم يكتف يوسبيوس Eusebius بمجرّد الاسْتِشْهاد بالفقرة في هذه الصيغة، لَكنَّه أكثر مِنْ مرة يعلق عليها بطريقة ما، ليبين ما تعنيه هذه الكلمة "باسمِي." حسب ما يفهم هو وحزبه.[1] .

إنَّ هذا النَصَّ المكتشف عند يوسبيوس Eusebius ، في المخطوطاتِ القديمةِ جداً، التي جَمعها أسلافه قبل خمسين إلى مائة وخمسين سنة من ولادتِه . وقبل ذلك لم يعرف يوسبيوس أي صيغة أخرى للنص، حتى زارَ القسطنطينية Constantinople ، وحَضرَ مجمع نيقيا. بعد ذلك في عملين جدليين كَتبَهما في شيخوختِه المتأخرة، أحدهما، "ضدّ مارسيلوس" والآخر حول "عقيدة الكنيسةِ " استعملَ صيغة الوصية الشائعة، فماذا حدث في مجمع نيقيا؟

"يوسبيوس Eusebius، المؤرخ الكنسي، ماتَ سنة ٣٤٠ بعد الميلاد، فعمله يرجع إلى القرن الثالثِ. علاوة على ذلك، لقد عاشَ في إحدى أكبر المكتبات العامةِ المسيحيةِ ذلك اليومِ. فإذا كانت المخطوطات اليونانية آنذاك تحتوي على هذه الكلماتِ [عمّدُوهم باسم الأب، والابنِ،

---

(١) هكذا فعل مثلاً في كتابه "برهان الإنجيل" Demonstratio Evangelica (عمود ٢٤٠، ص. ١٣٦).

وروحِ القدس "]، فيَبْدو أنه من المستحيل أن يَقتبسَ يوسبيوس هذا الفقرة ثماني عشْرة مرة، دون أن يضمنها تلك الكلمات." [١]

لكن ردة يوسبيوس Eusebius إلى النَصِّ الأطولِ بعد مجمع نيقيا، يُشيرُ إلى أنّه –في ذَلِك الوَقت– بدأ النص يُقدّمَ كشعار مسيحي يدرج في كُلّ المخطوطات.

المسألة الثانية: صيغة الوصية في كتاباتِ آباء الكنيسةِ الآخرين:

أولاً: النص عند أورجن Origen : في كتاباتِ أورجن Origen السكندري ليس هناك حالة واضحة لنص وصية متى في صيغتها المشهورة. وفي كتابات أورجن Origen الموجودة في اللغة اليونانية، الجزء الأول من الفقرة، يوجد ثلاث مرات، لكن الاقتباس يَتوقّفُ دائماً عند الكلماتِ τά θνη "الأمم"؛ والكلمة التالية "باسمِي" مشطوبة، وهو ما يوحي في نفسه بأنّه مضطرب في الاقتباس.[٢]

---

(١) انظر:

FRED. C. CONYBEARE, A DOCTRINAL MODIFICATION OF A TEXT OF THE GOSPEL, OXFORD, *THE HIBBERT JOURNAL*, Vol. I. No. 1 *OCTOBER 1902,* PAGES 102-108.

(٢) المرجع السابق نفسه.

ثانيا: النص عند كليمنت السكندري: وفي كتابات كليمنت السكندري: النَصّ المشابه بعض الشّيء لصيغة وصية متى، اقتبس مرّة واحدة؛ لكنه نقله عنْ زنديق معرفي اسمه تيطس Teodotus، وليس باعتباره النَصّ القانوني.

ثالثاً: النص عند جوستن الشهيدِ: ، كان جوستن يكتب فيما بين سنتي ١٣٠ و١٤٠بعد الميلاد، و يوجد في كتاباته الشاهد الذي اعتبرَه عدد من العلماء اقتباساً أَو صدى لوصية متى، ورأى النقاد في هذا الاقتباس تلخيصاً للنَصِّ العادي.

إنّ الشاهد في حوارِ جوستن مَع أحد معارضيه هكذا [1]:

"إن الله لم يأت بعد بالدينونة، كما يعرف بعض الذين ما زالَوا حتى اليوم يعلمون باسم مسيح الله، ويَنغمسون في طريق الخطأِ، الذين يأخذون العطايا كأنهم أحق بها، معلمين باسمِ المسيح."

وجه الشاهد في هذا النص أنه يذم معارضيه، لأنّهم أهملوا صيغةَ الثالوث الشركية: "عمّدُوهم باسم الأب والابن وروح القدس" . لكن

---

(١) الترجمة لكاتب البحث، وانظر:

FRED. C. CONYBEARE, A DOCTRINAL MODIFICATION OF A TEXT OF THE GOSPEL, OXFORD,*THE HIBBERT JOURNAL*, Vol. I. No. 1 *OCTOBER 1902,* PAGES 102-108

كما يبدو من هذا النص أيضاً، أن جوستن كان مطلعاً على نفس النَصّ المختصر "باسمي"؛ بدون الثالوث، في حدود سَنَة ١٤٠، وقت كتابته، النص الذي قرأه يوسبيوس Eusebius دائماً في مخطوطاتِه ، في سنة ٣٠٠-٣٤٠، قبل مجمع نيقيا.

رابعاً النص عند ترتليان Tertullian : كما أننا نَجِد نص الوصية الشركي مرّتين عند ترتليان Tertullian:

أ- في صيغة مختلفة قليلاً، في كتابه "عهود المعموديةِ" ، هكذا بلغته اللاتينية:

"Ite , inquit, docete nationes, tinguentes eas in nomen Patris et Filii et Spiritus Sancti."

وترجمته العربية: (انتشروا إذن، وعلموا الأمم، وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس).

ب- وفي كتابه "أصول البدع" أو: De Praescriptione haereticorum، يقتبسه بصيغة قريبة، هكذا:

"Undecim digrediens ad patrem et nfilium et in Spiritum Sanctum.")

(أيها الأحد عشر عمدوا بالآب والابن والروح القدس).

لكنه هنا حذف: in nomen "باسم ". [1]

نَستنتجُ من هذا أنّ النَصَّ لَمْ يكن قد استقر "تماماً"، عندما كان ترتليان Tertullian يَكْتبُ في القرن الثالثِ أيضاً، قبل مجمع نيقيا، الذي استقر بعده النص "تماماً".

المسألة الثالثة: الصيغة الثالثة للوصية عند أفاراتس Aphraates:

هناك شاهد آخر هام يجب أن ندرسه. هو نص أفارتس Aphraates[2] الأب السرياني من أصل فارسي، والذي كان يكتب بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٥. إنه يَستشهدُ بالنص في الصيغة التّالية:

---

(١) انظر:

FRED. C. CONYBEARE, A DOCTRINAL MODIFICATION OF A TEXT OF THE GOSPEL, OXFORD,*THE HIBBERT JOURNAL*, Vol. I. No. 1 *OCTOBER 1902,* PAGES 102-108.

(٢) Aphraates هو الترجمة اليونانية للاسمِ الفارسِي Aphrahat أو , (Pharhadh) وهو كاتب سرياني يَعُودُ إلى منتصفِ القرن الرابعِ AD.، ألف كتابا فيه ثلاث وعشرون موعظة في موضوعات مسيحية مختلفة، باللغة السريانية ، وترجمت إلى الإنجليزية. انظر من كتبه هو:

Aphrahat demonstrations (Catholic theological studies in India) by Aphraates, The homilies of Aphraates,: The Persian sage by Aphraates.

ومما كتب عنه:

Connolly, R. H. "Aphraates and Monasticism" in *Journal of Theological Studies* 6 (Oxford and London, July 1905):pp 522-539.,The creed of Aphraates by H. Leonard Pass.

"علموا كُلّ الأمم، ليؤمنوا بي."

الكلمات الأخيرة "ليؤمنوا بي" هي شرح وتفسير لنص يوسبيوس Eusebius "باسمِي." لكنها أيضاً تعارض نص textus receptus باسمِ الثالوث.

لو كَانتْ رواية إفارتس Aphraates وحيدة، فربما ننظر إليها باعتبارها اقتباساً غير دقيق لوصية متى، لكن في وجود نص يوسبيوس ونَصّ جوستن الشهيد، وحجج "أعداء الروح القدس" ، فإن هذا الفرض غير ممكن.

الخلاصة : لدينا ثلاث صيغ متنافسة للنَصِّ:

١- "باسمي" : عند جوستن ويوسبيوس و"أعداء الروح القدس" Pneumato-machi

٢- "ليؤمنوا بي"، عند Aphraates، ممثل أقدم ترجمة سورية.

٣- "عمّدُوهم باسم الأب، و الابن وروح القدس، "أَو الصيغة المشابهة له عند تيطس Teodotus المعرفي اليوناني؛ كما نقله عنه كلمنت السكندري، وترتليان Tertullian، والمخطوطات اليونانية الباقية اليوم.

المطلب الرابع: الوصية الكبرى في ضوء النقد الموضوعي:

نظراً لوجود صيغ النص الثلاثة، فإن حسم أصالة هذا النص سيكون بناءً على النقد الموضوعي. والسؤال هنا: هل يتوافق النص الشركي مع النصوص الأخرى.

في هذه الوصية قضيتان تخضعان للنقد الموضوعي، هما :

١- دعوة كُلّ الأمم.

٢- صيغة الثالوث.

المسألة الأولى: تعميد كل الأمم:

هل كانت رسالة المسيح لكل الأمم؟

في إجابة واضحة من القرآن الكريم؛ لقد كان عيسى ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ**﴾ [آل عمران: ٤٩].

و هو ما نجده في نفس هذا الكتاب – أعني الإنجيل طبقاً لمتى– [متى ١٠/ ٥-٧] ؛ فقد جمع المسيح هؤلاء الاثني عشر أنفسهم ، وقال لهم:

«لاَ تَسْلُكُوا طَرِيقاً إِلَى الأُمَمِ، وَلاَ تَدْخُلُوا مَدِينَةً للسَامِريين. ٦ بَلِ اذْهَبُوا فقط إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. ٧ وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ، بَشِّرُوا قَائِلِينَ: قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ." ثم في الفقرة الأخيرة من الكتاب نفسه يدعو الاثني عشر أنفسهم، ويأمرهم بالذهاب لكل الأمم .

على كل حال أود أن أتقيد بحدود بحثي، وأكتفي هنا بالإشارة المختصرة لهذا التناقض.

المسألة الثانية: صيغة الثالوث:

يتضمن هذا النوع من النقد مسألتين: الأولى موافقة نص الوصية لنصوص الأناجيل الأخرى، والثانية عمل الحواريين الاثني عشر بها.

أولاً: نصوص الأناجيل الأخرى:

بالإضافة إلى النصوص التي ذكرتها في مقدمة البحث من العهدين القديم والجديد، والتي تتطابق كلها، متضامنة مع القرآن الكريم، على إثبات وحدانية الله تعالى، والتي لا داعي لتكرارها هنا، فهناك نصوص أخرى في العهد الجديد تعارض نص الوصية:

لدينا فقرة هامة بالنسبة لموضوعنا في لوقا ٢٤/ ٢٧: هي قوله "وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، بداية من أورشليم " . إنها تتفق مباشرة مَع نص متى ٢٨:١٩ في (نشر الإنجيل بين كُلّ الأمم) ، إلا أن (التوبة ومغفرة الذنوبِ باسم المسيح)، فكما نَرى هنا فإن هذا لا يكون باسم "ثلاثة آلهة".

وفي إنجيل يوحنا الإصحاح ١٥: نص آخر؛ ولو كان في موضوع مختلف؛ لكنه أيضاً ليس باسم الثالوث: وهو قوله: "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، و يذكركم

بكل ما قلته لكم" . وتكرر في هذا الإصحاح والذي بعده (١٦) قوله: "باسمي" عدة مرات.

ثانياً: عمل التلاميذ:

العقبة الأخرى في طريق الوصية، أن الحواريين أنفسهم لم يمتثلوا هذا الأمر. وفي بقيّة العهد الجديدِ ليس هناك إشارة أبداً إلى أن أي واحد منهم فعل ما أمر به. فقد كانت المعمودية دائماً بالاسم المفرد:

١- سفر الأعمال: ٢/ ٣٨ : "فقال لهم بطرس توبوا، وليتعمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح، لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس".

٢- الأعمال ٨/ ١٦: " لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَعَمَّدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ."

٣- الأعمال ١٠/ ٤٨: "وَأَمَرَ أَنْ يَتَعَمَّدُوا بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ."

٤- الأعمال ١٩/ ٥: "فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا تَعَمَّدُوا بِاسْمِ السيد المسيح"

٥- الأعمال ٢٢/ ١٦: " قُمْ تَعَمَّدْ وَاغْتَسِلْ مِنْ خَطَايَاكَ، دَاعِياً بِاسْمِ الرَّبِّ."

٦- الرسالة الأولى لمؤمني كُورِنْثُوسَ" ١٢أَعْنِي أَنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يَقُولُ: «أَنَا مَعَ بُولُسَ» ، وَآخَرُ: «أَنَا مَعَ أَبُلُّوسَ»، وَآخَرُ: «أَنَا مَعَ بُطْرُسَ»، وَآخَرُ: «أَنَا مَعَ الْمَسِيحِ». ١٣فَهَلْ تَجَزَّأَ الْمَسِيحُ؟ أَمْ أَنَّ بُولُسَ صُلِبَ

لأَجْلِكُمْ، أَوْ بِاسْمِ بُولُسَ تَعَمَّدْتُمْ؟ ١٤أَشْكُرُ اللهَ لأَنِّي لَمْ أُعَمِّدْ مِنْكُمْ أَحَداً غَيْرَ كِرِيسْبُوسَ وَغَايُوسَ، ١٥حَتَّى لاَ يَقُولَ أَحَدٌ إِنَّكُمْ بِاسْمِي تَعَمَّدْتُمْ."

٧- الرسالة الأولى لكورنثوس ٦/ ١١: وَهَكَذَا كَانَ بَعْضُكُمْ، إِلاَّ أَنَّكُمْ قَدِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ، بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِرُوحِ إِلهِنَا.

من كل ما سبق يتبين أنه لا يوجد ثالوث. أما كون المعمودية باسم المسيح، لو كان هذا النص مترجماً بدقة، فإنها تفسر بنص إفارتيس، أي ليؤمنوا بي. وهناك احتمال آخر هو أنَّ أصل النص كان باسم الله تعالى، وحدث تبادل للأسماء، كما يحدث كثيرا في العهد الجديد، بسبب استعمال المختصرات للأسماء المقدسة، nomina sacra، فتبدلت (Θ□) بـ (I□)).[1]

في ضوء هاتين المسألتين يتبين أن المعموديةَ لم تكَن أبداً باسم ثلاثة "الأب، والابنِ، وروحِ القدس". ومن الصعب أن نفترض أنَّ التلاميذ الاثني عشر الذين وجهت لهم هذه الوصية قابلوها بمثل هذا الإهمال التام والعام، هذا إذا كَانَت فعلا قَدْ قيلت.

---

(١) للوقوف على حالات متعددة من هذا النوع: انظر:

Bart Erhman, the orthodox corruption of scripture, p 60, 78, 83, 110 not 134

المطلب الثالث: نهاية متى ، ونهاية مرقص:

عمل المسيحيون بالقاعدة التي يقررها علماء اللغة العرب فيما يتعلق بالحذف، وهي أن الأواخر هو موضع الحذف، لكن الحقيقة أن المسيحيين توسعوا في تطبيق هذه القاعدة، ليس في اللغة بل في العهد الجديد، وليس في آخره فقط بل في كل مكان تقريباً؛ فقد تعرض العهد الجديد عموماً للحذف والإضافة. ومن أمثلة الحذف في الآخر ما حدث لإنجيل مرقص؛ الإنجيل التي زورت نهايته، وفي الحقيقة بدايته أيضاً [١] .

فالاثنتا عشرة فقرة الأخيرة من مرقص، ١٦:٩-٢٠، لَيستْ موجودة في مخطوطتي القرن الرابعَ المميزتين، وهما السينائية Sinaiticus والفاتيكانية Vaticanus، أقدم المخطوطات الكاملة للعهد الجديد [٢] المخطوطة الفاتيكانية Vaticanus يوجد بها عمود فارغ بعد نهاية الفقرة ١٦:٨، وتَنتهي السينائية Sinaiticus أيضاً عند الفقرة ١٦:٨ . ورغم أن نص مرقص ١٦:٩-٢٠ محفوظ في صيغته التقليدية في حوالي

---

(١) لمعرفة ما حدث في هذا الكتاب عموماً، سواء في بدايته أو نهايته، انظر:

[illegible]

(٢) بالطبع فإن أوراق بردي P45 هي الأقدمُ لكنها لا تحتوي على نَصّ مارك ١٦ بسبب تلف تام أصابها.

١٢مخطوطة إنشية uncials[١] (أقدمها هو المخطوطة السكندرية: Alexandrinus) ، وفي كُلّ المخطوطات ذات الحروف الصغيرةِ، واقتبسها آباء الكنيسة مثل أورجن، إلا أنها بالإجماع العام حذفت من الطبعات النقدية الحديثة. [٢].

وفيما يتعلق بالبداية، لدينا مثال واضح: بداية إنجيل متى نفسه، الذي يبدأ بموضوع غريب هو سلسلة نسب المسيح حتى يصل إلى يوسف النجار، ولكن السؤال المحير هو: ما علاقة المسيح بهذه السلسلة؟ لقد حذفت بعض مخطوطات إنجيل لوقا هذه السلسلة من الكتاب، لكونها تناقض أن المسيح ولد بلا أب، بل من نفخ الروح القدس. [٣] واضطرب النساخ والمترجمون في هذه السلسلة في متى، ورأى النقاد أنها ليست أصلية في هذا الإنجيل، وكتبت بحرف مغاير لحرف طباعة الكتاب إشارة لتزويرها. [٤]هذا في البداية، فماذا عن النهاية؟

---

(١) نسبة للحرف الإنشي، وهو الحروف اليونانية القديمة التي كتبت بها مخطوطاتهم.

(٢) للوقوف على الحالة الشاذة والنهايات المتعددة لهذا "الإنجيل" انظر:

Metzger, Bruce ,the text of the new testament, pp 322-328

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٥٦ وص ٥٨.

(٤) انظر على سبيل المثال:

Enoch powell: the evolution of the gospel, yale university press new haven and London, p .5, p53

لقد قارن النقاد بين نهاية مرقص ونهاية متى. فكلتا النهايتين دست بشكل عشوائي لإكمال القصة، مما نشأ عنه الخلل الكبير والتناقض في سياق الكتابين، وقد حذفت نهاية مرقص من الطبعات الحديثة المحققة، (انظر الصورة رقم٦) [1] .

(١) انظر:

Enoch powell: the evolution of the gospel, yale university press new haven and London, p .

(صورة رقم ٦) صورة الطبعة المشـتركة للعهـد الجديـد . وقـد ثبتـت النهاية الطويلة في ثلاث منها ، ثم حذفت في الطبعة القياسية المنقحة .

Mark 16 — NEW TESTAMENT

King James

2 And very early in the morning the first *day* of the week, they came unto the sepulchre at the rising of the sun.

3 And they said among themselves, Who shall roll us away the stone from the door of the sepulchre?

4 And when they looked, they saw that the stone was rolled away: for it was very great.

5 And entering into the sepulchre, they saw a young man sitting on the right side, clothed in a long white garment; and they were affrighted.

6 And he saith unto them, Be not affrighted: Ye seek Jesus of Nazareth, which was crucified: he is risen; he is not here: behold the place where they laid him.

7 But go your way, tell his disciples and Peter that he goeth before you into Galilee: there shall ye see him, as he said unto you.

8 And they went out quickly, and fled from the sepulchre; for they trembled and were amazed: neither said they any thing to any *man*; for they were afraid.

9 ¶ Now when *Jesus* was risen early the first *day* of the week, he appeared first to Mary Magdalene, out of whom he had cast seven devils.

10 *And* she went and told them that had been with him, as they mourned and wept.

11 And they, when they had heard that he was alive, and had been seen of her, believed not.

12 ¶ After that he appeared in another form unto two of them, as they walked, and went into the country.

13 And they went and told *it* unto the residue: neither believed they them.

14 ¶ Afterward he appeared unto the eleven as they sat at meat, and upbraided them with their unbelief and hardness of heart, because they believed not them which had seen him after he was risen.

15 And he said unto them, Go ye into all the world, and preach the gospel to every creature.

16 He that believeth and is baptized shall be saved; but he that believeth not shall be damned.

17 And these signs shall follow them that believe; In my name shall they cast out devils; they shall speak with new tongues;

18 They shall take up serpents; and if they drink any deadly thing, it shall not hurt them; they shall lay hands on the sick, and they shall recover.

19 ¶ So then after the Lord had spoken unto them, he was received up into heaven, and sat on the right hand of God.

20 And they went forth, and preached every where, the Lord working with *them*, and confirming the word with signs following. Amen.

Amplified

2 And very early on the first day of the week they came to the tomb; [by then] the sun had risen.

3 And they said to one another, Who will roll back the stone for us out of [the groove across the floor at] the door of the tomb?

4 And when they looked up, they [distinctly] saw that the stone was already rolled back, for it was very large.

5 And going into the tomb, they saw a young man sitting [there] on the right [side], clothed in a ([n]long, stately, sweeping) robe of white, and they were utterly amazed *and* struck with terror.

6 And he said to them, Do not be amazed *and* terrified; you are looking for Jesus of Nazareth Who was crucified. He is risen; He is not here. See the place where they laid Him. [Ps. 16:10.]

7 But be going; tell the disciples and Peter, He goes before you into Galilee; you will see Him there, [just] as He told you.

8 Then they went out [and] fled from the tomb, for trembling and bewilderment *and* consternation had seized them. And they said nothing about it to any one, for they were held by alarm *and* fear.

9 [o]Now Jesus, having risen ([p]from death) early on the first day of the week, appeared first to Mary Magdalene, from whom He had driven out seven demons.

10 She went and reported it to those who had been with Him, as they grieved and wept.

11 And when they heard that He was alive and that she had seen Him, they did not believe it.

12 After this He appeared in a different form to two of them, as they were walking [along the way] into the country.

13 And they returned [to Jerusalem] and told the others, but they did not believe them either.

14 Afterward He appeared to the eleven [apostles, themselves] as they reclined at table; and He reproved *and* reproached them for their unbelief (their lack of faith) and their hardness of heart, because they had refused to believe those who had seen Him *and* looked at Him attentively after He was risen ([p]from death).

15 And He said to them, Go into all the world and preach *and* publish openly the good news (the Gospel) to every creature (of the whole [q]human race).

16 He who believes—[that is,] who adheres to and trusts in and relies on the Gospel and Him Whom it sets forth—and is baptized will be saved [[r]from the penalty of eternal death]; but he who does not believe—who does not adhere to and trust in and rely on the Gospel and Him Whom it sets forth—will be condemned.

17 And these attesting signs will accompany those who believe: in My name they will drive out demons; they will speak in new languages;

18 They will pick up serpents, and [even] if they drink anything deadly, it will not hurt them; they will lay their hands on the sick, and they will get well.

19 So then the Lord Jesus, after He had spoken to them, was taken up into heaven and He sat down at the right hand of God. [Ps. 110:1.]

20 And they went out and preached everywhere, while the Lord kept working with them and confirming the message by the attesting signs *and* miracles that closely accompanied [it]. Amen—so be it.

n) Trench.
o) Verses 9 to 20 not in the two earliest manuscripts.
p) Cremer.
q) Thayer.
r) Cremer.

١٩١

NEW TESTAMENT — *Mark 16*

Living New Testament

3 On the way they were discussing how they could ever roll aside the huge stone from the entrance.

4 But when they arrived they looked up and saw that the stone—a *very* heavy one—was already moved away and the entrance was open!

5 So they entered the tomb—and there on the right sat a young man clothed in white. The women were startled,

6 But the angel said, "Don't be so surprised. Aren't you looking for Jesus, the Nazarene who was crucified? He isn't here! He has come back to life! Look, that's where His body was lying.

7 Now go and give this message to His disciples including Peter: 'Jesus is going ahead of you to Galilee. You will see Him there, just as He told you before He died.'"

8 The women fled from the tomb, trembling and bewildered, too frightened to talk.

* * * * *

9[1] It was early on Sunday morning when Jesus came back to life, and the first person who saw Him was Mary Magdalene—the woman from whom He had cast out seven demons.

10, 11 She found the disciples wet-eyed with grief and exclaimed that she had seen Jesus, and He was alive! But they didn't believe her!

* * * * *

12 Later that day[2] He appeared to two men walking from Jerusalem into the country, but they didn't recognize Him at first because He had changed His appearance.

13 When they finally realized who He was, they rushed back to Jerusalem to tell the others, but no one believed them.

* * * * *

14 Still later He appeared to the eleven disciples as they were eating together. He rebuked them for their unbelief—their stubborn refusal to believe those who had seen Him alive from the dead.

15 And then He told them, "You are to go into all the world and preach the Good News to everyone, everywhere.

16 Those who believe and are baptized will be saved. But those who refuse to believe will be condemned.

17 And those who believe shall use My authority to cast out demons, and they shall speak new languages.[3]

18 They will be able even to handle snakes with safety, and if they drink anything poisonous, it won't hurt them; and they will be able to place their hands on the sick and heal them."

19 When the Lord Jesus had finished talking with them, He was taken up into heaven and sat down at God's right hand.

20 And the disciples went everywhere preaching, and the Lord was with them and confirmed what they said by the miracles that followed their messages.

[1]Verses 9 through 20 are not found in the most ancient manuscripts, but may be considered an appendix giving additional facts.
[2]Literally, "after these things."
[3]Literally, "tongues." Some ancient manuscripts omit "new."

Revised Standard

early on the first day of the week they went to the tomb when the sun had risen. [3]And they were saying to one another, "Who will roll away the stone for us from the door of the tomb?" [4]And looking up, they saw that the stone was rolled back; for it was very large. [5]And entering the tomb, they saw a young man sitting on the right side, dressed in a white robe; and they were amazed. [6]And he said to them, "Do not be amazed; you seek Jesus of Nazareth, who was crucified. He has risen, he is not here; see the place where they laid him. [7]But go, tell his disciples and Peter that he is going before you to Galilee; there you will see him, as he told you." [8]And they went out and fled from the tomb; for trembling and astonishment had come upon them; and they said nothing to any one, for they were afraid.[k]



[k] Other texts and versions add as 16.9-20 the following passage:

9 Now when he rose early on the first day of the week, he appeared first to Mary Magdalene, from whom he had cast out seven demons. [10]She went and told those who had been with him, as they mourned and wept. [11]But when they heard that he was alive and had been seen by her, they would not believe it.

12 After this he appeared in another form to two of them, as they were walking into the country. [13]And they went back and told the rest, but they did not believe them.

14 Afterward he appeared to the eleven themselves as they sat at table; and he upbraided them for their unbelief and hardness of heart, because they had not believed those who saw him after he had risen. [15]And he said to them, "Go into all the world and preach the gospel to the whole creation. [16]He who believes and is baptized will be saved; but he who does not believe will be condemned. [17]And these signs will accompany those who believe: in my name they will cast out demons; they will speak in new tongues; [18]they will pick up serpents, and if they drink any deadly thing, it will not hurt them; they will lay their hands on the sick, and they will recover."

19 So then the Lord Jesus, after he had spoken to them, was taken up into heaven, and sat down at the right hand of God. [20]And they went forth and preached everywhere, while the Lord worked with them and confirmed the message by the signs that attended it. Amen.

Other ancient authorities add after verse 8 the following: *But they reported briefly to Peter and those with him all that they had been told. And after this, Jesus himself sent out by means of them, from east to west, the sacred and imperishable proclamation of eternal salvation.*

١٩٢

المطلب الخامس: بعض الأعمال العلمية التي زيفت هذه الفقرة:

الكثيرُ من الأعمال العلمية، مثل الموسوعات الحديثة التي بنيت على منهج نقدي، تثير الشكوك فيما يَتعلّق بدقةِ هذه الفقرة.

أولاً: الموسوعات: تناولت بعض الموسوعات العلمية نصّ هذه الوصية بالنقد، مشيرة إلى كونها مشكوكاً في أصالتها. وقد كتب هذه الموسوعات العلمية متخصصون في التاريخ والعقيدة المسيحية. ومن هذه الموسوعات:

١- موسوعة الدين و الأخلاقَ .(١)

٢- قاموس هربر للكتاب المقدس: في طبعته الثامنة . قرر أن النقاد يرْفضُون نسبة الصيغةِ التعميديةِ الثلاثيةِ إلى المسيح ويعتبرُونها متأخرة الظهور." (٢) .

ثانياً: الترجمات الحديثة لإنجيل متى: كما رأينا، فقد وجدت وصية متى الشاذة في جميع الطبعات القديمة والحديثة لنصّ العهد الجديد؛ حتى جاء عصر النقد الحديث واكتشاف الحقائق والوثائق التي كانت مفقودة أو "المخفية". أول طبعة وترجمة حديثة تشير إلى الشك في نص الوصية، و

(١)(موسوعة الدينِ والأخلاقِ؛ المقالة: معمودية).

(٢)قاموس هربر : المقالة "معمودية".

تقدم النص الأصلي لمتى، هي لأحد أكبر الباحثين في العهد الجديد، واللغة اليونانية: الدكتور إينوك باول Enoch pawell .

لقد أعاد الدكتور إينوك باول Enoch pawell ترجمة الإنجيل طبقاً لمتى من اللغة "اليونانية" إلى اللغة الإنجليزية، مع دراسة نقدية رائعة ووافية، بيَّن فيها القيمة العلمية لفحوى هذا الإنجيل، وتتبع بدقة عالية مواطن النقل منه وإليه. وأهم ما توصل إليه من نتائج، هو:

١- إن إنجيل متى هو أقدم الأناجيل المعروفة، وليس إنجيل مرقص، كما كان شائعاً.

٢- أن هناك متناً أصلياً لإنجيل متى مفقود، وأن الإنجيل الأصلي قد تعرض لتحريفات وتعديلات جذرية على متنه، خلال عملية إعادة صياغة إنجيل متى "الجديد" منه.[١]

٣- وعندما وصل المؤلف في تعليقاته إلى وصية متى الشركية؛ الفقرات ٢٨/ ١٧-٢٠ ، محور اهتمامنا في هذا البحث، قال المؤلف:

---

(١) انظر:

Enoch pawell: the evolution of the gospel, yale university press new haven and London, pp xx- xxi.

وانظر الترجمة العربية لهذا العمل: ترجمة أحمد ايبش، دار قتيبة ، دمشق- سوريا، ص ٦٤-٦٥.

" إن الكلمات الشاذة، والإشارة الفريدة للثالوث تؤكد الانطباع بأن العمود الأخير من الكتاب مثله مثل نهاية إنجيل مرقص مفقودة، وتم التعويض عنها بلا مبالاة بخطبة الوداع المنسوبة لعيسى." [١]

وهذه أول طبعة وترجمة للإنجيل طبقاً لمتى، ترى أن هذه الفقرة غير قانونية ومزيفة، ويجب أن تحذف من متن هذا الكتاب، وكل كتاب، وسوف تكون هذه البداية لنهاية هذه الفقرة الشركية من جميع الطبعات التالية للعهد الجديد، وتجتث شجرة الشرك الخبيثة، ويحذف كل دليل على الشرك في أي كتاب ينسب لله ولرسله، وليكون الدين كله لله، ولتكون خطوة هامة في الحوار بين أصحاب الديانات.

---

(١) هذه الترجمة للكاتب ، وانظر الطبعة الإنجليزية:

Enoch pawell: the evolution of the gospel, p 221.

وانظر ترجمته العربية: ايبش، تطور الإنجيل، ص ٣٩٦.

نتائج البحث

في هذا البحث تتبعت الفقرتين الوحيدتين في كل الكتب، التي تنسب لله تعالى ورسله، والتي تصرح بوجود ثلاثة آلهة، مخالفة لكل النصوص المتواترة عن الأنبياء في جميع الكتب المقدسة.

وبالبحث في أصالة هذين النصين، تبيَّن أنهما مزيفان، وقد حذف أحدهما إجماعاً من الطبعات الحديثة، وأما النص الثاني فوجوده في الوثائق القديمة مضطرب، وثارت شكوك النقاد حوله، كما أنه مناقض موضوعياً لنصوص الكتب الأخرى، ولم يعمل به أحد من الاثني عشر الذين استمعوا – زعماً- للوصية.

إن البحث في أصالة هاتين الفقرتين يقرر ويبين زيفهما، مما يُؤكّدُ: " أنه لا إله إلا الله ." وأنه تعالى هو وحده "في السماء إله وفي الأرض إله".

لقد ثارت شكوك النقاد حول النصين، وحذف أحدهما بالإجماع، وبقي الآخر وحيداً شاذاً عن جميع نصوص الأنبياء، بمن فيهم عيسى نفسه. وقد أشارت بعض الأعمال العلمية لزيفه، و هو ينتظر الحذف كصاحبه من جميع طبعات العهد الجديد. وهذا يحتاج إلى شجاعة وصدق، ولتخطو الإنسانية خطوة أخرى نحو الحوار والسلام.

فهرس المصادر والمراجع

١- المصادر العربية

القرآن الكريم.

١-الاختيار بين الإسلام والنصرانية، الشيخ أحمد ديدات، ترجمة أكرم ياسين الشريف، مكتبة العبيكان.الأولى ٢٠٠٨=١٤٢٩هـ.

٢-الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د. صابر طعيمة، ط. عالم الكتب، الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م.

٣-إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق د. خليل ملكاوي، دار الوطن للنشر، دار أولي النهى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية.

٤-التحريف في التوراة، د. محمد علي الخولي، الطبعة الأولى، بدون بيانات.

٥-التوراة، تاريخها وغاياتها، سهيل ديب، دار النفائس، بيروت – لبنان.

٦-خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، الشيخ أحمد ديدات، ترجمة رمضان الصفناوي، دار المختار الإسلامي، القاهرة، مصر.

٧-دراسات عن اليهودية، د. محمد إبراهيم الجيوشي، بدون بيانات.

٨-شرح الأصفهانية، ابن تيمية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٩-القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي دار المعارف، مصر.

١٠- الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، بدون بيانات.

١١- الله : كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، عباس محمود العقاد، ط. دار المعارف، مصر، الثالثة، بدون تاريخ.

١٢- المسيحية، نشأتها وتطورها، شارل جينبير، ترجمة د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر.

١٣- هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟ ش أحمد ديدات، ترجمة الشيخ إبراهيم خليل أحمد، و د. نجاح محمود سليمان، دار المنار، مصر.

١٤- النصرانية، د. أحمد شلبي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة العاشرة.

٢- المصادر الأجنبية

1) Bart D. Ehrman , the New Testament: A Historical Introduction to the Early Christian Writings.

2) Bart D. Ehrman, A Brief Introduction to the New Testament, Oxford University Press, Oxford New York.

3) Bart D. Ehrman, the Orodox Corruption o f Scripture: the effect of Early hristological Controversies

on the Text of the New Testament, Oxford University Press,

Oxford New York

4) Bart D. Ehrman., Lost Christianities: the Battles for Scripture and the Fais We Never Knew, OXFORD UNIVERSITY PRESS 2003.

5) Bart D. Ehrman., Misquoting Jesus: the Story Behind Who Changed the Bible and Why . Oxford University Press, Oxford New York.

6) Bruce M. Metzger , the Text of the New Testament: Its Transmission, Corruption, and Restoration (4 Edition) by Bruce M. Metzger and Bart D. Ehrman

7) C. Trent, Tan, Canons and Decrees of the Council of Trent, January 2009.

8) the AMPLIFIED NEW TESTAMENT

9) the LIVING NEW TESTAMENT

10) E. W. Bullinger , Word Studies on the Holy Spirit, Kregel Academic, & Professional (June 30, 1979).

11) Enoch pawell:, the Evolution of the gospel, yale

university press new haven and London.

12) FRED. C. CONYBEARE, THE HIBBERT JOURNAL, OXFORD, Vol. I. No. 1 OCTOBER 1902.

13) James Hasting, Dictionary of the Bible 1963.

14) John A. Machugh., Catechism of the council of trent, Saint Benedict press classics.

15) Langenscheid,s Standard Dictionary, Greek.

16) NEW TESTAMENT , KING JAMES VERSION

17) NEW AMERICAN BIBLE.

18) Oxford Dictionary of the Christian Church (Oxford University Press 2005, article Trent, Council of Trent,

19) Oxford Latin dictionary, oxford press.

20) Oxford paperback Greek dictionary, by Niki Watts, oxford press.

21) P. L. Danover, Paul L. Danove , the End of Mark's Story: A Meodological Study, Brill Academic, illustrated edition (August 1993).

22) REVISED STANDARD VERSION

23) THE LAYMAN'S PARALLEL NEW TESTAMENT

24) Walter Bauer, Ohrtodoxy and Heresy in Earliest Christianity , Robert A. Kraft, and Gerhard Krodel.

هَل العَالَمُ كُلُّه مخلوقٌ ومرزوقٌ

من بركة النبيّ ﷺ أو من أسباب أُخرى

؟

للشيخ محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشنقيطي /

(ت ١٣٩٣هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور / عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان

أستاذ مساعد في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين ؛ نبيّنا محمَّد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فإنَّ الله لأ بعث رسوله محمّدًا خ ليكون للعالمين نـذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا . بعثه الله لأ بين يدي الساعة ؛ حين استشرى الشرك ، واتخذ الناس من دون الله آلهة يستغيثون بهم عند الشدائد ، ويستعينون بهم في تذليل العقبات والمصاعب .

فدعاهم خ إلى التوحيد الخالص ، المتمثّل في إفراد الله لأ بالعبادة ، ونبذ ما كانوا فيه من الشرك والوثنيَّة .

وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على حماية جناب التوحيد من كلّ شائبة.

ومن مظاهر حرصه على ذلك: نهي أمته عن الغلوّ فيه بأيّ نوع من أنواع الغلوّ. يقول خ : « **لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** »[1] . فهو عبد الله ورسول الله صلى الله عليه وسلّم .

(١) صحيح البخاري ، أحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٤٥ .

ومن لوازم محبّتنا الصادقة له خ : ألا نعتقد خلاف ما أخبرنـا ، وأن نؤمن بما جاء به خ من العقائد ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء بـه خ من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

ولـمَّا كان قد وقع بيدي رسالة أجاب فيها فضـيلة الشـيخ العلامـة محمد الأمين الشنقيطي : عن سؤال وُجِّه إليه، يسأل فيـه السـائل عـن العالَم: هل هو مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ خ، ورأيتُ في مثل هـذا الاعتقاد ما يُخالف نهيه خ عن الإطراء، وعن المغالاة فيه ومجاوزة حـدّه خ؛ من كونه بشرًا من ذرية آدم إ ، قمتُ بتحقيق هذه الرسالة رغبـة في إظهار الحقّ، وثقةً في علمِ صاحب الجـواب؛ فضـيلة الشـيخ العلامـة محمّد الأمين الشنقيطي رحمه الله-الذي صرف وقته ، وبـذل جهـده في خدمة هذا الدين، والنصح لأمة سيّد الأنبياء والمرسـلين ، وتوجيههـا إلى ما فيه الخير لها في العاجلة والآجلة - .

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة ، وقدّمت بين يدي التحقيق دراسة ، عرّفت فيهـا بالموضـوع الـذي تناولـه الشـيخ -رحمـه الله- في هـذه الرسالة ، وأتبعتها بترجمة موجزة لصاحب هذه الرسالة ، ثـمّ وصـف النسخة الخطية التي رجعت إليها .

القِسْمُ الأوَّل

الدِّرَاسَة

موضوع الرسالة :

موضوع هذه الرسالة التي كتبها العلامة الشنقيطي –رحمه الله– : في الردّ على دعوى الرافضة ، والصوفية في النبيّ –صلى الله عليه وسلّم– أنَّه خُلق من نور قبل خلق المخلوقات ، وأنَّ المخلوقات خُلقت من أجله ، وببركته –عليه الصلاة والسلام– .

دراسة هذا الموضوع –التبرُّك– :

لا شكّ أنَّ الخيرَ كلَّه بيد الله تبارك وتعالى ، لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه ؛ فهو على كلّ شيء قدير .

وأنواع الخير كلّها منه – ـ ومنها النّعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى ـ– ، والخلق جميعًا مفتقرون إليه لأ، وإلى ما في يديه جل وعلا .

وإذا كانت الخيراتُ والنّعم في الدنيا والآخرة منه لأ، ومن فضله على عباده ، فإنَّ دوام هذه الخيرات والنّعم منه أيضًا، وكذا كثرتها وزيادتها ، كلُّ ذلك منه لأ .

وكثرة الخيرات، وزيادة النّعم هو البركة ؛ فأصل البركة: الزيادة والنماء[1] . وهذه تُضاف إلى الله وحده ، وتُطلب من الله وحده .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٣١ .

وهذا مِمَّا علَّمه رسولنا خ لأمّته ؛ إذ حمى جناب التوحيد ، وأسند البركة إلى مولاه لأ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: «قد رأيتُني مع النبي خ وقد حَضرَتِ العصرُ وليس معَنا ماءٌ غير فَضلة. فجعلَ في إناء. فأُتي النبيّ خ به فأدخل يَدَهُ فيه وفرَّجَ أصابعهُ ، ثم قال: "حيَّ على أهل الوضوءِ ، البركة من الله" . فلقد رأيتُ الماءَ يتفجر من بين أصابعه. فتوضأ الناسُ وشربوا. فجعلتُ لا آلو ما جعلتُ في بطني منه فعَلِمتُ أنه بركة. قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفٌ وأربعمائة»(١) .

وهذه البركة يضعها مولانا لأ فيمن شاء من خلقه ، وفيما شاء من بريّته .

وقد أخبر سبحانه وتعالى أنَّه أعطى بركةً لأصناف من خلقه ، منهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. يقول لأ في إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿ وَبَـٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَـٰقَ ۚ ﴾ [الصافات: ١١٣]، ويقول في إبراهيم إ وأهل بيته : ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود : ٧٣] ، وقال في نوح إ: ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ ﴾ [هود : ٤٨] ، وقال في

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك ، ح ٥٦٣٩ .

عيســى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [مريم : ٣٠-٣١] .

وهذه بركة خاصَّة لازمة لذاتٍ بعينهـا ، وتكـون متعديـة ، يحصـل التبرُّك بأعيانها -في ذاتها وآثارها الحسيَّة المنفصلة منها - ، لما فيهـا مـن البركة اللازمة الدائمة بالذات . وأثر هـذه البركـة هـو : ((مـا اتّصـل بتلك الذات مباركًا . وهذا النوع للأنبياء والمرسلين ، لا يشركهم فيـه غيرُهم ، حتى أكابر أصحاب النبيّ محمَّد خ ؛ كأبي بكر وعمر وعـثمان وعليّ لا يشركونهم في هذه البركة)) [(١)] .

ولقد تبرَّك أصحاب رسول الله خ بذاته ، وبآثاره الحسـيَّة المنفصـلة منه في حياته خ، وأقرَّهم على ذلك، ولم يُنكر عليهم . وتبرّكوا بها بعـد وفاته، ممَّا يرشد إلى مشروعيَّة هـذا التـبرُّك ؛ فقـد تبرَّكـت أم المـؤمنين عائشةلبيده الشريفة ، فكانت تقرأ عليه بالمعوّذات حين اشتدّ وجعـه، وتمسح عليه بيد نفسه خ رجاء بركتها -كما قالت[(٢)]- .

---

(١) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقى بالقرآن والمعوذات ، وباب النفث في الرقية ، وباب المرأة ترقي الرجل ، ح ٥٠١٦ .

وكان الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– يمسحون بيدي رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– ، ويضعونها على وجوههم رجاء بركتها[١]

.

وكانوا –رضي الله عنهم– يتبرَّكون بشعر رسول الله خ، وقد أقرَّهم على ذلك ، بل إنَّه وزّعه عليهم[٢] .

وكانوا يتبرَّكون بعرقه خ [٣]، وبريقه[٤]، وبنخامته؛ فيدلكون بها وجوههم وجلودهم[٥] .

وكتب السنة مليئة بتبرُّك أولئك الأخيار برسولهم –صلى الله عليه وسلم– ، في حياته ، وبعد وفاته[٦] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي خ ، ح ٣٥٥٣ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبيّ خ من الناس وتبركهم به ، ح ٦١٨٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ح ٣٢١٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبيّ خ والتبرك به ، ح ٦٢٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وتحنيكه ، ح ٥٤٦٧، ٥٤٦٩ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، ح ٥٧٤٠-٥٧٤١ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب ، ح ٣٧٣١ .

(٦) انظر : التبرُّك : أحكامه وأنواعه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣-٢٦٠ .

((وهذا النوع من تعدّي البركة قد انقطع بعد موت النبيّ ﷺ ، إلا ما كان من أجزاء ذاته باقيًا بيقين بعد موته عند أحد . وقد ذهب ذلك المتيقَّن مع انقراض قرن الصحابة ن))[1] .

فتبيَّن بهذا أنَّ رسولنا خ مباركٌ في ذاته وآثاره ؛ في حياته ، وبعد مماته إذا ثبت يقينًا بقاء شيء من أجزاء ذاته ﷺ بعد موته عند أحد .

لكنّ السؤال الذي وُجِّه إلى فضيلة الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي /: هل العالم كلّه مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ ﷺ ؟ :

يحتمل أمرين :

إمَّا أنَّ السائل يسأل : هل سببُ وجود العالم هو رسول الله ﷺ ؟ أو : هل أصل المخلوقات وإيجادها من نور الرسول ﷺ ؟

والثاني هو الأقرب؛ لأنَّ ما ختم به فضيلة العلامة الشنقيطي جوابه يُفهم منه ذلك ؛ حيث يقول : ((وعلى كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون ، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل ، وأمية ابن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، وكذلك سائر المشركين

---

(١) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفى)) [١] .

والسؤال –باحتماليه : هل العالم خُلق لأجله ﷺ أم من نوره – لم أجد من تطرَّق له قبل الشيخ الشنقيطي : –فيما أعلم، ومن خلال قراءتي واطلاعي–!.

وما أجاب به فضيلة العلامة الشيخ الشنقيطي رحمه الله فيه التأكيد على أنَّ الحكمة إلهيَّة ربَّانيَّة ، لا نبويَّة . فالله جلّ وعلا كما قال الشيخ الشنقيطي: ((غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً على كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم أخرى عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقاً منهم ؛ وهم أهل الجنَّة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار .... –إلى أن قال :– وبذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالى لخلقه : إقامة البُرهان لهم بذلك على عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا)) .

فحكمة خلق الخلق ورَزقهم إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

---

(١) انظر خاتمة هذا البحث ص ٣٨ .

أمَّا بركة النبيّ ﷺ : فسواء أراد بها السائل خلق العالم من نوره ، أو لأجله خ: فهذه المسألة مِمَّا يدندن حولها الرافضة والصوفيَّة ، مؤكدين قدم ذات رسول الله ﷺ وتقدّم خلقه .

فالصوفيَّة يقولون إنَّ رسولنا خ مخلوقٌ من نور، ولا يكتفون بهذا، بل يزعمون أنَّ العالمَ جميعه خُلق من نوره ﷺ ؛

يقول عبدالكريم الجيلي : ((لما خلق الله سبحانه وتعالى العالمَ جميعَه من نور محمد خ، كان المحلّ المخلوق منه إسرافيل قلبَ محمّد ﷺ)) [1] .

وهذا يدلّ على اعتقاده أنَّ رسول الله ﷺ أصلٌ لجميع ما في هذا العالم من مخلوقات .

ويقول أحمد الرفاعي في ورده الخاصّ بالصلاة على النبيّ ﷺ : ((اللهم صل وسلّم على نورك الأسبق وصراطك المحقق ؛ من أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك...فهو سرّك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات ...)) [2] .

(١) الإنسان الكامل للجيلي ٢/ ٣٠ .
(٢) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ١٦٤ .

وقال أحمد الدرديري : ((اللهم صلّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانيَّة ، ولمعة القبضة الرحمانيَّة ..)) (١) .

وبنحوه قال عبدالعزيز الدباغ عنه ﷺ أنَّه : ((أول ما خلق الله تعالى ، وسقى المخلوقات والأنبياء والأولياء والمؤمنين من نوره عليه الصلاة والسلام كلّ على قدر طاقته))(٢) .

ويقول أحمد يار خان : ((إنّ رسول الله نورٌ من نور الله ، وكلّ الخلائق من نوره ..)) (٣) .

ويقول أبو المواهب الشاذليّ عن أسبقيّة وجوده ، وأنها سبب في وجود الموجودات : ((إذ لولا أسبقيَّة وجوده ما وجد موجود ، ولولا نوره في ضمائر الكون إلى أن برز لتهدمت دعائم الوجود؛ فهو الذي وجد أولاً وتبعه الوجود وصار مرتبطًا به)) (٤) .

وهذا مثل قول البوصيري :

---

(١) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ٢١ .
(٢) الإبريز لعبدالعزيز الدباغ ص ٢٥٣ .
(٣) مواعظ نعيمية لأحمد يار خان ص ١٤ .
(٤) حجة الله على العالمين للنبهاني ص ٤٨ .

فـإنّ مـن جـودك الـدنيا وضرّتهـا ومـن علومـك علـم اللـوح والقلم[١]

ومثل قول ابن نباته المصري :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل[٢]

إلى آخر ما أوردوه في كتبهم من أقوال تنضـح بمعتقـدهم في خلـق رسول الله خ من نور ، وأنَّه أول المخلوقات ، وأنَّ الكون خُلـق بعـده وبسببه ، وأنه لا يستغني عنه بحال من الأحوال .

وغاية ما يستندون إليه في هذه المزاعم مجموعة نصـوص لا تسـتقر في ميزان النقد العلميّ ، منها :

أولاً- أدلتهم على أنّ العالم وجـد لأجـل رسـول الله -صـلى الله عليه وسلّم- ، وهو سبب في ذلك :

١ - حديث أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبدالله بـن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عـن عبـدالرحمن بـن زيـد عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لمـا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لما غفـرت لي ؟ قـال :

(١) البردة للبوصيري ص ٣٥ .
(٢) نقلا عن التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ٧٧ .

وكيف عرفت محمدًا ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك[١] .

وهذا الحديث فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، روى عن أبيه أحاديث موضوعة، كما قال ذلك –الحاكم نفسه الذي خرَّج هذا الحديث– ؛ إذ قال في كتابه "المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم" : ((عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أنَّ الحمل فيها عليه))[٢].

وقد نَسَفَ شيخُ الإسلام ابن تيمية : هذا الحديث –سندًا ومتنًا– في كلام طويل ، وبيَّن أنه من جنس الإسرائيليات ، وقال : ((ومثل هذا لا يجوز أن تُبنى عليه الشريعة، ولا أن يُحتج به في الدين باتفاق المسلمين ..))[٣] .

(١) المستدرك للحاكم ٢/ ٦١٥ .
(٢) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٥ .
(٣) المصدر نفسه .

وقال عنه الإمامان الحافظان : الذهبي ، وابن حجر : إنّه حديث باطل موضوع[١] .

٢- حديث : **"لولاك لما خلقت الأفلاك"** .

هذا حديث موضوعٌ ، حكم عليه بالوضع : السيوطي في اللآلئ المصنوعة[٢]، والصغاني في الموضوعات[٣] ، والعجلوني في كشف الخفاء[٤]، والشوكاني في الفوائد المجموعة[٥]، وغيرهم. وقال عنه الألباني: ((إنه حديث موضوع))[٦].

ثانيًا- أدلتهم على تقدُّم خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على سائر المخلوقات :

٣- حديث : **((كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين))، و((كنت نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين))** .

---

(١)انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٠٤ ، ولسان الميزان لابن حجر ٣/ ٣٥٩-٣٦٠ .
(٢) ١/ ٢٧٢ .
(٣) ص ٥٢ .
(٤) ٢/ ٢٣٢ .
(٥) ص ٣٢٦ .
(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٢٨٢ .

وهو حديث موضوع أيضًا [١] .

قال السخاوي : ((لم نقف عليه بهذا اللفظ)) [٢] .

وقال السيوطي : ((لا أصل له بهذا اللفظ)) [٣] .

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((لا أصل له لا من نقل ولا من عقل؛ فإنّ أحدًا من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل ؛ فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.... ثمّ هؤلاء الضلال يتوهمون أنّ النبيّ خ كان موجودًا وأن ذاته خلقت قبل الذوات...)) [٤] .

وقول شيخ الإسلام : ((.. وإنّما كان بين الروح والجسد ..)) : فيه إشارة إلى حديث أبي هريرة ، وحديث ميسرة الفَجْر –رضي الله عنهما– ، وفيه أنّ كلَّ واحدٍ منهما سأل رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– : متى كنتَ نبيّاً ؟ أو متى وجَبَتْ لك النبوّة ؟ فقال –صلى

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٣١٦ .
(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٢٧
(٣) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ص ١٤٧-١٤٨ .
(٤) الردّ على البكري لابن تيمية ص ٩ .

الله عليه وسلم- : « وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ »[١] .

وليس في هذا الحديث ما يشهد لهؤلاء، وغاية ما فيه الإشارة إلى مرتبتي القدر : العلم السابق ، والكتابة السابقة .

٤- حديث: "كنت أول النبيِّين في الخلق، وآخرهم في البعث" [٢].

وهو حديث موضوع ؛ ذكره ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة[٣] . وقال محقق الفوائد لتمام الرازي : ((إسناده ضعيف ، فيه علتان : ضعف سعيد بن بشير ، والانقطاع بين الحسن وأبي هريرة))[٤] .

وقد خالف متنُ هذا الحديث القرآنَ الكريم في غير آية ، ((بل خالف الكتب السماوية التي تقول كلها بأن أول البشر آدم عليه السلام ، وخالف السنة الصحيحة ... ويُخالف المحسوس المشاهد ؛ فالنبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، ح ٣٩٦٨ ، وقال : "هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَـنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ" . وحديث ميسرة الفجر أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ح ٢١١٣٨ .

(٢) أخرجه تمام الرازي في فوائده رقم (١٠٠٠) ، وأبو نعيم في الدلائل رقم (٣) ، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٩١٩ ، ١٢٠٩ .

(٣) ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٤) فوائد تمام الرازي ، رقم (١٠٠٠) .

قد ولد من امرأة ، وتربى صغيرًا ثم كبر ، ولم يُنقل إلينا أنَّ رجلاً ولد قبل آدم ، وبقي محفوظًا في السماء ، حتى إذا حان موعد ولادته تشكل نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثمّ قرّ في رحم أمه تسعة أشهر ...)) [1] .

ثالثًا- أدلتهم على أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مخلوقٌ من نور :

اختلق الرافضة الأحاديث التي تدلل على أن آل بيت النبيّ ، ومعهم النبيّ ﷺ قد خلقوا من نور الله لأ .

فمن ذلك : ما أخرجه ابن المغازلي _الرافضي_ في مناقب علي ، وأخطب خوارزم -الرافضي- في المناقب ، وغيرهما ، عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : ((**كنت أنا وعليّ نورًا بين يدي الله مطبقًا يسبح الله ذلك النورُ ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . فلما خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه ، فلم يزل في**

(١) النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٦ .

شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ؛ فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب)) [١] .

وهذا حديث من وضع الرافضة.

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق[٢]، من رواية الحسن بن علي ابن صالح؛ أبي سعيد العدوي البصري ، الملقب بـ"الذئب" (ت ٣١٩هـ) ؛ قال عنه الدارقطني : "متروك"، وقال ابن عدي : "يضع الحديث"[٣] . وحكم على هذا الحديث بالوضع : ابن الجوزي[٤] ، والسيوطي[٥] ، والشوكاني[٦] ، وقال عنه محمود شكري الألوسي: ((وهذا الحديث موضوع قطعًا بإجماع أهل السنة)) [٧] .

وكذا ما أخرجه أخطب خوارزم –الرافضي– في المناقب ، من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : ((**خاطبني بلغة علي بن أبي طالب**

---

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٨٨ ، والمناقب لأخطب خوارزم ص ٨٨ ، والأمالي لشيخ الطائفة الطوسي ١/ ١٨٦ .
(٢) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٦٢ .
(٣) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٥٨ ، ولسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٢٩ .
(٤) انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٤٠ .
(٥) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٣٢٠ .
(٦) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني ص ١٠٧٨ .
(٧) مختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي ص ١٦٨ .

، فألهمني أن قلت: يا رب ! خاطبتني أنت أم علي ؟ فقال : يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ، لا أقاس بالناس ، ولا أوصف بالأشياء . خلقتك من نوري ، وخلقت عليًّا من نورك ، واطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحبّ إليك من علي بن أبي طالب ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك))[(١)] .

وهذا أيضًا من وضع الرافضة ، ومداره على أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي، توفي سنة ١٧٠هـ ، ورواه عن ابن عمر ، ولم يدركه[(٢)]

.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : عن أخطب خوارزم الذي خرّج هذه الأحاديث : ((إن أخطب خوارزم هذا له مصنف في هذا الباب، فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلا عن علماء الحديث ، وليس هو من علماء الحديث ، ولا ممن يُرجع إليه في هذا الشأن البتة . وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات))[(٣)] .

---

(١) المناقب لأخطب خوارزم ص ٣٧ .
(٢) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤١٩ ، ورجال النجاشي-الشيعي- رقم ٩٧٧٢ .
(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ١٠ .

أمَّا حديث النور الذي نسب –زورًا وبهتانًا– إلى جابر بن عبـدالله ، وذكر العجلوني[١] أنّ عبدالرزاق الصنعاني قد خرّجه ، وفيه : ((**إنّ الله خلق قبل الأشـياء نـور نبيّـك مـن نـوره** ..)) ، وهـو حـديث باطـل موضوع ، نُسب إلى عبدالرزاق ، وليس في مصنّفه ، ولا في كتاب مـن كتب الحديث ، بله كتب الضعفاء والمتروكين. فإذا لم يكن الحـديث في هذه الكتب ، فأين يكون ؟!

ونسبة الحديث إلى كتاب من كتب عبدالرزاق لا يعني صحته ؛ بـل قد روي عنه –كما قال الحافظ ابن عدي– ((أحاديـث في الفضـائل لا يُوافق عليها))[٢] . فإذا لم يُوافَـق عـلى أحاديـث رواهـا في الفضـائل، فكيف يُوافق على ما خالف العقيـدة؛ حيـث جعـل الحـديثُ –الـذي نسبوه إليه– النبيَّ خ مصدر المخلوقـات جميعًـا ؟!. لـذلك نقـول في حـديث جـابر المنسـوب إلى عبـدالرزاق مـا قالـه الشـيخ الألبـاني : : ((..ولـيس لـذلك أسـاس مـن الصـحة، وحـديث عبـدالرزاق غـير معروف إسناده))[٣] .

وهذا من قول الصوفيَّة، وغلوّهم في رسول الله خ ، وزعمهم أنَّـه خلق من نور . وهذا قد دخل عليهم من قبل الرافضة .

---

(١) في كشف الخفاء ١/ ٣١١ .
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ١٩٤٨ .
(٣) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٣٣ .

وأغلب معتقدات الرافضة متأثرة بالمجوسيّة ، واليهوديّة المحرّفة .

يقول الدكتور عداب الحمش : ((إنّ ممَّا لا أتحرّج من اعتقاده أن كثيرًا من معتقدات الشيعة قد تأثرت بالتراث الفارسي الثنوي ؛ فالنور عندهم رمز للخير ...)) [1] .

المعتقد الصحيح في نبيِّنا –صلى الله عليه وسلم– :

وينبغي أن نعلم أخيرًا أنّ من لوازم محبتنا لرسولنا خ أن نؤمن بما جاء به من العقائد ، وأن لا نعتقد عقائد تُخالف ما جاء به ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء به من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

وحقيقة نبيّنا ﷺ أنَّه بشرٌ أكرمه الله بالنبوَّة وخصَّه بالرسالة ، وأوجب علينا توقيره ومحبّته ، ونصرة دينه واتّباع سنته ؛ فهو بشرٌ من ذريَّة آدم ، وليس من نور الله ولا خُلق من نور ، بل هو رسولٌ أمين ، وهو هاد إلى صراط الله المستقيم : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ

(١)النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٨ .

إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ترجمة موجزة للمؤلِّف:

اسمه ونسبه : هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر ابن محمد ابن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد بن المختار . من أولاد الطالب أوبك . وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر ؛ جدّ القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيِّين ، ويُعرفون بتجكانت . ويرجع نسب القبيلة إلى حِمْيَر[1] .

مولده : ولد رحمه الله عام (١٣٢٥هـ) ، وكان مسقط رأسه عند ماء يُسمّى (تَنْبَه) ؛ من أعمال مديرية (كيفا) ، من القطر المسمّى بـ"شنقيط" ؛ وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن . علماً بأنّ كلمة "شنقيط" كانت ولا تزال تُطلق على قرية من أعمال مديرية (أطار)، في أقصى موريتانيا في الشمال الغربي[2] .

---

(١) انظر ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في أضواء البيان ١/ ١٩ .
(٢) انظر المصدر نفسه ١/ ١٨ .

صفاته الخلقية : كان ـ رحمه الله ـ أسمر اللون ، ربعاً ، معتدلاً ، قوي البنية والعضلات ، عظيم الهامة ، معتدلاً في الضخامة ، ليس بالضخم ولا بالرقيق، إلا أنَّه في آخر حياته حين اشتدّ به المرض رقّ جسمه كثيراً[(١)].

وقال عنه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله : " لو مرّ في جمعٍ من النَّاس وأنت لا تعرفه ، لقلتَ هذا عالم كبير ؛ لما تلمح فيه من النبوغ والألمعية ، ولما عليه من جلالة العلم ، ووقار العلماء" [(٢)] .

وقال عنه ابنه د. محمد المختار : كان شجاعاً ، قوي البنية . وقد صرع رجلاً مشهوراً بالقوة .

صفاته الخُلُقيَّة : كان -رحمه الله- يتحلّى بفضائل كثيرة ؛ منها : غض الطرف عن زلة من أساء إليه ، وعدم الانتقام لنفسه ، وعدم الغضب ، مع الحلم ، والصفح ، ومقابلة الإساءة بالإحسان .

وقد كان ـ رحمه الله ـ يتعاهد الفقراء بالعطية ، ويقضي مصالح الضعفاء ، ويبذل جاهه وماله لمن طلبه ، مستغنياً بعفته وقناعته ، بل

(١) نقلاً عن الأستاذ محمد الأمين بن الحسين ؛ أحد تلاميذ الشيخ ، والمدرس بالمعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، وذلك في مقابلة أجريتها معه .
(٢) نقلاً عن كتاب : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام للسديس ص ٨٠ .

تراه يـترك حقـه الخـاصّ تعففـاً عنـه . ومـات ولم يُخلِّـف درهمـاً ولا ديناراً[١] .

ولم يكن ـ رحمه الله ـ يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، وكثـيراً مـا كـان يقـول لإخوانـه : "تكايسـوا" ؛ أي مـن الكياسـة والتحفظ من خطر الغيبة ، ويقول : "إذا كان الإنسان يعلم أنَّ كل ما يتكلَّم به يأتي في صحيفته ، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب"[٢] .

عقيدته : كان –رحمه الله– مِمَّن نـوَّر الله بصـيرتهم ، فـاعتنوا بـإبراز معتقد السلف، والنَّهل من الوحي؛ فقد كان سلفيّ الاعتقاد : يصـدر في أقواله وتقريراته عن الكتاب والسنَّة ، ويُحذِّر من الأهواء والبـدع ، ويقول بما قال بـه الصـحابة ﷺ والتـابعون والأئمـة المشـهورون مـن السلف الصالح ﷺ . وكـان –رحمـه الله– مـن الـذين أكـرمهم الله ﷻ بالانتصار لمذهب السلف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه ، والاعتناء بـه تدريساً وتأليفاً .

وفاته : توفي –رحمه الله– ضحى يوم الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ ، وكانت وفاته بمكة المكرمة مرجعه من الحجّ ، ودفن في مقبرة المعلاة

---

(١) انظر ترجمة الشيخ رحمه الله في كتابي : جهود الشيخ محمـد الأمـين الشـنقيطي في تقريـر عقيدة السلف ١/ ٣٥-٣٧ .

(٢) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٦٣ .

، وصلّى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمه الله–
.

صدى وفاته : حزن النَّاس عليه حزناً شديداً ، ورثاه عددٌ كبيرٌ من الشعراء بأبيات كثيرة ، أقتصر على مقتطفات من بعضها .

فمن ذلك : ما رثاه به تلميذه وابن عمّه الشيخ أحمد بن أحمد الجكني الشنقيطي في قصيدة طويلة منها(١) :

أبكي الأمينَ وليتني من علمه ما عشت فزت بنيل كلّ بيان

أبكي الأمينَ محمَّداً وإنّني أبكي الأمين لشرعة القرآن

من ذا يلومك إن بكيت مفوّهاً سمح الخليقة من بني الإنسان

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ محمد الأمين بن مختار الجكني ، ابن عمّ الشيخ –رحمه الله– في قصيدة طويلة جاء فيها :

هو الموت لا ينفكّ يفجع معشراً بكوكبه الدريّ بين الكواكب

---

(١) نقلاً عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ص ٦٤ .

فتـــى لم يـــر الـــراؤون شرواه بـــعده ولا أنجبـــت شرواه بـــيض الكواعب

عجيـــب غريـــب في البرايـــا وإنـــما غرائبـــه في العلـــم فـــوق الغرائب

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن آدّ الشنقيطي بقصيدة طويلة ، أذكر منها :

أعينيّ جـودا بالدمـوع السـواكب لمـن ضـوءه قـد فـاق ضـوء الكواكب له الفضل في التفسير إن رمت باحثاً وفي الفقه والتوحيـد من كل جانب

ففي النحـو أسـتاذ وفي الشـعر حجّـة وفي الجـود بحـر يُرتجـى للنوائب

حواه ثرى المعلا فيا حسـن مـا حـوى إمـام لـه في الـدين أولى المراتب

رحم الله الشيخ محمد الأمين رحمة واسعة .

وصف النسخة الخطية :

النسخة المعتمدة كتبها تلميذ الشيخ محمد الأمين : الشيخ محمد الأمين ابن الحسين –مدرس في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، ومن أبرز تلاميذ الشيخ الذين كتبوا عنه أضواء البيان– ، كتبها بخط مغربيّ قديم ، وهي تقع في إحدى عشرة صفحة ، معدّل الأسطر في كل صفحة خمس وعشرون ، وفي كلّ سطر خمس عشرة كلمة في المتوسط .

وقد كتبها الشيخ محمد الأمين بن الحسين في حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله . ولم يتبيَّن لي تاريخ النسخ .

وقد حصلت عليها من مكتبة ولد الشيخ محمد الأمين: الدكتور عبدالله حفظه الله، الذي زوّدني بهذه النسخة من مؤلفات الشيخ ، وبغيرها من المؤلّفات ، فوصل أياديه البيضاء السابقة –عند كتابتي لرسالة الماجستير عن جهود والده الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف– بأيادٍ بيضاء لا زالت تتوالى عليّ ، ويلزمني شكرها . فشكر الله له ما قدّم ، وأجزل له المثوبة .

نماذج من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة سؤال المكرم الأمير عثمان بن عبد الرحمن :
هل هذا العالم كله مخلوق ومرزوق من بركة النبي صلى الله عليه وسلم
أو له أسباب أخرى ؟ والجواب عن ذلك والله أعلم أن العظيم
~~والجليل~~ وهو أن الحكمة التي خلق من أجلها العالم ورزق
كلها الإلهية ربانية لا نبوية ، وقد أوضح الله جل وعلا أن ما خلقها
راجعة إليه جل وعلا لا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبين أن من حكمة
خلقه المخلوقات هو أن يقيم بذلك البرهان القاطع على صحة
معنى كلمة لا إله إلا الله في آيات كثيرة جدا كقوله تعالى في البقرة
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، ثم أقام البرهان
القاطع على ما تضمنته هذه الآية بقوله بعده : إن في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والأرض لآيات لقوم يعقلون . ومن أعظم الاستدلال بخلق
المخلوقات على معنى لا إله إلا الله ما يتضح من التأمل في ترتيب
أول سورة البقرة لأنه تعالى بدأها بحروف مقطعة هي : الم
ثم أتبع ذلك بالتنويه بشأن القرآن في قوله : ذلك الكتاب
لا ريب فيه ثم بين أن الناس بالنسبة إلى الإيمان بالقرآن والكفر به
ثلاث طوائف الطائفة الأولى هي التي آمنت به ظاهرا وباطنا
وهم المذكورون في قوله : هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية
والطائفة الثانية هي التي كفرت به ظاهرا وباطنا وهم المذكورون في
قوله : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
ختم الله على قلوبهم الآية . الطائفة الثالثة هي التي آمنت به ظاهرا

القِسْم الثَّاني

النصّ المحقَّق

صورة سؤال المكرم الأمير عثمان بن عبدالرحمن[(١)]

ق ١

هـي : ((هل العالـم كله مخلـوق ، ومرزوق من بركـة النبـيّ ﷺ ، أو ذلك له أسباب أخرى ؟)) .

والجـواب عـن ذلك مـن القـرآن الكـريم ؛ وهـــو : أنَّ الحِكَـمَ التي خُلِقَ من أجلها العالم ، ورُزِقَ كلُّها إلهيَّة ، ربَّانيّة ، لا نبويَّة .

وقد أوضح الله جلّ وعلا أنها كلَّها راجعـةٌ إليـه هـو تعـالى ، لا إلى سيِّدنا محمدٍ ﷺ ؛ فبيَّن أنّ من حِكَـم خلقـه للمخلوقـات هـو أن يُقيـم بذلك البرهان القاطع على صحَّة معنى كلمة " لا إله إلا الله " في آيات كثيرة جداً ؛ كـقوله تعالى في سـورة "البقـرة" : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾[(٢)] .

ثمّ أقام البرهان القـاطع[(٣)] عـلى ذلـك بقولـه بعـــده : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

---

(١) هو الأمير عثمان بن عبدالرحمن بن سـويد أحمـد ، مـن قبائـل إدوعـيش . وأرسـل بهـذا السؤال من موريتانيا قبل وفاة الشيخ بمدة . وهم مـن أهـل الشـوكة والسـلاح وطبقـة الأمراء في الغزو، وليسوا متخصصين في طلب العلم ، وإن كان الأمير طالب علم جيد. والرسالة بخط الشـيخ / محمد الأمين الحسين ؛ أملاها عليه الشـيخ الشـنقيطي رحمـه الله رحمة واسعة . (أخبرني بهذه المعلومة : الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين) .

(٢) الآية {١٦٣} ، من سورة البقرة .

(٣) على ألوهيَّة الله واستحقاقه للعبـادة . وقـد أفـاض الشـيخ رحمـه الله في تقريـر توحيـد الألوهيَّة بهذه البراهين الشرعيَّة العقليَّة ، فأورد في تفسيره نصوصـاً كثـيرة مـن القـرآن

بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

ومن أعظم الاستدلال بخلق المخلوقات على معنى "لا إله إلا الله " : ما يتضح من النظر في ترتيب أوَّل سورة البقرة ؛ لأنَّه تعالى بدأها بحروفٍ مقطّعةٍ هي : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ ، ثمّ أتبع ذلك بتعظيم شأن القرآن ، في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾، ثمَّ بيَّن أنَّ الناس بالنسبة إلى الإيمان بالقرآن ، والكفر به ثلاث طوائف :

ـ الطائفة الأولى : هي التي آمنت به ظاهراً وباطناً ، وهم المذكورون في قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية[2] .

ـ والطائفة الثانية : هي التي كفرت به ظاهراً وباطناً ، وهم المذكورون في قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ...﴾ الآية[3] .

الكريم تدلّ على وحدانيَّة الله ﷻ واستحقاقه للعبادة. ومن هذه النصوص ما هو في صفاته ﷻ الدالة على ألوهيَّته، ومنها ما هو في آياته الشرعيَّة والكونيَّة.(انظر أضواء البيان ٦/ ٢٦٥-٢٦٧ ،، ٣/ ١٠١) .

(١) الآية {١٦٤} ، من سورة البقرة .

(٢) الآيتان {٢-٣} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {٦-٧} ، من سورة البقرة .

ق ٢

ـالطائفة الثالثة : هي التي آمنت به ظاهراً / وكفرت بـه باطنـاً ، وهم المنافقون المذكورون في قولـه تعـالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** . . ﴾ الآية[1] .

وأطال تعالى الكلامَ في هذه الطائفة الأخيرة ؛ لأنّها شرُّ الطوائـف ، فضرب لها المثـل بالنَّـار في قولـه تعـالى : ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا** . .﴾ الآية[2] ، وبالمـاء في قولـه تعـالى : ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ... ﴾ الآية[3] .

ولا شـكّ أنّ كـلّ مسـلمٍ سـمع هـذا التقسـيم إلى هـذه الطوائـف الـثلاث يتمنَّـى أن يعلــم الطريــق التـي توصلــه إلى أن يكـون مـن الطائفة الطيِّبة . فبيَّن تعـالى أنّ الطريـق الوحيد لكونه منها هـو تحقيـق معنى هاتين الكلمتين -أعني كلمـة "لا إلـه إلا الله"، وكلمـة "محمـد رسول الله"-؛ فجـاء بكلمـة "لا إله إلا الله" أوّلاً موضحة إثباتها على حدة ، ونفيها على حدة . ثمّ بيَّن البرهان القاطع عـلى صـحتها ؛ وهـو خلقه تعالى للمخلوقات[4] .

---

(١) الآيات {٨-٩} ، من سورة البقرة .

(٢) الآية {١٧} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {١٩} ، من سورة البقرة .

(٤) قال الشيخ رحمه الله: (وقد أقام الله جلَّ وعلا البرهان القاطع على صحَّة معنـى لا إلـه إلا الله نفياً وإثباتاً بخلقه للسموات والأرض وما بيـنهما في قولـه تعـالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ**

ومن المعلوم أنّ كلمة "لا إله إلا الله" مركّبة من نفي وإثبات؛ لأنَّ "لا إلهَ": نفيٌ ، و "إلا الله" : إثبات .

ومعنى النفي منها:هو خلع جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات .

ومعنى الإثبات منها : هو إفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الشرعيّ خاصَّة ، مع الإخلاص له في ذلك على وجه الذلّ، والخضوع ، والمحبة[1] .

فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّ قوله جلّ وعلا-بعد ذكره الطوائف الثلاث- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2]، كما وصفنا لك ؛ فقوله جلّ وعلا : ﴿ٱعۡبُدُواْ

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾
الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة . انظر أضواء البيان ٧/ ٣٦٦ .

(١) انظر أضواء البيان للمؤلف رحمه الله ٣/ ٨ ، ٢٠٥ ، ٢٦٧ . ومعارج الصعود في تفسير سورة هود من إملاء المؤلِّف رحمه الله ص ١٢٦ ، ٢٠٤ . وانظر كلام الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله (مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول : العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(٢) الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة .

﴿رَبَّكُمُ﴾ : فيه معنى الإثبات، من "لا إله إلا الله" ، وهو أولُ أمرٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ : يتضمّن معنى النفي منها ، على أبلغ وجهٍ وأكمله وأتمّه ، وهو أوّلُ نهيٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[٢] : هو البرهان القاطع / على صحّة معنى "لا إله إلا الله" ، ولذا جاء به بين طرفيها، وهو نصّ صريحٌ في أنّ من حِكَم خَلْقِ الخلق ؛ من العقلاء وغيرهم ؛ إقامة البرهان بذلك على أنَّه تعالى هو المعبود وحده .

ق ٣

وهذا البرهان كثيرٌ في القرآن كثرة مستفيضة لا خفاء بها ؛ كقوله تعالى في "الروم" : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ . . ﴾[١] ، إلى قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٢] ، وقوله في "شورى" : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ﴾[٣]، وقوله في "الجاثية" : ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . . .﴾ إلى قوله : ﴿آيَاتٌ

---

(١) الآية {٢٠} ، من سورة الروم .
(٢) الآية {٢٢} ، من سورة الروم .
(٣) الآية {٢٩} ، من سورة الشورى .

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾[١]. وكقوله في "يونس": ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١﴾[٢]، وقوله في "يوسف": ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾[٣]، وقوله في "الأعراف": ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ ...﴾ الآية[٤]. وقوله في "فصِّلت": ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾[٥]، وقوله تعالى في "الذاريات": ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٦]، وقوله في "آل عمران": ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٧]، وقوله في "الغاشية": ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾[٨].

---

(١) الآيات {٣-٥}، من سورة الجاثية.
(٢) الآية {١٠١}، من سورة يونس.
(٣) الآية {١٠٥}، من سورة يوسف.
(٤) الآية {١٨٥}، من سورة الأعراف.
(٥) الآية {٥٣}، من سورة فصلت.
(٦) الآيتان {٢٠-٢١}، من سورة الذاريات.
(٧) الآية {١٩٠}، من سورة آل عمران.
(٨) الآيات {١٧-٢١}، من سورة الغاشية.

فتأمَّل قوله بعد هذه البراهين القاطعة في سورة "الغاشية" هذه: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ، تفهم نوع الحكمة في خلق المخلوقات .

وكقوله في "ق~": ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[1] ، فتأمَّل قوله تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ ، تفهم نوع الحكمة في / خلق الخلق .

ق ٤

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً ، ولأجل ذلك جرت العادة في القرآن بأنّ الله تعالى يجعل علامة استحقاق العبادة هو كون المعبود خالقاً[2] ؛ لأنّ خلقه للخلق برهانٌ على استحقاقه للعبادة ؛ كقوله : ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ الآية[3] الآية[3] ، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ بعد قوله : ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾[4] : واضحٌ في ذلك . وكقوله تعالى في "الرعد" : ﴿أَمْ

---

(١) الآيات {٦-٨} ، من سورة ق~ .

(٢) وهذا معنى أنَّ توحيد الربوبيَّة مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة ؛ فالذي خلق الخلق وحدَه هو المعبود وحدَه . وانظر كلام الشيخ رحمه الله عن هذا الدليل في مؤلفه أضواء البيان ٣/ ١٠١ ، ٢١١ ،، ٤/ ٣٠ ،، ٧/ ٣٧٢ .

(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .

(٤) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .

جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾ الآية[1] ؛ يعني : وخالق كلّ شيء هو المعبود وحده .

وكقوله تعالى في "فاطر" : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . ﴾ الآية[2] ؛ وهو صريحٌ في أنَّ من لا يخلق غيره لا يُعبَد ، وأنَّ من يخلُق غيرَه هو الذي يُعبد .

وبه تعلم أنَّ من حِكَم خَلْقِ الخَلْقِ: الدليلُ على استحقاق العبادة .

ونظير ذلك في قوله تعالى في "لقمان" : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ...﴾ الآية[3] .

وقوله في "الأحقاف" : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ . . ﴾ الآية[4] ، وقوله تعالى في "الأعراف" : ﴿ أَيُشْرِكُونَ

---

(١) الآية {١٦} ، من سورة الرعد .
(٢) الآية {٤٠} ، من سورة فاطر .
(٣) الآيتان {١٠-١١} ، من سورة لقمان .
(٤) الآية {٤} ، من سورة الأحقاف .

﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ (١)، وقوله تعالى في "الحجّ" : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ . .﴾ الآية(٢) ؛ يعني : أنَّ مَنْ لم يكن خالقاً لا يصحّ أن يكون معبوداً ، والمعبود لا بُدّ أن يكون خالقاً .

ولـمَّا بيَّن تعالى في سورة "النحل" تلك البراهين العظيمة على جلاله وعظمته ، وأنَّه المعبود وحده ، في قوله : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣) ، إلى قوله : ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾ (٤) ، أتبع ذلك بقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ (٥) .

ولـمَّا بيَّن في سورة "الفرقان" علامات من يستحق العبادة بقوله: ﴿ ٱلَّذِى / لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ٢﴾(٦) ، أتبع ذلك

ق ٥

(١) الآية {١٩١} ، من سورة الأعراف .
(٢) الآية {٧٣} ، من سورة الحج .
(٣) الآية {٣} ، من سورة النحل .
(٤) الآية {١٦} ، من سورة النحل .
(٥) الآية {١٧} ، من سورة النحل .
(٦) الآية {٢} ، من سورة الفرقان .

بصفات من لا يستحق أن يُعبـد بقوله : ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ [(١)] شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . . ﴾ الآية[(٢)] .

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً معروفة ، وفيها الأدلة القاطعة الواضحة على أنَّ حكمة خلق الخلائق إلهية ربّانية ، لا نبوية ، كما رأيت ، وكما سترى.

وأمَّا ما أشرنا إليه من بُرهان "محمد رسول الله" ، فهو برهان الإعجاز المذكور بعد برهان "لا إله إلا الله" في آية البقرة الماضية .

فبُرهان "لا إله إلا الله" في قوله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ الآية[(٣)]، وبُرهان "محمد رسول الله" في قوله تعالى بعده: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ...﴾ الآية[(٤)] ، وليس مقصودنا تقرير بُرهان الإعجاز ، بل الجواب على السؤال المذكور .

وقد بيَّن تعالى أنّ من حِكَم خلقه للمخلوقات : هو أن يُعلم خلقه بكمال قدرته ، وإحاطة علمه العظيم بكلّ شيء ؛ كما قال تعالى في آخر سورة "الطلاق" : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

---

(١) في الأصل : "يخلون" ، وهو سبق قلم .
(٢) الآية {٣} ، من سورة الفرقان .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .
(٤) الآية {٢٣} ، من سورة البقرة .

يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١) ؛ فاللام في قوله : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ ﴾ : متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ﴾ ؛ أي خلق ذلك الخلق كلَّه لتعلموا أنَّه على كلّ شيء قدير وأنَّه محيطٌ بكلّ شيء علماً(٢) .

وبه تُعلم أنّ حِكمة خلق الخلق إلهية ربانية ، لا نبوية .

ومن الحكم العظام في خلقه تعالى للخلق : أن يأمرهم وينهاهم على ألسنة رسله، ثمّ يختبرهم ؛ أي يبتليهم ، أيُّهم أحسن عملاً ، ثمّ يُجازيهم على ذلك .

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى في أول سورة "هود" : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ ، ثمّ بيَّن حكمة ذلك ، فقال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٣) ؛ فاللام في قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ .

---

(١) الآية {١٢} ، من سورة الطلاق .

(٢) قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسير خاتمة هذه الآية : (ولتعلموا أيها الناس أنَّ الله بكلّ شيء من خلقه محيط علماً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ..) . جامع البيان ١٢/ ١٤٦ . وقال ابن الجوزي –رحمه الله– : (أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء) . زاد المسير ٨/ ٣٠١ .

(٣) الآية {٧} ، من سورة هود .

ونظيره في المعنى قوله تعالى في أول "الكهف" : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ [١] أَيُّهُمْ / أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾[٢]، وقوله تعالى في أوَّل "الملك" : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣]، وقوله تعالى في آخر "الذاريات" : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾[٤] ؛

ق ٦

فقوله : ﴿لِيَعْبُدُونِ ﴾ : التحقيق في معناه أنَّ المراد : إلاّ لآمرهم بعبادتي ، وأنهاهم عن معصيتي ، فأُوفِّق من شئت منهم إلى عبادتي ؛ كما دلَّت على هذا المعنى الآيات المذكورة آنفاً في "الملك" ، و"هود" ، و"الكهف"[٥] .

والغرض الشرعي المراد من طاعة الله وعبادته ، والخضوع له وتعظيمه، يحصل بفعل السعداء دون الأشقياء ؛ كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله في "الأنعام" : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩ ﴾[٦]، وقوله تعالى في "فصِّلت" : ﴿ فَإِنِ

---

(١) في الأصل : "لنبولهم" ، وهو خطأ .
(٢) الآية {٧} ، من سورة الكهف .
(٣) الآية {٢} ، من سورة الملك .
(٤) الآيتان {٥٦-٥٧} ، من سورة الذاريات .
(٥) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧٣-٦٧٧ .
(٦) الآية {٨٩} ، من سورة الأنعام .

ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] .

واختار ابن جرير الطبري[2] : ؛ -ومعلومٌ أنه من كبار المفسِّرين ، وقال بعض العلماء[3] : هو كبير المفسِّرين-؛ أنَّ معنى الآية : ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ : أي ليُقرُّوا لي بالعبودية ، ويخضعوا ويُذعنوا لذلك ؛ فالمؤمنون يُذعنون طوعاً ، والكفَّار يُذعنون كرهاً[4] . وهو قول ابن عباس[5] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[6] .

---

(١) الآية {٣٨} ، من سورة فصلت .

(٢) هو الإمام المفسِّر ، صاحب التصانيف البديعة . جمع من العلوم ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره . مات سنة عشر وثلاثمائة ، وقد جاوز الخامسة والثمانين .
(انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٧ . ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٥٧ . وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٦) .

(٣) وقال ابن خزيمة رحمه الله : (ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير) .
(انظر : الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص ٩٢ . والعلوّ له ص ١٥٠- ١٥١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٥) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : (إلا ليُقرُّوا بالعبادة طوعاً وكرهاً) . انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٦) الآية {١٥} ، من سورة الرعد .

وما يزعمه كثيرٌ مـــن متأخِّـــري المفســـرين[١] مـن أنّ "الـلام" في ﴿لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ للصـيرورة : لا أصل له ، وهو مبنيّ على شيء مذكور في علم الكلام[٢] ،

لا يشـكّ عـالم بكتـاب الله منصـــفٌ في بطلانـه ، كـما أوضـحناه مـــراراً[٣] .

وقد رأيت في الآيات الماضية أنَّ مـن حِكـم خلـق الخلـق: أمـرهم بعبادة[٤] الله ، وابتلاءهم أيهم أحسن عملاً .

ومعلومٌ أنَّ الأمر والنهي لا تتمّ الحكمة فيهما إلا بجزاء المحســنين بالإحسان ، والمسيئين بالإساءة .

---

(١) انظـر : الفتوحـات الإلهيَّـة ٤/ ٢١١ . وتفسـير الجلالين بحاشية الفتوحـات الإلهيَّـة . والكشاف للزمخشري ٤/ ٢١ .

(٢) عرّف الإيجي علم الكلام بقوله : (علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائـد الدينيّـة ، بـإيراد الحجج ودفع الشبه) . المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٧ . وعلم الكلام منه المقبول ومنه المذموم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- : (والسـلف لم يـذمّوا جـنس الكلام ، فإنّ كلّ آدمي يتكلّم ، ولا ذمّوا الاستدلال والنظر والجدل الـذي أمـر الله بـه ورسوله، والاستدلال بما بيّنه الله ورسوله ، ولا ذمّوا كلاماً هو حق ، بل ذمّـوا الكـلام الباطل ؛ فالكلام الذي ذمّه السلف هـو الباطـل ، وهـو المخـالف للشرع والعقـل) . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٤٧ .

(٣) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧١ ، ٦٧٧ . ودفع إيهام الاضطراب للمؤلف رحمه الله –وهـو ملحق في تتمة كتاب أضواء البيان- ٩/ ١٥٨-١٦١ .

والمتكلِّمون ينفون حكمة الله ، ويُنكرون أن تكون أفعاله ﷻ واقعـة لسـبب أو لعلـة . انظر كتاب النبوات لشيخ الإسلام رحمه الله ١/ ٢٤٠-٢٤١ ، ٤٢٧-٤٣٣ .

(٤) في الأصل : "بعباد" .

ولذلك بيَّن تعالى في آيات كثيرة أنَّ من حِكَم خلقه تعالى للخلائق : جزاء المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء منهم بإساءته ؛ كقوله تعالى في "النجم" : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾** ﴾ (١) .

فقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾ ، أي: هو خالقها ، وما فيها . ثمَّ بيَّن الحكمةَ، فقال : ﴿**لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ** . . ﴾ الآية.

ق ٧

ويزيد ذلك إيضاحاً / قوله تعالى في أول "يونس" : ﴿**إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾**﴾ (٢) .

والكفَّار الذين ظنُّوا أنَّ خلقَ السموات والأرض وما فيها لا لتكليفٍ وحسابٍ وجزاءٍ ، هدَّدهم بالويل من النار ، بسبب هذا الظنّ السيء المقتضي تجرُّد خلق الخلائق عن حكمة التكليف والحساب والجزاء ، وذلك في قوله في ص~ : ﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾**﴾ (٣) .

---

(١) الآية {٣١} ، من سورة النجم .
(٢) الآية {٤} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {٢٧} ، من سورة ص .

وقد نزَّه نفسَه تعالى عن أن يكون خَلَقَ الخَلْقَ لا لبعثٍ وجزاءٍ، وأنكر على من ظنَّ ذلك إنكاراً شديداً في آخر سورة "الفلاح"[١] ؛ قال منكراً ذلك بهمزة استفهام الإنكار : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[٢] .

ثمَّ نزَّه نفسه عن ذلك الحسبان المقتضي تجرّد خلقهم عن حكمة البعث والجزاء أكمل تنزيهٍ وأتمّه ، بقوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[٣] ؛ أي : تعالى الله الملك الحقّ ، وتقدَّس وتعاظم وتنزَّه عن أن يكون خلقهم عبثاً لا لحكمة بعثٍ وجزاء .

وقال تعالى منكراً ذلك أيضاً : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ الآية[٤] .

وهذا الذي نزَّه تعالى عنه نفسه ؛ من كونه خلقهم باطلاً ؛ لا لبعثٍ وجزاء ، نزَّهه عنه أيضاً أولوا الألباب ؛ أي : أصحاب العقول السليمة ، وذلك في قوله تعالى في "آل عمران" : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾

---

(١) وهي سورة "المؤمنون" . وسمّيت بسورة "الفلاح" ، لأنّ الله تعالى ابتدأها بقوله : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ .
(٢) الآية {١١٥} ، من سورة المؤمنون .
(٣) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .
(٤) الآية {٣٦} ، من سورة القيامة .

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[1] ؛ فقوله : ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ : أي تنزيهاً لك عن أن تكون خلقتَ هذا الخلقَ باطلاً ، لا لحكمة تكليفٍ وبعثٍ وحسابٍ وجزاءٍ ؛ فتنزيههم له عن ذلك بقولهم : ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ ، كتنزيهه لنفسه عن ذلك بقوله : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الآية[2] .

وأمَّا مسألة رزقه تعالى لخلقه : فقد بيَّن تعالى في آياتٍ كثيرة من كتابه أنَّ من حِكَم ذلك كونه بُرهاناً قاطعاً على أنَّه لا إله إلا هو وحده ، وأنَّه المعبود وحده .

ق ٨

فكونه هو الرَّازق لخلقه : من أعظم أدلّة التوحيد / الدالَّة على عظمته ـ جلّ وعلا ـ ، وجلاله ، وكمال قدرته .

ولذا يأتي بصفة الرزق دائماً في القرآن في إقامة البرهان[3] على توحيده تعالى؛ كقوله تعالى في "الروم" : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ

---

(١) الآيتان {١٩٠-١٩١} ، من سورة آل عمران .

(٢) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .

(٣) ومعناه أنَّ المتّصف بصفة الرزق ، هو المستحق أن يُعبَد وحده ، والعاجز عن الرزق لا يصلح أن يكون إلهاً . (انظر أضواء البيان ٣/ ٣٢٢-٣٢٧ ،، ٧/ ٦٦٦) .

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠﴾[١]، وقوله تعالى في "يونس":﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى في "سبأ":﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾[٣]، وقوله تعالى في "النمل" : ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ الآية[٤]، وقوله في "غافر" : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣ ﴾[٥]، وقوله تعالى في "الجاثية" : ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾[٦]، وقوله تعالى في "البقرة" : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾[٧]، وقوله في

(١) الآية {٤٠} ، من سورة الروم .
(٢) الآيتان {٣١-٣٢} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {٢٤} ، من سورة سبأ .
(٤) الآية {٦٤} ، من سورة النمل .
(٥) الآية {١٣} ، من سورة غافر .
(٦) الآية {٥} ، من سورة الجاثية .
(٧) الآية {٢٢} ، من سورة البقرة .

"غافر" : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ . .﴾ الآية[1] ، وقوله تعالى في "الأنعام": ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[2] ، وقوله تعالى في "العنكبوت" : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[3] .

ومن أصرح البراهين في ذلك: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ ، إلى قوله : ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[4] .

والآيات بمثل هذا كثيرةٌ جداً[5] .

وصفة الرزق في جميع الآيات المذكورة إنَّما هي من براهين التوحيد.

---

(١) الآية {٦٤} ، من سورة غافر .

(٢) الآية {١٤} ، من سورة الأنعام .

(٣) الآية {١٧} ، من سورة العنكبوت .

(٤) الآيات من {٢٤} ، إلى {٣٢} ، من سورة عبس .

(٥) مثل قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾ [النحل : ٧٣] ، وقوله تعالى : ﴿ أمَّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور ﴾ [تبارك : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يُطعمون إنَّ الله هو الرزَّاق ذو القوَّة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] . .

وبذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالى لخلقه : إقامة البُرهان لهم بذلك على عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا .

وبه تعلم أنّ حكمة رزق الخلق إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

ق ٩

وقد بيَّن تعالى امتنانه على سيِّدنا محمد صلى الله / عليه وسلَّم بأنَّه تعالى هو الذي رزقه كما رزق جميع الرسل، وجميع الخلق . قال تعالى مخاطباً له خ في سورة "الضحى" : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [1] ؛ أي: وجدك فقيراً ، فأغناك برزقه الحلال الطيِّب . وقال تعالى مخاطباً له أيضاً في "طه" : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [2] .

وقد بيَّن تعالى أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : إظهار شدّة حاجتهم وفقرهم وفاقتهم إلى رحمته جلّ وعلا ، وأنَّه لو أمسك عنهم الرزق أو أبعد عنهم الماء في داخل الأرض ، حتى لا يستطيعوا الوصول إليه ، أو جعله ملحاً أجاجاً لا يمكن أن يُشرب ، لهلكوا جميعاً ، ولم يقدر أحدٌ كائناً من كان أن يُطعمهم ، ولا أن يسقيهم .

قال تعالى في "الملك": ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾[3] . وقال فيها أيضاً : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

(١) الآية {٨} ، من سورة الضحى .
(٢) الآية {١٣٢} ، من سورة طه .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة الملك .

﴾[١] . وقال في "الواقعة" : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[٢] .

وقد بيَّن تعالى أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : عظمُ رحمته وفضله وكرمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾[٣] .

فقد رأيتَ في الآيات القرآنية بعض حِكَم خلق الله تعالى لخلقه ورزقه لهم .

ومعلومٌ أنَّ من أسمائه : " الخالق " ، ومن أسمائه : " الرزَّاق " ، ومعلومٌ أنَّ أسماءه أزليَّة لا أوَّل لها[٤] .

وبالجملة : فإيضاح هذا المبحث كلِّه : هو أنّ الله جلّ وعلا غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً على كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم

(١) الآية {٣٠} ، من سورة الملك .
(٢) الآيات {٦٨-٧٠} ، من سورة الواقعة .
(٣) الآية {٦} ، من سورة هود .
(٤) وانظر دفع إيهام الاضطراب في تتمَّة أضواء البيان ٩/ ١٥٨ ، ففيها مزيد بيان وتفصيل لهذه المسألة .

ق ١٠

أخرى عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم على ألسنة رسله علـيهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقــاً منهـــم ؛ وهـم أهـل الجنَّـة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار / .

وقـد أشار تعالى إلى أنَّ اختلافهم إلى شقيّ وسعيد مِـنَ الحِكَم التي خلقهـم لأجلهـا ، في سـورة "هـود" ، في قولـه تعـالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[1] .

والتحقيـق : أن الإشــارة في قولـه : ﴿ وَلِذَٰلِكَ ﴾[2] : راجعــةٌ إلى اختلافهم إلى شـقيّ وسـعيد ، المـذكور في ضـمن قولـه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ . ولــذا ذكــر بعده مصير فريـق الأشـقياء بقولـه : ﴿ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الآية[3] .

---

(١) الآيتان {١١٨-١١٩} ، من سورة هود .

(٢) وقال رحمه الله أيضاً عند تفسير هذه الآيـة ﴿ ولـذلك خلقهـم ﴾ [هـود : ١١٩] : (أي خلقهم لأن يختلفوا إلى مؤمن وكافر ، وبرّ وفاجر ، وشقيّ وسعيد ، ليصرف كلاًّ إلى مـا كُتِبَ له في الأزل ، ولتظهر فيهم آثار صفات الله تعالى وأسمائه ؛ من رحمة ورضا وثواب للمطيعين ، وقهر وجبروت وشدَّة عـذاب للعاصـين) . معـارج الصـعود ص ٢٠٣ . وانظر المصدر نفسه ص ٢٩٤-٢٩٥ . وانظر شفاء العليل لابن القيم ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) الآية {١١٩} ، من سورة هود .

والاختلاف المذكور في آية "هود" هـذه ، هو المذكور في "التغابن" ، في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[١] ، وفي "شـورى" ، في قولـه تعـالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾[٢] ، وفي "الأعراف" ، في قوله تعـالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[٣] .

والآيات بمثل ذلك كثيرةٌ جداً .

ومـن الحِكَم الباهرة في إسعادِ قومٍ ، وإشقاءِ آخـرين : أنّ كـلاً مـن الفريقين[٤] ينكشف فيه بعض أسرار أسمائه الحسنى ، وصفاته العـلا ؛ فالـذين وفَّقهم لفعل الخير يظهر فيهم بعضُ أسرار أسـمائه وصـفاته ؛ فالـذين يرحمهم ، يظهر فيهم سرّ رحمته التي اشتقّ لنفسه منهـا اسـمه "الرحيم" ، و "الرحمن" ، ورأفته التي منها اسمه "الرؤوف" ، وكرمه الذي منه اسمه "الكـريم" ، وحِكَمـه الـذي منـه اسـمه "الحكـيم" ، وهكـذا.

والـذين أشـقاهم يظهـر فـيهم أسرار بعـض أسـمائه وصـفاته ؛ كانتقامه الذي منه اسم "المنتقم" ، وكبريائـه وجبروتـه اللـذين مـنهما

(١) الآية {٢} ، من سورة التغابن .
(٢) الآية {٧} ، من سورة الشورى .
(٣) الآيتان {٢٩-٣٠} ، من سورة الأعراف .
(٤) في الأصل "الفرقين" . وهو سبق قلم .

اسما "الجبار" ، "المتكبر" ، وهكذا أيضاً ، لأنّ بـذلك يجتمـع الخـوف والمحبَّة[1] .

وعلى كلّ حال : فسيّدنا وسيِّد الخلائـق كلّهـا محمّـد ﷺ أعطـاه الله جلّ وعلا من التشريف والتعظـيم والتكـريم وعلـوّ الشـأن في العـالم العلويّ والسفليّ مِمَّا هو ثابت في كتاب الله والسنَّة الصحيحة ، مـا هـو في أشدّ الغنى عن ادّعاء تعظيمه بأمور لا أساس لهـا ، ولا مسـتند لهـا البتة ، ولم يقل ﷺ حرفاً منها .

فعلى المسلم أن يثبَّت ويتحفَّظ ، وألا يقـول عـلى نبيِّنـا ﷺ شـيئاً إلا بعد ثبوت صحّته ، لأنَّه ﷺ روى عنه سبعون من أصـحابه أنـه قـال : "من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النَّار"[2] .

---

(١) وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسـألة فقـال : (إنّ ربّ السـموات والأرض غنيّ غنى مطلقاً بذاته ، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته ، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره . ومن صفاته تعالى ما يدلّ على الرحمة والرأفة والشفقة . ومنها ما يـدلّ على العزّة والقهر والجبروت والغلبة . فلو جعل النَّاس كلَّهم مهتدين لمـا ظهـر للخلـق كمال الإنصاف والعدل ، ولما ظهر للنَّاس شدَّة قهره وجبروته . ولو جعلهم كلَّهم كفَّاراً لما ظهر للنَّاس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه . ولهذا هدى الله تعـالى قومـاً وطبعهم على الطيب من الأعمال ، وصرف نيَّاتهم إلى ما سبق به الأزل لهـم مـن الخـير ، لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالَّة على الرحمة وغيرها من صفات الإحسان والجود والكرم، وخلق آخرين ، وطبعهم على الخبث، وصرف نيَّاتهم إلى ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء لتظهر فيهم آثار قدرته ، وشدة بطشه ، وكمال عدله وإنصافه). معارج الصعود ص٢٩٤-٢٩٥. وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨١-٢٨٢.

(٢) ذكر الزبيدي في "لقط اللآلئ المتنـاثرة في الأحاديـث المتـواترة" ص ٢٦١- ٢٨٢ : أنَّ تسعة وتسعين صحابيًّا رووا هذا الحديث . وهو في الصحيحين ، من حديث علي بن أبي

وعلى كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل، وأمية بن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ، وكذلك سائر المشركين والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفى[1] .

انتهى

طالب ، والزبير بن العوام ، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي ذر الغفاري، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم رضي الله عنهم . (انظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ح ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، وكتاب الجنائز ، ح ١٢٩١، وأحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٦١، وكتاب المناقب ، ح ٣٥٠٨ ، وكتاب الأدب ، ح ٦١٩٧، وصحيح مسلم ، في المقدمة ، ح ٣، ٤، ٥، وفي كتاب الزهد والرقائق، ح ٧٧٠٢.

(١) وهذا جواب عقليّ مقنع ، يُوافق النصوص الشرعيَّة .

فهرس المصادر

١- الإبريز -الذي تلقاه أحمد بن المبارك عن عبدالعزيز الدباغ-. المطبعة الأزهرية المصرية، ط١ : ١٣٠٦هـ .

٢- الأربعين في صفات رب العالمين ، لشمس الدين الذهبي . تحقيق عبدالقادر محمَّد عطا صوفي. نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط١ : ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٣- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، لملا علي القاري . طبعة المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت ، ط٢: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي. نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة-مصر ، ١٤٠٨-١٩٨٨م .

٥- الأمالي ، لمحمد بن الحسن الطوسي -الملقب عند الرافضة بشيخ الطائفة- . مطبعة النعمان ، النجف-العراق ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .

٦- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، لعبدالكريم الجيلي . طبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط٤ .

٧- البردة = بردة المديح، ومعها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية، لشرف الدين أبي عبدالله محمَّد البوصيري . نشر مكتبة ومطبعة الحسيني ، القاهرة ، (د . ط) .

٨- البريلوية ، لإحسان إلهي ظهير . طبعة إدارة ترجمان السنة ، لاهور-باكستان ، ط٦ : ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

٩- التبرك : أحكامه وأنواعه ، للدكتور ناصر عبدالرحمن محمد الجديع. مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١١هـ .

١٠- التصوف بين الحق والخلق ، لمحمد فهر شقفة . طبعة الدار السلفية للنشر والتوزيع ، ط٣ ، (د . ت) .

١١- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي ، وجلال الدين محمد بن أحمد . طبعة دار إحياء الكتب العربية ، (د . ت) .

١٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، لشيخ الإسلام ابن تيمية. نشر الدار العلمية السعودية ، (د . ت) .

١٣- تهذيب اللغة ، لأبي المنصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق الدكتور عبدالحليم النجار. نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، طبعة مطابع سجل العربي، (د. ت).

١٤- جامع البيان في تأويل القـرآن ، لأبي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبري. طبعة دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

١٥- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبدالعزيز بن صـالح الطويـان . مكتبـة العبيكـان ، الريـاض ، ط١ : ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٦- حجة الله البالغـة، للشـيخ أحمـد المعـروف بشـاه ولي الله بـن عبدالرحيم الدهلوي . طبعة دار المعرفة ، بيروت-لبنان .

١٧- الـدرر المنتشـرة في الأحاديـث المشـتهرة ، لجـلال الـدين السـيوطي. نشر مكتبـة دار العروبـة ، الكويـت ، ط٢: ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

١٨- دفع إيهام الاضطراب ، لمحمد الأمين الشـنقيطي . ملحـق في تتمة كتاب أضواء البيان –المجلد العاشر- .

١٩- دلائل النبوة ، لأبي نعيم أحمـد بـن عبـدالله الأصـبهاني . (د . ن)، (د . ت) .

٢٠- رجال النجاشي = فهرست أسماء مصنفي الشيعة .

٢١- الرد على البكري ، لشيخ الإسلام ابن تيمية = تلخيص كتاب الاستغاثة .

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ومكتبة المعارف ، الرياض.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق- بيروت .

٢٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي . طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، ط١ : ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي . طبعة دار الفكر العربي ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٢٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية . نشر مكتب التراث ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٢٧- صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، (د . ت) .

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة- مصر .

٢٩- العلو للعلي الغفار ، لشمس الدين الذهبي . دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط٢: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .

٣٠- الفتوحات المكية ، لمحيي الدين ابن عربي . طبعة المطبعة العربية ، القاهرة- مصر، (د . ت) .

٣١- فهرست أسماء مصنفي الشيعة ، لأحمد بن علي النجاشي . مكتبة الداوري ، قم- إيران، (د.ت) .

٣٢- الفوائد ، لتمام الرازي . تحقيق الدكتور عبدالغني التميمي ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٣٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني . المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ط٣ : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٣٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٥- الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني. دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٦- الكشاف ، للزمخشري . طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة-مصر ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، (د . ت) .

٣٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل العجلوني. مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ودار التراث ، القاهرة .

٣٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي . ط المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة-مصر .

٣٩- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني . تصوير مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، (د . ت) .

٤٠- مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ، للبكري . طبعة مكتبة النصر ومطبعتها ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٤١- مختصر التحفة الاثني عشرية ، لمحمود شكري الألوسي . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، ١٢٧٣هـ-١٩٤٢م .

٤٢- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله . نشر دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .

٤٣- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، لإدريس محمود إدريس . مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ : ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤- معارج الصعود في تفسير سورة هود ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . جمع الدكتور عبدالله قادري . طبع دار المجتمع ، جدة ، ط١ : ١٤٠٨هـ .

٤٥- معجم البلدان ، لياقوت الحموي . تصوير دار صادر ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٤٦- مفاهيم يجب أن تصحّح ، لمحمد علوي المالكي الحسيني . طبعة دار الإنسان ، القاهرة- مصر ، ط١ : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٧- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي. توزيع دار الباز ، مكة المكرمة، ط : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٤٨- المناقب ، لأخطب خوارزم . ط المطبعة الحيدرية ، النجف- العراق ، ١٣٨٠هـ.

٤٩- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لابن المغازلي . طبعة قم – إيران .

٥٠- منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، لعبدالرحمن السديس . مكتوب على الآلة الكاتبة .

٥١- المواقف في علم الكلام ، لعبدالرحمن الإيجي . عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .

٥٢- مواعظ نعيمية ، لأحمد يار خان . طبعة بريلي ، الهند .

٥٣- موضوعات الصغاني، لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني . دار المأمون للتراث ، دمشق- بيروت ، ط٢ ١٤٠٥-١٩٨٥م .

٥٤- مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب –قسم العقيدة- . طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

٥٥- ميزان الاعتدال ، لشمس الدين الذهبي . تصوير دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، عن الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .

٥٦- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٤٠٢هـ .

٥٧- النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين ، لعداب محمود الحمش . دار حسن للنشر والتوزيع، ودار الأماني للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية ، ط١: ١٤٠٧هـ .

٥٨- هذه مفاهيمنا : رد على مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد علوي مالكي، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ . خال من مكان الطبع ، وتاريخه .

فهرس الموضوعات